طرايف

وذكريات وعجايب

في أحوال الأولين والسوالف

جمعه وألفه

محمد بن محمد بن خريف التويجري

القصيم - بريدة

المجلد الرابع

إليك الضالة المنشودة

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

طرايف ذكريات وعجايب

في أحوال الأولين والسوالف

(٤)

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى جيل اليوم . . .

فهذه محفوظات ، لمأثورات ، وعِبر ، ووقائع ،

وأحوال ، عاشها الآباء ــ والأجداد ، الأوائل ،

لأخْذ العِظَة فيها ــ وحتى لا تَنْدَثِر ،

لتدعوا لمن سجَّل لكم مآثر ماضيكم .

المـؤلـف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِيَةِ

الحمد لله رافع السبع الشداد، عالية بغير عماد، واضع الأرض ومرسيها بالأطواد، وجاعلها مقرًا للعباد، خلق الخلق وقسم بينهم الأرزاق، وفاوت بينهم في العقول والأخلاق، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

أمّا بَعْدُ: حيث حُضيَ هذا الكتاب بالقبول، واستفاد منه الكثير، بفضل الله تعالى، وقد نَفَدت الطبعة الأولى، قمنا بعون الله تعالى بطبعه مرة ثانية، مَزِيدَة ومُنَقَّحَة، قد مَزَجْنا فيه الجزء الثالث مَزْجًا، وحذفنا بعض الأولى، فأَبْدلناه بجديد، نسأل الله القوي المنان: إن كان عملنا هذا صالحًا يرضيه، أن ييسر نشره بين العباد، والانتفاع به، بفضله الواسع، فإنه ولي التوفيق، والمطلع على السرائر، وهو على كل شيء قدير.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، فَضَّلَ العرب بأشرفِ الرُّسلِ وأفضل الكتب، ووعد بحفظ القرآن إلى آخر الدَّهر، أحمده وأشكره وهو واهِبُ الحمد والشكر، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له في ربوبيته وأُلُوهيته وأسمائه وصفاته، شهادة تنافي عموم الكفر، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله نبينا وحبيبنا سيد البشر، الشافع المشفع في المحشر صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه السَّادة الغُرَر النجوم الزُّهَر، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بَعْدُ: فأنا عندي معرفة شيء كثير من السَّوالف، والآثار، والذكريات، مما يعين على تثقيف النفوس، ومعرفة مآثِرِ العروبة؛ لأن النفوس تحب الوقوف على الآثار، وتتشَّوق لسماع الأخبار عن الآثار، من الغرائب، والنَّوادِرِ، والنُّكَتِ، والْحِكَم، والفوائد، وذلك أيضًا يُعين على فهم معاني القرآن، حيث نَزَلَ القرآن في مثل ذلك، فمن لم يعرف الآثار، فقد يغلط في فهم بعض معاني القرآن، كما قال بعضهم: (إن هذه السيارة مذكورة في القرآن في سورة يوسف ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ

﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ . . .﴾ [يوسف: ١٩] الآية: وهذا لأنه لم يعرف أن السيارة المذكورة في الآية: هم الْقَافِلَةُ، مجموعة من الناس، تَقِلُّ وتكثر، يسيرون في الطرق البرية، خلف الإبل أو الحمير أو البغال، ونحو ذلك، أما هذه السيارة فهي من الصناعات الحديثة، وهذا الخطأ سببه هو عدم معرفة الماضي، الذي نزل في مثله القرآن.

وعامة ما أذكره من السَّوالف قد حفظته من أفواه مشائخ القَمْرا[١]، لأني أحفظ ما سمعته من وقت صِغَري فلا أنساه، وقد أسمع الشيء عِدَّةَ مرات، من عدة أشخاص، في أوقات متفرقة، فيكون قد استفاض عند الناس: إلاَّ ما عَزَوْتُه إلى قائله فهو كما يُذْكَر، وما لم يكن صالحًا للجميع[٢] تركناه، ولهذا لا تجد فيه سالفة إلاَّ وفيها فائدة في لفظها ومعناها، وتجد فيه أشْيَاءَ لَعَلَّك لا تجدها في غيره[٣]: وتجد فيه بعض الفوائد بلفظ وَجيز، ونُعِيد بعض الكلمات بلفظ آخر (كَشَرْح)، ولا نتعرض لإصلاح بعض الألفاظ العامية، لأَجل معرفة الماضي[٤].

وحيث كان كل شيء يحتاج إلى مُلْحَةٍ وتجميل، فإني أرى تَوْشِيحَ هذا الموضوع، بفوائد وحِكَم دينية، تكميلاً للفائدة واغتنامًا للفرصة فالحسنات يذهبن السيئات، وَنُدْرِجُها متفرقة بين طَيّات الكتاب، ليكون كالبستان مُنَوَّعِ الثِّمار، لترويح نفس القارىء حتى لا يمل هذا ولا ذاك،

(١) أهلِ القَصَصِ والسوالف.

(٢) يعني كل الفئات: رجال ونساء صغار وكبار.

(٣) وهو أَغْلَبه.

(٤) وَيَتَّسِقْ لك فهمه جيّدًا إذ اسْتكْمَلْت تصفحه، لأنك تجد توضيح بعض المسائل في موضع آخر.

ونَبْدَأ بـذكـر مُغَايرة الأحوال الأخيرة عن الأحوال والآثار القديمة، لينفتح فهم القارىء لمعرفة الآثار، ويدخل من هذا الباب.

فمثلاً: كـان النـاس لا يعـرفـون السيـارات، ولا الطيـارات، ولا مكائن الماء، ولا الكهرباء، ولا البترول، ولا الغاز ونحوه، وإنما كانوا يسنون على النَّواضِح، من الإبل أو الحمير أو البقر وعلى ظهورهم، وكذلك يحرثون الأرض بآلات تجرها المواشي، أو يحرثون بالمساحي بأيديهم، وهو أكثر عملهم، وكذلك وسائل النقل لديهم، هي: الإبل والحمير والبغال، وربما يحمل بعضهم أغراضه على رأسه وظهره، لقلة حصولهم على شيء من المواشي، في بعض الأحيان، وحين سمعوا بظهور الصناعات الخارقة لما يعرفونه، صاروا بين مصدق ومكذب، وقد كان رجال من أهل نجد يسمون «عُقيل»، يذهبون للغربية لتسويق الإبل والخيل هناك (والغربية هي بلاد الشام وفلسطين ومصر والعراق، بالنسبة لبلاد نجد، لأنهم يتغربون فيها عن بلادهم)، وفي إبّان بدء العصابات الصهيونية، لغزو فلسطين، حالة الاستعمار البريطاني، وإذا بعض رجال عُقيل حضروا هناك، ورأوا طائرة في الجو، فلما قدموا لنجد، وجلسوا في (جردة) السوق، يتبادلون السَّوالف عما رأوا هناك، قال أحدهم إننا رأينا الحديد يطير في الهواء، فقال الجماعة كذبت، فاستشهد بصاحبه وقال: هذا مسلّم اسألوه، فقالوا: ما تقول يا مسلم، هل هو صحيح، الحديد يطير في الهواء؟ فقال، (لا أنا ما رأيته) فغضب عليه صاحبه حين أَكْذَبَهُ، فلما خَلا به قال: كيف أَكْذَبْتَنِي وأنت قد رأيت ذلك مثلي؟ فقال مُسَلّم: أنا لا أحب أن يُكذّبوني مثلك، دع هذه الغرائب تأتيهم من غيرنا.

وفي عام واحد وستين وثلاثمائة وألف هجرية تقريبًا، جاءت طائرة عابرة، من الغرب للشرق، آخر الضحى، من فوق بريدة وقراها، فانزعج الناس منها، وهرب بعضهم إلى بعض، وكثر الصراخ، وخرجوا من البيوت، حتى قال بعضهم: هذه صيحة القيامة، وأخبرني من أثق به، أن امرأة سقط ولدها من بطنها، من شدة الإنزعاج من جلبة الطائرة، (وأنا رأيت المرأة تغطي جانب وجهها، تنظر إلى الطائرة وتقول: انظروا رؤوسهم فوقها ينظروننا، (يُخْيَّلُ إلى المرأة ذلك من ذهول عقلها)، حتى البهائم انزعجت، فخرجت الإبل من السواني وخربت عُدّة السواني، والبقر انزعجت وقطعت الحبال (الربط) وهربت، والبدو في البر انزعجوا وهربت إبلهم وغنمهم، إلى آخر ما حصل من ذلك الشيء العجيب، وحين بدأت تأتي السيارات: صاروا يهربون منها، حين يسمعونها من بُعد، فيختفون خلف الجدران، وخلف الأثل، ويغلقون البيوت وينظرون من فوق السطوح، مع ما يصيبهم من الخوف والرهبة منها، فأنا أدركت ذلك وشاهدته، فصاروا بعد ذلك يعللون أنفسهم ويتناقلون أثرًا، أَو حديثًا «أنه في آخر الزمان يتكلم الحديد ويقرب البعيد».

وأنا أدركتهم ولم تظهر مكائن الماء ولا يعرفونها، وأول ماكينة ظهرت عندنا للماء، ماكينة تشتغل على فحم حطب عادي فقط، هو مادة وقودها، يذهب رجال من الجماعة أعرفهم، يصلحون لها فَحْمًا من حطب البر، وينقلونه لها على الإبل، ثم ظهرت ماكينة تشتغل على الديزل، هو مادة وقودها، فاهتال الناس منها أيضًا، وصاروا يزورونها

ينظرون إليها، كما كانوا يهتالون من الأولا «كَيْفَ ماءٌ يشْتَعِل نارًا ويَعْمَلُ بالحديد هكذا».

أما استعمالهم الإبل، فهذا شيء عادي قد نشأوا عليه، فيذهبون به، ويأتون به، ويُنِيْخُوْنَه ويركبونه، حتى كانت بعض البنات والنساء تشْمُر (تقفز) على ظهر البعير وتركبه، حتى وهو واقف، وهو يمشي، فكيف الرجال والأولاد؟ ويحملون أثقالهم عليها، أسهل من حملهم على شاة.

أما المادة الاقتصادية عندهم، فهو الإنتاج الوطني، (التمر واللبن والقمح والشعير والدخن وغير ذلك)، مع اعتياد الاقتصاد في المعيشة، فإذا حصل لأحدهم ملء كفه تمرًا أو نحوه كفاه نهاره كله، وليس كلهم يجدون تمرًا في بعض الأزمان، وربما يحصل عليهم في بعض الأوقات مسغبة جوع وشدة خوف، وَحِصـار وقتل ونهب بسبب مُغايَرَة الحكام (الملوك)، يأتي هذا الحاكم فيستولي على البلد، بعد قتال ونهب، ثم يأتي الحاكم الآخر، فيحاصرهم ويحاول الاستيلاء عليهم، وقد يعاقبهم على مُوالات الحاكم الأول، فلا تزال البلاد مُضْغَة آكل، حتى قَيَّضَ الله الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى، فحكم البلاد ووحدها، إذ لم نعرف في التأريخ، مثل ما حصل لنا في هذا الزمان، في ولاية آل سعود والحمد لله، من الأمن في الأوطان، والصحة في الأبدان، والأمن على الحقوق والأنفس، ورغد العيش، وتقارب المواصلات وظهور الإسلام، وعلو كلمة الله، أطال الله عزهم وهدايتهم، وتوفيقهم، وأبقاهم للعباد والبلاد والإسلام، آمين. اللهم صلِّ على محمد. (انتهى).

* * *

كرم المروءة

جاء أعرابـي على ناقة، وضاف عند حضري فلاح نخل (وكان الأعرابـي رجلاً بكل معاني الرجولة في المروءة والسخا) وكان الرجل الحضري كذلك في المروءة والسخا، ولكنه فقير، قد ذهب ما تحت يده سوى النخل: فليس يملك ناقة ولا بقرة ولا شاة، ولا طعامًا ولا خضارًا يؤكل فلم يجد ما يقرى فيه الضيف، وضاقت عليه الحال، وجعل يدخل ويخرج ويذهب هنا وهناك، والضيف عرف ذلك فيه فجعل يلاحظه.

ثم إن المعزب أخذ الفاروع (الفأس) وذهب إلى النخل، فتبعه الضيـف، حتـى وصـل إلـى إحـدى النخـل، وجعـل يضـرب جـذعهـا بالفاروع: فأمسكه الرجل الضيف وقال ما شأنك وماذا تصنع بالنخلة أم التمر؟ فقال الرجل المعزب: دعني وشأني، فأبـى عليه إلاَّ أن يخبره خبره في قطع النخلة: (فقال إني ليس عندي طعام أطعمه ضيفي، ولكن هذه النخلة حلوة وجمارها حلو سوف أقطعها وأخرج جمارها أعشى ضيفي منه لأصون ماء وجهي وأحمي شرفي من المعائب، وأقضي واجبـي حسب قدرتي)، فقال الأعرابـي لا تفعل ولكن هذه ناقتي أذبحها وعشنا منها: فأبـى الرجل ذبح ناقة ضيفه، فعزم عليه الضيف فذبحوها وتعشُّوا منها، فلما أصبحوا قال الأعرابـي للمعزب خل

اشدادي عندك هنا وأنا أسلم عليك، فذهب.

ثم إن الله سبحانه أذن في رزق الفلاح وأبدل عسره بيسرين وصلحت أحواله واغتنى: ومضى من الزمن أكثر من سنة، جاء الأعرابي على ناقتين وضاف عند صاحبه، لكن صاحبه لم يعرفه، فقام بإكرامه عادته للضيف، فقال له الأعرابي أنا صاحبك العام صاحب هذا الشداد، وخذ هذه الناقة لك اسق عليها نخلك، والناقة الثانية أريد أحمل عليها اشدادي، فدهش الرجل فرحة بصاحبه وزاد في إكرامه وقال شكر الله سعيك وبارك لك فيها، فأنا الآن أبشّرك أن الله أغناني وقضى ديوني بعدك، وهذا تمر نخلتك التي أنت أعتقت العام احمله على الناقة إكرامية لأولادك، فأبى الأعرابي أخذ التمر، فعزم عليه وحمله له على الناقة فودع صاحبه وانصرف. (انتهى).

* * *

قنيفذ والثعلب

قيل: تشارك الحصني والقنفذ وزرعوا قمحًا، فلما استوى الزرع وحصدوه وداسوه وَذَروهُ وزبروا التبن (زبرة) والحب البر زبرة، قال الثعلب نريد نقسم الزرع يا القنفذ؟ فقال القنفذ: نعم، اقسم، لكن كيف، القسم؟ قال الثعلب: نتسابق على زبرة التبن وأينا وصلها أول هي له، فقال: نعم، فوقفوا بالميدان (مسافة) عن زبرة التبن، ثم انطلقوا يركضون أيهم يصل أول، فوصل الحصني أول ووقف فوقها، فلما وصل القنفذ قال: ارجع يا قنيفذ ما لَكَ سنع، ثم قال الثعلب: نريد نقسم البر (القمح)؟ فقال: كيف نقسم؟ قال: نتسابق عليه وأينا وصل أول هو له؟ فقال القنفذ: لا بأس ولكن أنا لا أستطيع أعدو (أركض) بالنهار ولكن يكون تسابقنا بالليل؟ فقال الثعلب: لا مانع بالليل، فذهب القنفذ إلى بَنِيْ عمه، وقال: كيف لعب عليَّ الحصني وأنتم موجودين؟ فقالوا: وماذا فعل؟ فأخبرهم بما جرى، فقالوا: وماذا تريد منّا؟ قال: أريدكم تجتمعون معي وتصطفون في طريق المسابقة واحدًا بعد الثاني وآخركم فوق الْعرمَه، فلما صار في الليل حضروا واصطفوا واحدًا بعد واحد، ثم جاء الثعلب يمشي مشية المتبجح على ثِقَةٍ أنه سوف يسبق القنفذ، ثم وقف مع القنفذ في رأس المدى، ثم انطلقا يعدوان، فقال الحصني وهو يركض: يا قنيفذ فتكلم القنفذ الذي أمامه

وقال: قدامك، فزاد الثعلب في الركض، ثم قال: يا قنيفذ! فتكلم القنفذ الذي قدامه، فقال: قدامك، فانذعر الحصني وقال: أخس كيف سبقني؟ لأنه ظنه رفيقه واحد، ثم شد على نفسه وقال: يا قنيفذ، فتكلم الذي أمامه، وقال: قدامك، ثم زاد إلى آخر طاقته، وقد قارب أن يصل زبرة العيش (البر) فقال: يا قنيفذ، فتكلم الذي فوق العرمة وقال: بالعرمة ارجع، فوقف الثعلب مندهشًا، حيث غلب على ثمرة الزرع، وأما التبن فليس يقارب الحب (القمح)، وفي المثل: قال الشاعر:

إيلا صار مالك عيال عم يحضرون   يحـذف دلـوك فـوق جـال الـرَّكَيِّـه

يعني يحضرون عند اللازم، ثم قَسَّم القنفذ على ربعه جزًا من القمح أكرامية لهم. وهذا مثال لتساعد القرابات والحمية بينهم وشد بعضهم بعضًا، ومعنى كلمة العصبة وهم عصبة الإنسان، أنهم يعصبونه، ويشدونه كالعصابة للرأس والعصابة على الجرح والكسر، كما قيل:

لحمـــــك لحمـــــك   لـــو مـــا حبـــك رحمـــك

وكما قيل:

يُمنًــا بــلا يُســرًا تــراهــا ضعيفــة   ورَجْلٌ بلا رَبْع على الغبن صبار

وقيل: سَبَّاب عشيرته مثل مبدي عورته. وهذا التساعد كما يكون بين القرابات، فإنه يجب أن يكون بين الجماعات والأصحاب كذلك، والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضًا، الحديث متفق عليه بنحو ذلك «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» الحديث رواه البيهقي وغيره عن أنس رضي الله عنه (ومن دعا لهم أيده الله). (انتهى).

❊ ❊ ❊

آفات اللسان

(قال: وِشْ قَطَعَكْ يا رأس؟ قال: لساني).

قيل: مَرَّ رجل برأس مقطوع في البر ليس حوله أحد، فوقف عنده مستشكلاً، وسأله (وِشْ قطعك يا رأس؟) فأجابه الرأس «لساني»، فتعجب الرجل من رأس يتكلم وليس به جثة: فذهب الرجل إلى الأمير وقال: هناك رأس يتكلم وليس به جثة، فقالوا كذبت، فقال الرجل إذا ما وجدتم كلامي صحيحًا فاقطعوا رأسي معه فذهبوا معه حتى وقف على الرأس، وقال له: (وِشْ قطعك يا رأس؟ فلم يتكلم الرأس وردد عليه مرارًا يسأله: وش قطعك يا رأس؟ فلم يتكلم، فقال الأمير كذبت علينا فقطعوا رأسه عنده، فلما ذهبوا تكلم الرأس الأول: فقال له الثاني لماذا لم تجب الجماعة؟ فقال: (أريدك تجرب صدق كلامي): فأنت الآن قد قطعك لسانك.

كما تعرف كثيرًا من الشعراء قد قضى عليه لسانه، حيث يتكلم بالملوك وسائر الناس.

تَسابَّ شاعران: فَرَدَّ الآخر على هاجيه بقوله:

يا شبه ديك قَسَّمَ الليل بِالذّان	صوته صليب أولا ذكر به نِماره
أو شبه ثور يذكرونه بحوران	جسمه كبير ويشبه لونك سماره

وقال عنترة:

وأغضى طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي خِباها
إني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا أُتبع النفس اللجوج هواها

فهذا عفافه مع أنه جاهلي.

بَراقِش:

قولهم: (جنت على أهلها براقش).

فهذا مثل عربي قديم، وذلك أن جماعة خافوا من عدوهم: فاختفوا عنهم بمكان، وكانت معهم كلبة لهم اسمها (براقش)، فبينما عدوهم قوم يتطلبونهم، وهم مستخفين عنهم، إذ نبحت كلبتهم براقش: فعلم عدوهم بمكانهم، لنباح براقش فأتوا وقبضوا عليهم، فهو قولهم: (جنت على أهلها براقش).

يعني لولا نباحها لما علم عدوهم بمكانهم، فهي الجانية عليهم إذًا. (انتهى).

* * *

مقارنة الطب القديم بالطب الحديث
.. وبعض الأمراض

جاء في الحديث عن النّبـي ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلاّ أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله»، وهذا فيه أحاديث رواها الجماعة إلاَّ النسائي بطرق وألفاظ متعددة (كما في كتاب المنتقى).

وعامة الأدوية علمت بالتجارب، إلاَّ ما نقل عن النّبـي ﷺ فقد علم بالنقل، ولا يكفي تجارب الإنسان مرة ونحوها، لأَنْ يجعلها قاعدة عامة إلاَّ بعد تكرار التجارب وتوالي الاستشفاء به لعدة أشخاص.

ولا ينكر ظهور الطب الحديث في هذا الزمان، وأنه من جملة النعم التي بسط الله لعباده، كالصناعات والازدهار الاقتصادي وظهور العلم وغيره، ولا مانع إذا لم يُجْدِ الطب الحديث في بعض الحالات أن يرجع للطب القديم لمعلومية إفادته بالتجارب على طول الأزمنة.

أما المقارنة، فمثلاً:

طـب الأسـنـان:

لا ينكر فضل الطب الحديث فيه، إذ القديم ليس عندنا طب لمرض الأسنان إلاَّ الخلع بدون بنج، بل أول ما يبدأ بعمل الخلع (الصَّخِي)، وهو أن يسلخ اللحم من جوانب الضرس أو السن برأس

ريشة حديد حادة شبه رأس مخراز، لإبراز الضرس، والدم ينزف، ثم يمسكه بالمقلاع (آلة الخلع يسمّى كُلاَّبًا، مَسْكًا جيدًا) ينزعه بقوة شديدة، فإن انْقَلَعَ بأول مرة فقد هان الألم، وإن أفلته ولم ينخلع بها فقد حضر (الموت الأحمر)، وإذا لم يمكن خلعه اتخذوا له كيًّا خفيفًا خارج الفم تحت الحنك على عرقه النابض فيسكن الألم.

الحمى:

أما مرض الحمى: فلا أعلم لها علاجًا ناجحًا في القديم، فلا يبرأ منها الجسم حتى تنهكه بعد زمان.

ذات الجنب:

أما مرض ذات الجنب، ويسمى مرض (الضلوع) والحاد منه يسمى مرض (الطاعون) فالطب القديم ناجع في هذا المرض، وهو كيه بنارٍ، بين الضلوع على موضع الألم فيبرأ فورًا إذا طبق الكي على الموضع، إذ هو تفتح من الداخل بين الأضلاع، وقد تلصق الرئة للجنب من الداخل، فيسبب سعالاً بسبب لصق الرئة للأضلاع، فالكي يسد تفتح الأضلاع، ويفلت الرئة من اللصق، فيقف السعال ويسكن الألم عاجلاً: ومنه نوع (أَنِيث) غير حاد وهو مزمنًا، وإذا لم يعالج بالكي فهو مرض السل.

تـنـبـيـه: قد تشمئز النفوس، وتقشعر الجلود، إذا سمعت ذكر الكي بالنار والمعالجة به، ولكن ألم المرض والخوف من معرته وعاقبته يجعل المريض لا يحس بألم الكي إلاَّ إحساسًا هينًا بخلاف ما يتصوره غير المريض، حتى إن بعض المرضى هو يكوي نفسه بيده.

الـولادة:

أما الولادة فليست تحتاج في القديم إلى طب، وليست تعيرها النساء أي اهتمام، وإنك تعيش زمنًا لا تسمع أن امرأة تعسرت عليها الولادة، فأنا أدركت زمنًا: تضع بعض النساء حملها وهي في أثناء العمل إما في مزرعة أو في البر في رعي المواشي أو طلب الحطب أو علف أو مشي في طريق أو غيره، فتحمله وتأتي به للبيت، وهذه المعونة من الله لها أسباب: منها رياضة الجسم في الاستمرار بالعمل قبل الحمل وبعده: كما تجد الخادمة الآن أسهل ولادة من المخدومة غالبًا، ومنها اليأس: فلا تتطلع نفسها إلى مساعد ومعالج، فاليأس به معونة، مما يشد عزمها ويقوي صبرها، فالنفس إذا صاحبها الخوف أو شاوفت (هو التطلّع) توترت أعصابها مما يسبب عسر الولادة كما بينته الدكتورة (فاطمة النجار) في كتابها المسمى (من تجاربـي للنساء فقط) المتقدم ذكره، أو الآتي ذكره، وكانت النساء تجتنب المحاذير وما يسبب أضرارًا على الجنين، والأسباب المضخمة للجنين، وتحاذر أسبـاب الشمـم (التسمـم) إذا قـربـت الـولادة، كـالعطـورات الحـادة والريحان وبعض الأعشاب كالروض والبختري، وهو شبه الروض ينبت في المزارع وغير ذلك، وكانوا يعرفون وجود الشمم (التسمم) في الجسم في الأمراض الدموية والجروح بثلاث أحوال:

أولاً: هبوط الحرارة.

ثانيًا: هبوط (خمول) في نشاط الجسم.

ثالثًا: إذا زاد على ذلك أحس بوجع في القلب وربما حصل معه

تطريش (هو القيء)، فتستعمل مضادات الشمم عندما تحس بشيء منه، فمن مضادات الشمم (الكبو) وهو تسعط وانتشاق دخان ورق الأثل اليابس القديم المتجمع تحت أصول الأثل فهو أكيد من أنفع مضادات الشمم (التسمم)، للأمراض الدموية، إذ هو استعمال خارجي، إذ يصهر على الجمر، فالإمعان في تسعطه أنفع، وكذلك شرب المر والحلتيت وشمه، ولا تشربه إذا بدأ الطلق لأنه يسكنه إنما تشمه شمًّا، والكبو إذا خافت من الشمم الذي يضخم الجنين.

مرض السكر:

أما مرض السكر فلم يكن يعرف في القديم، وإنما هو من الأمراض الحادثة، لأسباب: منها قلَّة التعب وقلَّة مباشرة الجسم للحر والبرد، فمباشرة الحر في وقته والبرد في وقته صحة أكيدة للجسم، ومن أسبابه أيضًا الإكثار من أكل الدهنيات والأكل على غير نظام، وقلَّة شرب المسهل الذي هو ينقّي المعدة من التعفّنات والفضلات، فإن أجسام الناس كانت تغلب عليها الخشونة، بسبب مباشرة الأعمال في الحر والبرد، وخشونة الأكل ومع ذلك كانوا يستعملون المسهل فيجدون على أثره صحة أكيدة.

ومن أسبابه: معاناة المشاكل، فالناس في القديم لديهم راحة البال غالبًا وإن تعب الجسم.

أمراض العيون:

أما أمراض العين فالطب الحديث له فضله فيه، والطب القديم ناجع فيه غالبًا وهو كَيُّها بنار والحمية، ومرض العين في القديم أنواع:

فمنه الرمد، والشربة، والطرفة، وأم ذيل، وهو أخطرها: أما الرمد فكان قديمًا ولم نعرفه، وأما الشربة: فهو التهاب حاد ووجع مستمر ومن علاماته أنك لا تستطيع السجود في الصلاة معه، وعلاجه عندهم كي خفيف برأس عود، من شجر الغضا أو الرمث أو السمر، برأسه جمرة، فيضرب بها على العروق حول العين شبه نقاط خفيف فتبرأ سريعًا بإذن الله ــ أما الطرفة فهو خدش العين بعود أو أصبع أو رائش أو غيره، وهذا الحادث على العين إذا لم يعالج من أول حدوثه فالعين تلتهب ويكون مرض (أم ذيل غالبًا)، وعلاجه في الطب الحديث ناجع والحمد لله، أما في القديم فأول شيء يبدأون به بعد الخدش يضعون في العين قليلاً من ملح الطعام الناعم، فإن أجدى وإلاَّ عملوا لها كيًّا خفيفًا جمرة برأس عود من الغضا أو الرمث، يضرب بها على عرق العين على ظهر العظم مقابل مذنبة العين الخلفية قرب العين فإن أجدى وإلاَّ زادوا فكووا ما حولها من العروق بالجمرة في رأس العود فتبرأ غالبًا.

أم ذيــــل:

أما مرض أم ذيل في العين: فهو المرض الخطير، وأكثر أسباب عمى العين بسببه، فهو من الأمراض الدموية كغيره، وأكثر حدوثه بسبب الطرفة (الخدش) ثم تلتهب فيظهر فيها جرح في السواد ويكون له امتداد إلى مذنبة العين الأمامية وهذا الامتداد يظهر فيه عروق شبه خيوط حمراء فهي جرح وهذا ذيلها، ووجعها غير حاد في أول حدوثها ولكنها تقضي على العين في النهاية إلاَّ أن ينجح الله علاجها فتبرأ.

أما علاج هذا المرض في القديم فليس له علاج إلاَّ الكي والحمية

أربعين يومًا، والكي ليس بجمرة عود مثل الشربة والطرفة، بل بحديدة (صيخ) خفيفة على العروق النابضة في الرأس وحول العين يعرفه المختصون بذلك، ما عدا ما بين العين والأذن فليس موضع كي أبدًا، لأن كيّه يميت العين، ويقال لها اللاخْسَه ـ يعني يسرق حياة العين لخسًا، ومواضع كي أم ذيل نحو ثلاثة معروفة لدى المختصين بذلك إذ أحد مواضع الكي في القفا فوق معقد الرقبة في الرأس أعلى جلمد الرقبة عرضًا في أحد جنبي نقرة القفا وهو عرق نابض مؤلم حالة المرض، وبعد استكمال الكي لدى المختصين فالحمية الجيدة يسمونها (حجبة) عن كل المحاذير مع استعمال الكبو وشرب المر وشمه فتبرأ العين بعد ذلك بإذن الله تعالى. فهذا بيان هذا المرض وعلاجه عندهم، وهم لا يلجأون للكي إلاَّ عند الضرورة كما في المثل (آخر الطب الكي) إذ الكي علاج فقط فوق العرق النابض يقلّل ضغط الدم في الجرح الذي هو مادة الألم فيسكن الألم ويأخذ الجرح في الهبوط ثم البرء، فإذا بريء الكي وزال أثر الحديدة فيه عاد ضغط الدم بطبيعته.

مرض اليـد:

أما مرض اليد فيقال لها (العنكبوت) من الأمراض الدموية، وهي جرح يحدث وسط الكف أو بالأصبع الأوسط أو الأصبع الإبهام غالبًا: وهو شديد الألم خطير على اليد بالعيب في الأعصاب، فالطب الحديث له فضله فيه، وأما علاجه في القديم فلا بد فيه من الكي في موضعين من اليد (في داخل العضد على عرق نابض مؤلم، وفي أدنى الكف حول المفصل، حول الإبهام على العرق النابض) ثم الكبو ضد التسمم، ثم

القراءة عليها شيئًا من القرآن، عدة مرات، لأن أكثر حدوثها بسبب النفس (العين)، وأكثر حدوثه بسبب ضربة الشوكة ونحوها.

مرض الحصبة:

أما مرض الحصبة فليس لها علاج في القديم إلاَّ الكي على هامة الرأس وعلى العلباة (نقرة القفا)، ثم الحمية وإذا كان الطفل يرضع من أمه فهي تحتجب (تحتمي)، ثم الكبو، (وهي تصيب الإنسان مرة في العمر)، وأكثر موت الأطفال في ذاك الوقت بسببها.

مرض الجدري:

أما مرض الجدري فهو من الأمراض الدموية القديمة أيضًا، فالطب الحديث قضى عليه، باتخاذ الوقايات كالتطعيم والتعضيب: وهو يصيب كل إنسان مرة في العمر فقط: وهو مرض خطير مؤذي إذ هو قروح تخرج في جميع الجسد ذات قيح وصديد وحكة، ومن أثره هذه الخرشة في ظاهر الجسد والوجه، حتى العين يخرج في وسطها وقد يعميها، ومدته أربعون يومًا.

ومن الاحتياط للوقاية من أضراره: في سبعة أيام من أول مرضه: يحضرون للمريض من جميع أنواع الطعام يذوقها ويأكل منها: وهي التي قد تحصل له أثناء مدة المرض والحمية، والماء يغلى له، وحتى رائحة الأجسام والأنفاس لا بد في هذه السبعة الأيام أن يشم منها ما قد يشمّه في مدة الأربعين، وليس لهذا المرض علاج في القديم إلاَّ الحمية (والكبو دوامًا كل يوم مرتين على الأقل، والكبو وصفته لهذا المرض: أنهم يحضرون جمر نار في ظرف شبه صحن ثم يضعون على الجمر

ورق أثل يابس قديم يوجد تحت الأثل القديم فيظهر له دخان جيد، فيتسعطه المريض بأنفه وفمه لبضع دقائق صباحًا ومساء أو أزيد من ذلك، وينفخ الكبو على عموم جسد المجدور، فالمصابرة على الكبو والإكثار منه أنجع للمريض، فلا علاج للجدري عندهم أنجع من هذا.

أما فضل الطب الحديث فيه فهو من جملة نعم الله في هذا الزمان (والله خلقكم وما تعملون) فالحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة وله الحمد لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

مرض الروماتيزم:

ويسمى في القديم (الريح، جمعها أرياح)، ومن علاجها عندهم شرب (عود القسط) هو معروف عندهم: ومن علاجها عندهم التكميد، (التسخين) وهو التدفئة على النار، فإن التدفئة على النار صحي في كل وقت ويلين الأعصاب والعضلات حتى من تعب الجسم في الأعمال، وكنا إذا تعبنا من العمل في البر أوقدنا نارًا وتصلينا عليها، حتى وقت القائلة فيذهب التعب.

(سالفة): جاء متطبب إلى أعراب، وعندهم رجل مقعد، فالبادية يسمونه (المحسول) والحاضرة يسمونه (المحرول) وسألوه هل عندك علاج لهذا المحسول؟ فنظر فيه وإذا أعضائه سليمة، فظن أن التسخين صالح له فقال: نعم، فأحضروا له قدرًا كبيرًا وجعل فيه ماءً وأوقد عليه نارًا حتى سخن الماء وقارب الحمو، فرفع المقعد ووضعه فيه لأكثر من بضع دقائق، ثم أخرجه ونومه تحت لحاف جيد لأكثر من بضع دقائق، ثم أخذ عصا ورفع اللحاف وجعل يضربه، فلما أحسَّ

بالضرب شد جهده وحاول القيام والهروب فاستطاع ذلك، وذهب يمشي إلى اليوم.

كسور العظام:

فالطب الحديث له فضله فيه، والطب القديم ناجع فيه، إذ هو سمت العضو المكسور، وجبره بقطع ألواح في جوانبه وعصبها عليه حتى يجبر، وحميته عن الحلويات والجماع.

أما رض الجسم بغير كسور، كأن يسقط الإنسان من جدار أو نخلة ونحو ذلك، أو يسقط عليه شيء فيؤثر في جسمه ضروب (وثرد) وتألم، دون الكسور فهذا علاجه عندهم التكميد، وهو دفن الجسم أو العضو بالرمل الحار ويسمى (مَلّه) وصفة العملية فيه أنهم يوقدون نارًا كبيرة فوق رمل نظيف فإذا حمي الرمل أدخلوا فيه المصاب حتى يبرد، فتلين أعصابه ويسكن ألمه، فلا علاج له في القديم أنجع من ذلك، لأن الدفء يلين الأعصاب والعضلات والالتهاب، كما هو من علاج الطب الحديث.

الأمراض النفسية:

أما الأمراض النفسية فعلاجها في القديم، هو القراءة عليها آيات من القرآن، وأدعية وتعوذات نبوية، من كل مسلم، وبعض الناس في قراءته خصوصية أنجع من غيره.

الصرع:

أما مرض الصرع فهو نوعان: صرع أخلاط دموية رديئة، وصرع جن: وهو أسهل علاجًا من صرع الأخلاط، لأن هذا الصرع يقرأ عليه

بعض الناس آيات من القرآن فيخرج الصرع فورًا ويبرأ المصاب، وهذا معروف متواتر عند الناس قديمًا وحديثًا.

أما صرع الأخلاط ومنه الوسواس والتخييل فالطب الحديث له فضله فيه، إذ لا أعلم له في القديم طب ناجع إلاَّ القراءة عليه.

مرض الرأس:

ومما يشبه الصرع وليس بصرع ما يسمونه (الرأس) ويسمونه وشرة في الرأس، وهو خلل في العقل وسببه فيما يذكر في القديم هو نَفَسٌ في ملاحم عظامة الرأس المحيطة بالدماغ فيحصل تخبيط في العقل يشتبه بالجنون. أما علاجه عندهم: فإن بعض الناس يختص بمعرفة هذا الخلل ومعرفة موضعه في الرأس، فيكويه بحديدة على نفس الموضع، ولا بد من تثقيل الكي في هذا الموضع ليسد النَّفَسَ في الملاحم، فإذا وافق الكي على الفَتْق سكن جنونه فورًا، فينام نومة طويلة متصلة ليومين أو نحوها فإذا انتبه من نومه وإذا هو كأن لم يصبه شيء.

وأما وجع الرأس الوجع العادي، فعلاجه في القديم، هو العصابة بشريحة من القماش الناعم النظيف، بالعرض، أي على وسط الجبهة على ما فوق الأذنين والقفا شدًا متوسطًا أو خفيفًا فيسكن ألمه أو يخف.

العلاج يوم الجمعة في القديم:

كانوا لا يستحبون العلاج يوم الجمعة، لا بالكي ولا بالأدوية، ويقولون أن الدواء يوم الجمعة لا ينفع ولا يضر، ولا أعلم لهذا مبرر،

ولهذا إذا كان الإنسان ليس فيه خير ولا شر: قالوا: (فلان دواء جمعة لا يضر ولا ينفع).

ومن العلاج النفساني لسائر الأمراض في القديم، إدخال السرور على نفس المريض وبشارته بأنه طيب، وأنه أحسن حالاً من أمس مثلاً، فتفرح نفسه لتقوى على المرض، فربما تزايدت صحته، وأثبت الطب الحديث: أن الإنسان (حسن الخُلُق) أسرع شفاءً من سيء الخلق.

ولا يصلح أن يقال له إنك مريض أو أنك أقل صحة من أمس، ولا يصلح أن يقال له إن فلانًا مات، أو أن مرضك كمرض فلان الذي مات بسببه ونحو ذلك، فربما انفعلت نفسه لذلك فتمكن مرضه.

الختان:

أما الختان ويسميه بعض العامة (طهار) فهو ناجع في القديم، وعمليته بسيطة عندهم، وفيهم أخصائيين لعمله البسيط: فيُحْضِر آلة العملية، وهي موس وخيط وقطعة جلد صغيرة مدورة مخروقة في الوسط بقدر ما يدخل القلم البنسل (الرصاص) ونحوه، إذ قلفة الذكر مكونة من طبقتين، داخلية وخارجية، فيمسك فم القلفة من الطبقتين فيدخلها في خُرق الجلدة ليأمن على الحشفة من خطر الموس، ويحرص على التمكن من الداخلية لأن فتحها أهم، وما يمسكه من القلفة بعد الجلدة يربط عليه خيطًا، ثم يدخل الموس بين الخيط والجلدة وبسرعة جيدة يقطع القلفة، فتسقط الجلدة وتنحسر الطبقة الخارجية، وتبقى الداخلية خفيفة على الحشفة، ولا بد من فتحها عن الحشفة، فيمسك فمها بأظافر أصابع يديه بلطف فيشق فمها بسرعة

ويحسرها عن الحشفة فتلتئم مع الطبقة الخارجية، ويرش عليه شيئًا من الديزل، لأنه صالح لإيقاف الدم ودمل الجرح، (فهو بارد ومطهر) قد جربناه جيدًا، أو غيره: المطهر البارد. فينتهي من هذه العملية بأقل من نصف دقيقة، ولا يشكل عليهم ما نزف من الدم قليلاً في هذه العملية لأنهم قد جربوه لا يضر، ويحرصون على ختانه صغيرًا جدًا في أثناء الأربعين الأولى أو نحوها، لأن الصغير أقل إحساسًا من الكبير، فكل ما كبر زاد إحساسه وتألّمه. ويرحمون أمه فلا يتركونها تحضر عمليته ولا تسمع بكائه، وفورًا يحملونه إلى أمه فلا يكاد يصل إليها إلاّ وقد سكت بكائه ورضع ثديها. وكانوا يحاذرون يبس موضع العملية فيبلونه بماء ونحوه حتى يبرأ، وفي الأوقات الأخيرة دهانات الجروح في الطب الحديث.

(سالفة): هنا شاب تركه أهله لم يختنوه صغيرًا حتى كبر وبلغ الرشد وقرب تزوجه، ولكن لا بد له من الختان، فذهب هو إلى الأستاذ المختص بالختان، وقال له عندنا صبي نريد تختينه، لعلك تأتينا في البيت؟ فقال المعلم لا بأس، فوصف له البيت فواعده الصباح وقت طلوع الشمس، وفي وقت الموعد وقف الشاب حول الباب ينتظره، وأهله هربوا كلهم من البيت انزعاجًا مما قد يحدث، فجاء الأستاذ ودخل وجلس وأخرج أغراضه من حقيبته للعملية، وقال للشاب هات الصبي نعمله، فقال الشاب: أنا المعني إني لم أُخْتَنْ وأريدك تختنني: فنظر إليه الأستاذ ثم أخذ يدخل أغراضه في حقيبته، فمسك يده الشاب وقال: يا عم ارحمني والله إن صداق زواجي في البيت وأنا حالي هكذا،

فأعاد النظر إليه وقال: إذًا لا بد من حضور رجال يمسكونك فقال: أنا أمسك نفسي فاعمل على كيفك، فأخرج أغراضه وأجرى العملية والشاب ساكن لا يتحرك، فلما انتهى وقال خلاص قم اذهب إلى فراشك، فرفع الشاب يده وضرب الأستاذ كفًا على وجهه وقال: فعل الله بأبـي كذا وكذا (يعني كلامًا غير طيب)، الذي ما ختنني وأنا صغير، ولكن الأستاذ لم يؤاخذه، وعرف أن فكره مدهوش، وتصرفه خارج الوعي، فضحك له وحمل حقيبته وانصرف. (انتهى).

* * *

مكانة الأخت من أخيها

قيل: سجن الحجاج ثلاثة رجال ليقتلهم، واتفقت الحال أن كانوا لامرأة واحدة (فأحدهم أخوها، والثاني زوجها، والثالث ابنها) فجاءت هي إلى الحجاج وطلبت منه أن يعفو عنهم، فقال: أَمّا كلهم فلا؟ ولكن اختاري أحدهم نطلقه لكي؟ فقالت: إذًا الزوج موجود، والابن مولود، والأخ مفقود، اطلب أخاي؟ فقال الحجاج: حيث آثرتي أخاك على زوجك وابنك، خذيهم كلهم فأخرجهم لها.

وفي هذه الأوقات سكن كثير من العرب في أطراف المدن والقرى، وتخرج نسائهم كغيرها في بعض الحاجات.

ومن ذلك جماعة منهم في ناحية إحدى المدن الكبيرة نشأت بنت تخرج من صغرها وكبرت، وفي قربهم صاحب لهم، فخطبها من أهلها فلم يزوجوه، فما فجعهم يومًا إلاَّ وقد فقدت البنت وغابت، فقامت الحكومة في البحث عنها وعمموا وسألوهم من تتهمون فيها؟ فقال أهلها: نتهم صاحب هذا التاكسي، لأنه خطبها منا ولم نزوجه، فبناء على قول أهلها أخذ صاحب التاكسي وسجن وعذب، عافانا الله من البلاوي.

وكانت له أخت حازمة، لما رأت أخاها تورط بهذه البلية، فكرت في خلاصه فعزمت لها فكرة عجيبة، فغيرت ملابسها ولبست أثوابًا خَلِقَةً وغيرت ملامحها، وأخذت زنبيلاً على رأسها، وجعلت تمشي على البيوت بيتًا بيتًا، تسول وتدعي أنها فقيرة، فتدق باب البيت وتقول من مال الله يا الأجواد، ثم إذا فتح أهل البيت يعطونها تنظر فيهم لعلها تجدها، لأنها كانت تظن بها الردا من قبل، واستمرت على هذه الحال، لا يهنأها عيش ولا يهدأ لها بال، فما راعها يومًا فرحًا إلاَّ أن وجدتها في بيت من تلك البيوت، فانقلبت إلى أهلها وَسُرعانُ ما أتوا بالجنود وقبضوا على البيت فوجدوها فيه مع أجنبـي مقيم في تلك البلد، من غير جنسية البلد قد صاحبته واتفقت معه على أن يدّعي أنها زوجته، ففرج عن أخيها بسبب حزمها وعزمها، أكثر الله من أمثالها، وبسبب إهمال البنات يحصل فساد المجتمع، كما قيل:

تظهـــر مـــن حصـــن مستـــورة   تضـــرب بـــدروب مخطـــورة
هـــذا سبـــب كشـــف العـــورة   يـــاللـــي تخشـــون المنقـــود

لأنها تنشأ على قلَّة الحيا من صغرها (ومن شب على شيء شاب عليه). (انتهى).

* * *

تابع: الضيف والضيافة

قال شاعر:

ما قلت عُوْجَوا يا اهل الركايب بالارسان

حيّـــاكـــم ولا نـــاقـــص مـــال عشيـــره

المعاني: قوله: يوم جنك مسيان، هو آخر النهار قبل الغروب، مشتق من المساء، جَنِّكْ: يعني الركايب أقبلت من البر، قبالة الليل، كناية عن أهلها، يلتمسون المعازيب: يضيفونهم. لكن لما رآهم هذا الرجل الرديء: على حَدْ قول الشاعر: اختفى عنهم بالزرنوق: والزرنوق: هو بنايتان أو أربع على شفير بعض الآبار، أكبر من الأعمدة، تركب عليها عدة السواني، وجمعها (زرانيق).

قوله: عوجوا: أي هلا قلت لهم (ميلوا إلى بيتي للضيافة حياكم الله) عادة الكرام؛ وكانت الضيافة من الأحوال اللازمة الضرورية بين الناس، فالقيام للضيف بالضيافة من الخصال المحمودة، والتقاعس عنه يعد من العيوب الرئيسية، كما قالت امرأة تهجو أخرى:

يـا بنـت عَفْـنٍ مـاضَـرا للمَـراجِـل   وايلا طالع الخطار يا مَنْ يُوَزِّيه

ثم أخبر الشاعر أن الجود والكرم وإكرام الضيوف، لا ينقص

المال، فإذا ذهب عشر مالك في سبيل الخير فكأنه لم يذهب منه شيء، بل ربما أخلف الله لك ما انفقت وأنزل لك البركة في الباقي، وهذا شيء حاصل مشاهد، ولكن الشح يغلب على بعض النفوس. وقال شاعر:

والرزق يأتيك مثل هَتّاش الامطار . . . .

يعني: قد يهتش عليك المطر بغير معلومية ولا وقت محدد، وكذلك الخطار (الضيوف) قد يهتشون عليكم بغير موعد ولا حسبان، وكذلك الرزق يأتيك بسبب وبغير سبب كما يهتش عليك المطر ليلاً أو نهارًا، (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب). (انتهى).

* * *

الهيـل

كان الهيل من المستلذات الطيبة، مع القهوة البن، ومن أَجَلِّ ما يكرم به الرجال والزوار والأضياف ومستحقي الإكرام، وكان ينعش ويبعث النشاط، إلاَّ أنه الآن قد تغير مفعوله في بعض الأجسام، بسبب وجود الكيماويات في كثير من الأطعمة والخضار، لأن الهيل أصله حار، فلو سحقته وجعلته في علبة ووضعت فيه معلقة بلاستيك تجدها تذوب فيه، لذا تضاعفت على الكبد هذه المواد الحارة فأضرت بها، فبعض الأجسام به صحة جيدة حتى الآن، فلا يحس بضرره وإرهاقه إلاَّ بعد مدة، وقد لا يظن أو لا يصدق نصيحة بأن مرضه بسبب الهيل.

وأما بعض الأجسام فإنه أحدث بها أضرارًا محسوسة: منها الحموضة والحرارة في الكبد، أو التعب في القلب، أو الدوخة في الرأس، وقد لا يعلم أن ذلك بسبب الهيل، إلاَّ بعد تركه والإحتمى منه، فقد حصلت هذه الأضرار من الهيل لأناس كثير هنا، وحين تركوه زالت عنهم تلك الأضرار.

كما حصلت هنا حالة لأكثر من شخصين أدّا بهم مفعول الهيل إلى تقرير عملية لمرض في الكبد، ثم أشير عليهم بترك الهيل؟ فتركوه

فبـرؤوا قبـل مـوعـد العمليـة، فهمـا مـوجـودان هنـا الآن بصحـة جيـدة والحمد لله.

وقد تجد بعض الناس وهم قليل: لم يضر الهيل صحته لأن جسمه فيه مادة موافقة لمادة الهيل، لكن الأكثرون قد أحسوا بأضراره فَمُقِلٌّ ومستكثر. (انتهى).

* * *

أحوال إشْفاقِيَّة

هنا أعرابـي صاحب علم، حضر في مسجدٍ، وإذا رجل يحدث الناس ويحثهم على طاعة الله سبحانه، ولكن الرجل يظهر عليه مخالفة أمر الرسول ﷺ، فتعجب الأعرابـي من ذلك وحزن له وقال: اللّٰـه أكبر (إدْفوفُها بيض أُوْلا تعرف العصا) يَضْرِب له مثلاً بالناقة العَصَّاية.

المعنى: معروف أن الناقة إذا استعملت للركوب والحَمِلْ عليها أنها تكون ذَلولاً بحيث إذا أومئت عليها بالعصا طاوعت لك حيث تريد توجهها ذلولاً مرحلة، ولكن هذه الناقة إدفوفها بيض: أي جوانب مقدم ظهرها قد أثَّر بِهِ الشداد بياضًا من كثرت ما يحمل عليها وتركب، ومع ذلك هي لا تطاوع لك بالعصا: فيقال إنها (عَصَّايَةٌ)، فهذه مثلها الإنسان، يعرف بعض أمور الدين ولا يعمل به أو بعض المحرم ولا ينكف عنه، فهو عاصٍ على علم.

وهنا جَدَّة كانت تتدلَّلْ على ابن بنتها الصغير، فتقول:

حبـــك لِجـــا بـــالحشـــا ... وَاطْمـــا علـــى الْمِشِّـــهْ
كمـــا تَشَلْبـــا القـــرع ... بـــالقيـــض لِلْعِشِّـــهْ

والعشة هنا: هو عريش من سعف النخل، ينصبونه وسط النخيل

يستظلون تحته، أحسن من المكيفات في هذا الوقت، فيطلع فوقه بعض النوابت كالقرع والعنب ونحوه.

وكانت تقول أيضًا:

كَـمْ مِـنْ صغيـر طَيِّبْـت نفسـه أمـه وَمَـنْ لا لَـهُ أُمٌّ مـا لِنَفْسـه مُطَيِّـب

وهذا صحيح: فكيف نولي الخادمات تنشئة أولادنا؟ فأين الحنان؟

يقال: (لا أُفْلِتْ جرادة بيدي والْحَقْ عَشْرًا طَيَّارَةً)، يعني فإن أفلتت التي بيدك، وذهبت تطلب العشر التي تطير، فقد لا تحصل منها على شيء لأنها تطير في الجو: وكانوا يحرصون على الجراد يأكلونه، (معناه: إذا كان هنا أمران، أحدهما مقدور عليه لك، لكنه قليل، وآخر جليل، لكنه غير متيقن الحصول، فإن كان في حالة طلبك إياه لا بد أن تترك الأمر القليل المقدور عليه في يدك، فلا تترك متيقن الحصول لما تظن حصوله فقد لا تحصل عليه فتخسر الأمرين.

كان رجل هنا: عنده زوجة له لا تعجبه، فخطب امرأة أخرى تعجبه، فتوقف حصولها له على طلاق زوجته الأولى؟ فطلقها، وفي النهاية انتقض أمر الزوجة الأخيرة، فرجع لزوجته الأولى ليراجعها وإذا هي قد تزوجت. (انتهى).

* * *

سالفة: «الذئب والخروف»

أراد الذئب أن يحتال لأكل الخروف، فقال له: نريد نكشت وإياك بالبر والربيع؟ فقال الخروف: إني أخاف أن تأكلني، فقال الذئب: أعاهدك أني لا آكلك، إلاَّ أن أنت خنتني أو اعتديت عليَّ؟ فقال الخروف: أنا لا أعتدي عليك ولا أخونك، فاتفقا وخرجا ولعبا، ولكن الذئب تتوقد في قلبه نار الخيانة والبغي، ولا يطفئها إلاَّ ما يريد، فلما كانت القائلة، نام الذئب في الظل وجلس الخروف حوله يجتر، فثارت نار البغي في الذئب ورفع رأسه وقال للخروف: أنت تْلَوِّي حْنَيْكِكَ تَطَنَّزْ بِـي؟ يعني أنك تحرك فمك تستهزىء بـي؟ فأنت نقضت العهد وتستحق العقوبة، فقال الخروف: أنا هذي عادتي أتَجَرَّرْ، فقال الذئب: بل أنت تستهزىء بـي؟ ثم وثب عليه وافترسه، (وهذا هو الغاية المقصودة للذئب)، يضرب مثلاً لمن يتحدّاك وَيَتَغَطْرَشَ عليك متعمدًا في غير حق، (تلوى حنيكك تطنز بـي)، حْنَيْك تصغير حَنَك. (انتهى).

* * *

إللي ما يدري يقول حلبة

اقترف شاب خيانة على أهل بيتٍ ففزع عليه أبوهم صاحب البيت، فهرب الشاب وتبعه الرجل، ومَرَّ الهارب في مزرعة حِلْبَة، فأخذ منه شجرة بيده ومضى في هروبه، والرجل في أثره، وصار طريقه على رجال يعملون في مزرعة، فنادهم الرجل أن أمسكوه أمسكوه، فقاموا ليمسكوه فرفع الهارب الحلبة في يده، وقال: (حِلبه حِلبه)، فرجعوا وتركوه، لأنه أوهمهم أنه يطلبه وَيُفَزِّعْ عليه من أجل هذه الشجرة، وهذا شيء تافه لا يستحق التساعد عليه، ومضى في هروبه، فلما وصلهم الرجل، قال: كيف لم تمسكوه وأنا أنخاكم وأقول أمسكوه؟ فقالوا: كيف نمسكه من أجل شجرة حلبة في يده؟ فقال الرجل: إيْه اللِّي ما يدري يقول حلبه، واللِّي يدري يبتحل به، (يضرب مثلاً لمن يلومك على شيء لا يعلم حقيقته). (انتهى).

* * *

من حقوق الوالد

حق الوالد مستقر على ولده، سواء رأى الإِبْنُ أَنَّ أباه أحسن إليه أملا، وعلى الابن أن يقوم بما عليه من بر والده ولا يستخزه الشيطان، بما يلقي في روعه أن أباك لم يفعل معك كذا، ولم يعطك كذا، وتكلم عليك يوم كذا، وضربك في كذا، وحرمك من كذا، وطردك وأقصاك وكذا وكذا، فهذا كله من وحي الشيطان ليوقع الابن في القطيعة وتفكّك الأسرة، وجاء في حديث أنه يأتي زمان يطيع الرجل زوجته ويعق أمه ويبر صديقه ويعصي أباه أو كما قال ﷺ، وهذا وقع عيانًا.

وبعض الأولاد قد يجعل الله فيه خيرًا وبركة.

كان رجل له زوجة، وكان له ابن من غيرها، ولكن لم تتفق طبيعة الابن مع زوجة أبيه، وكثر النزاع بينهما، وشقي الأب بهذه المنافرة وضربه، وقال له: حيث لم تصلح الحال، بالاجتماع، فأنت الآن شاب صالح للعمل، اذهب اطلب الرزق مع الرجال، فذهب الابن وتعلق مع رجال عُقيل للغربية، وصار رَجّالاً طيبًا، وحصل له قبول وحظًا بالبيع والشرى، في الغربية، وصار محله مجتمع الجماعة في وقته للحسابات والتقاضي. ولكن أبوه ساءت حاله بعد ذلك ودق فقره وكثر دينه وتذكر ولده، وجاءته الأخبار بأحواله، فاستأجر الأب رجلاً أعرابيًا بصحبة

بعض رجال عُقيل وكتب معه كتابًا لولده، فلما قدم الأعرابـي على الولد بالشام بكتاب أبيه وقرأه، أشار إلى رفاقه أن لا تظهروا دراهم ما دام هذا الأعرابـي حاضرًا.

ثم إن الولد أشكل عليه أمانة الأعرابـي، لأنه لا يعرفه وخشي أن يسلمه دراهم لأبيه، فلا يوصلها إياه، لأن الدراهم ليس لها صديق، فاقترح رأيًا جيدًا: (فخبز خبزة) ووضع في وسطها جنيهات (ذهب) ونشفها، ثم أعطى الأعرابـيَّ أجرته وأكرمه واعتذر منه، وادّعا أن ليس يوجد عندهم إلاَّ الخبز.

وقال: أخبر أبـي أنه لا يوجد عندنا دراهم ولو كان عندنا دراهم ما بقينا في بلاد الغربة، وأما الخبز فهو عندنا موجود، وأعطه هذه الخبزة وقل له: إذا كان يريد خبز فنحن نرسل له منه، فضحك الأعرابـي عليه واستهزل أمره وأخذ الخبزة، وقدم بها على أبيه في نجد وأعطاه إياها، وقال: خذ وصل ابنك، أنت أرسلتني إلى الغربية (الشام) من أجل خبزة، فأخذها الأب وعرف ما فيها، وقال: إيْه (مَن طاف ما عاف يا رجل)، ثم دخل بيته وكسر الخبزة، وإذا وسطها ذهب (فحمد الله وسجد لله شكرًا)، على رزقه ورجولة ابنه، ودعا له بخير، ثم ذهب إلى أهل الدِّيْن وقال أحضروا دفاتركم، فسدد لهم حقهم ومزق وثائقهم وانزاحت عنه الشرور، وزاد دعاءه لابنه بالخير والتوفيق، كما قيل:

العـود يَـوْم رنِّـهْ يجيـب العيـال　　　يبـي ابتـال العمـر لـذة وطـربـات

(انتهى).

* * *

قولهم ضَبَيْ وَبَالصَّيْف

معناه: أن عقول الصبيان لم تنضج نضاج عقول الكبار، فهم إنما يعتبرون ساعتهم التي هم فيها، وكان الناس أكثر ما تصيبهم المساغب وقت الشتاء، ثم إذا جاء بعده الصيف وهو وقت نضج ثمار الزرع فأكلوا منها وشبعوا، فالصبيان ينسون ما سبق هذا الشِّبَع من الجوع والحاجة، فقد يبطرون النعمة.

وهذا يضرب مثلاً، فإن أكثر الناس صبيان العقول، فإنهم إذا حصل لهم شيء من النعم استقبلوها من غير نظر في عواقبها وما يترتب عليها وما يجب لها، أو كانت بواسطة أعداء، ماذا يراد بها: ففي كتاب ابن سحمان «التقويم» التحذير من خدائع الأعداء. قال:

يا رب لطفك فقد عمت الحلكة ... يريد يصطادنا بهذه الشبكة
أضحى بعلمنا الدنيا وإن له ... لَسِرٌّ يؤلف بين الضب والسمكة

(أما أهل البصائر والعقول)، فهم ينظرون في عواقب الأمور، ويحمدون الله على النعما، ويصبرون على البلوى، ويعملون لسد أبواب الشر قبل وقوعه. (انتهى).

* * *

مصافقْ عَليّه

عَلِيّه: رجل غير كامل العقل، اشترى عنزًا بأربعة ريالات، وجاءه زملاءه من العيايرة، وقالوا: نريد نشتريها منك، نتشارك فيها نأكلها؟ فقال: نعم، اشتروها، فقالوا: بريالين ونصف، فقال: إذاً تكون رخيصة؟ فقالوا: إن كانت رخيصة فأنت شريك فيها، فقال: لا بأس، إذا أنا شريك فأنا أبيعها عليكم، فذبحوها، وباعوا عليه الرأس والجلد بريال، فقالت له زوجته: أنت مهبول؟ تشتريها بأربعة وتبيعها بريالين ونصف؟ فقال: نَشْبِرِي نَبْغِي نْصَافِقْ بِدُنْيانا، (يعني مصافق التجارة)، ويضرب به المثل (مصافق عَلِيّه) في التصرف بنقص. (انتهى).

* * *

القاضي (تـهـا)

تزوج رجل بامرأة في غير بلده وطلقها، وحملت منه بولد، فلما كبر الولد عندها سأل أمه عن أبيه؟ فقالت: أبوك هو القاضي (تها) في بلد كذا، فأتى الولد إلى أبيه فوجده في مجلس القضا والناس حوله، وأبوه لا يعرفه، فوقف أمامه وقال:

أنشـــدك يـــا قـــاضـــي تَهـــا   عـــن امـــرأةٍ تـــزوجتَهـــا
هـــي أمـــي وأنـــا وَلَـــدْتَهـــا   . . . .

فعـرف القـاضـي أنـه ابنـه، فقـام وعـانقـه وبهـش بـه. فتعجـب الحاضرون، لأنهم عوام لا يعرفون المعنى العميق في اللغة العربية، بأن معول اللفظ على تصريف تاء المخاطبة: بالضم للمتكلم، وبالفتح للمخاطب. (انتهى).

* * *

حَيْ ها الرِّيحة

كان رجل في البادية، وكانت زوجته من النساء الطيبات، وكان عنده أبوه عَوْدٌ هَرِم، وكان الابن بارًّا به جدًا وزوجته كذلك، وحين أتت حول الشايب وشم منها رائحة طيبة، حيث كانت النساء تمشط بالورد، والمرأة ذات الزوج يخلط وردها بالقرص، وهو طِيْبٌ تعمله النساء على النار من الجاوني.

الحاصل: أن الشايب جعل ينتشق الرائحة ويقول: (حَيْ ها الرِّيحة)، ثم ينتشق ويقول (حي ها الريحة)، ففطنت له البنت زوجة إبنه، فلما جاء إبنه زوجها، قالت له: إن أباك يبغي له زوجة، فاستشكل ذلك حيث كان أبوه شايبًا هرمًا؟ فاستفسرها عن ذلك: ماذا رأيت من أبـي؟ فأخبرته بانتعاشه حين شم رائحة طيبة، إذ تذكر ماضيه، فعند ذلك عزم الابن على تزويجه.

فذهب لجيرانه وكانت عندهم بنت عانس، فخطبها منهم لأبيه، فضحكوا منه، فقال: أنا أريد أعطيكم من المال ما يرضيكم لذلك، فأعطاهم عشرين ناقة، بينما قد لا يحصل لها ناقة واحدة في الزواج العادي، فأجابوه لذلك، فاشترط عليهم أن تلتزم البنت بأن تساعده هي وتصلحه على نفسها؟ فالتزمت بذلك طمعًا بالإبل، فأتوا بها إليه

ومشطوها بالورد المطيب بالقرص، وقَطَّبُوا عليهما البيت، فحين خلت به البنت وعركت الطيب حول مشامه، ولعبت عليه، حَرَّكَتْ ساكنه، فاستعدت رجولته، فحملته على نفسها فأدرك غرضه منها، ولكن حين أنهى غرضه خرجت روحه ميتًا، وحين أحست هي بخمود حركته ظنته قد مات، وكانت هي ذكية، فلم ترفعه عن نفسها خوفًا أن يُظَنَّ أنها هي التي أماتته، (فنادتهم وقالت تعالوا شوفوا عَوْدَكم وش جاه؟) فحضروا وقربوا منه وإذا هو قد مات فوقها، فحملوه هم عنها، وبعد ذلك ذهبت لأهلها، وبعد أيام تزوجها أحد الجيران، فحملت وأتت بولد، وداموا جيرانًا لبعضهم، وحين كبر الصبي وترعرع، صار أبوه يضربه عند أدنى شيء ولا يعطف عليه، وصار الرجل الأول ولد الشايب يود هذا الصبي مودة خاصة ويحنه، وإذا رآه انفاج له قلبه، وإذا ضربه أبوه تفطر قلب هذا لضربه، فيقول أظن هذا الصبي أخ لي ولحمة مني، لأن ضربه يوجعني، وأبوه يضربه ضرب عداء فلو كان هو أبوه ما ضربه هذا الضرب، فتزايد أمره وتألمه للصبي، حتى قام وادعى على الرجل أن الصبي أخوه؟ فلم يعترف أبو الصبي بذلك وقال: (أبوك عود هريان، مَرَّ عليها مثل أوماي الفرس بذيلها، وأنا زوجها من ذاك الوقت، وتبغي الولد لك؟ رِحْ وراك)، فصمم الرجل على دعواه عليه، ورفعها لأميرهم، فدفعهم الأمير للقاضي (العارفة). فحمل الصبي أبوه، وذهبوا للعارفة، هناك وعرضوا عليه قضيتهم؟ فقال: أقيموا هنا حتى ننظر في دعواكم، وكانت بنت العارفة تسرح بغنمه أَوْ إِبله، فأرسل الصبي معها كي تختبره: تساعد أباها على معرفة قرائن الحال؟ فلما

أتت به من السرح أخبرت أباها بما رأت، قالت: (إنه هارية ولد عود من جاريه)، حيث قد اختبرته بشيء، «لكني أنا قد نسيت الشيء الذي اختبرته به».

ثم بدأ العارفة بتمييز القضية، فأحضر المدعى (ابن الشايب)، وأخذ إفادته، وعرض عليه الصلح والتنازل عن دعواه؟ فأبى وصمم عليها، فأقامه هناك، وأحضر الرجل الثاني، وعرض عليه الصلح والتنازل عن الصبي؟ فأبى وقال: كيف أتنازل عن ابني؟ فأقامه، وأحضر الأول، وراوده على التنازل عن دعواه؟ فأبى بتاتًا، فقال العارفة: إذا كنت أنت أبيت عن التنازل، وهو كذلك أبى عن التنازل فلا عندي لكم حل إلاَّ أن آخذ السكين وأشق الصبي بينكما أنصاف؟ فاهتز الرجل واضطرب لحمه، وقال: لا والله يا شيخ إذا وصلت الدعوى إلى شق الصبي فأنا أتنازل عنه ولا تشقه؟ فأقامه القاضي هناك، وأحضر الرجل الثاني أبا الصبي، وراوده على التنازل عن الصبي؟ فأبى وقال: أتنازل عن ابني؟ لا أتنازل أبدًا، قال القاضي: إذا كان هو أبى أن يتنازل وأنت أبيت، فأنا لا أجد لكما حلاً إلاَّ أن آخذ السكين وأشق الصبي بينكما نصفين؟ فقال الرجل نعم شقه ولا أتركه له: فقال القاضي: الأصل أن الصبي ليس ابنًا لك، ولكن اعطه أخاه، ثم قال للأول خذه فإنه أخوك، فاستلمه ورجع به قرير العين حيث أنقذه من اليد الغاشمة. (انتهى).

* * *

بدعة الجنايز.. وترك الأفضل

معلوم لدى المسلمين أن الله تعالى خلق الخلق وقدر مقاديره، وجعل لهم دارين ــ دار الدنيا ودار الآخرة: والدار الدنيا هي مزرعة الآخرة، فمن عمل هنا لأمر الخالق أُجِرَ هناك، ومن تعب هنا لإرضائه استراح هناك، ومن عقل هنا ساد هناك؛ ومن زَمَّ نفسه هنا عن محارمه وصبرها لطاعته وأخضعها لعظمته فقد حررها وأنجحها هناك، (ذلك يوم التغابن) ومن اتبع نفسه هواها هنا وتكبّر عن عبادة الله: فأمامه الْمُلَيِّنُ الأعظم (نار وقودها الناس والحجارة).

ومعروف لدى الجميع في هذه الدنيا، أنه يولد مولود ويهلك هالك، فلولا ولادة المولود لفنيت الدنيا، ولولا هلاك الهالك لضاقت الدنيا بأهلها، إلى أن تنقضي مدة الدنيا.

وسنَّة المسلمين في الجنايز منذ كان الإسلام، أنه إذا مات الميت قاموا بتجهيزه، إلاَّ أن يكون موته فُجْأَةً فَيُنتظر به حتى يُتَيقن موته، ثم يجهزونه ويصلّون عليه في أول وقت يليه، وإذا مات بعد العشاء الآخرة جهّزوه بليلهم لصلاة الفجر: وإذا مات صباحًا جهّزوه وصلُّوا عليه ودفنوه قبل الظهر غالبًا، وكل أهل مسجد يصلُّون على جنائزهم في مسجدهم ونحوه، ولا ينتابون مسجدًا معينًا، لا جامعًا ولا غيره،

بخلاف ما يفعل في هذا الوقت، فإنهم اتخذوا الصلاة على الجنازة في الجامع سنَّة مؤكدة، بدعوى قصد كثرة المصلِّين على الجنازة: وهذا لا بأس به، ولكن الجيران لا بد أن يحصل بينهم شيء من المظالم كالغيبة ونحوها: فإذا حضرت جنازته عند جيرانه وأهل مسجده حصلت لهم موعظة، وتذكروا الموت، ولانت قلوبهم، وحللوه، ودعوا له بالرحمة والمغفرة: فيحصل له ولهم من الخير أكثر منه إذا صلّى عليه غير جماعته.

أما الآن فالجنازة تحمل من المستشفى للجامع للمقبرة، فأكثر الناس في هذا الوقت ما يرون الجنازة، إنما يسمعون بموت فلان وفلانة سماعًا وليس الخبر كالمعاينة، فحضروها في حيّهم ومسجدهم له أثر جيد على الجميع.

ومعول أمر الميت على عمله وحسن خاتمته، فإن كان عمله صالحًا فهو ناجٍ ولو لم يصلِّ عليه أحد، وإن كان عمله غير صالح فلا ينجيه ولو صلَّى عليه الناس عند الكعبة، (كل نفس بما كسبت رهينة).

وأما تأخيرهم تجهيز الميت ودفنه، طلبًا لاجتماع المصلّين أو حضور بقية أقاربه بوقت كذا وكذا: فهو أيضًا خلاف قول الرسول ﷺ، «لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهلها»، الحديث رواه أبو داود، عن الحصين ابن وحوح رضي الله عنه، وقوله في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن

رقابكم» الحديث، فتأخيرها عن حسب الإمكان خطأ على الميت وعلى الأحياء لهذا الحديث وغيره.

أما حديث الترغيب في كثرة المصلّين على الجنازة، فهو لا يعني تأخيرها، ولا انتياب غير جماعتها. وقال أُبَـيُّ ابن كعب رضي الله عنه: (عليكم بالسبيل والسنَّة وفي آخره: وإن اقتصادًا في سبيل وسنَّة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنَّة) رواه أبو نعيم وغيره. (انتهى).

* * *

الآن يمد أبو حنيفة رجله ولا يبالي

معروف لدى الجميع، أن العلماء رحمهم الله، كانوا يجلسون لتعليم العلم في المساجد، ويحضرهم المتعلّم والمستمع، وكان رجل عامي يحضر حلقة أبـي حنيفة يستمع، وأبو حنيفة رِجْلُه تؤلمه ويمدها ولو أمام تلاميذه، وإذا جاء هذا الرجل هابه وكفّها، وكان هذا الرجل لا يسأل عن شيء طول مدته، وذات يوم تقدم بسؤال، وقال: عفا الله عنك يا شيخ، إذا غربت الشمس أين تذهب؟ فعتب عليه أبو حنيفة وقال: (هذا شيء لم يصل إليه علمنا، ولكن: الآن يَمُدُّ أبو حنيفة رجله ولا يبالي ثم مَدَّ رجله). وأبو حنيفة عتب عليه لأنه عامي ويسأل عن شيء من فروع العلم، والإنسان يجب عليه أن يتعلم ويعرف ما يلزمه في عباداته ومعاملاته قبل أن يسأل عما لا يعنيه، لأن ما لا يعنيه: الجهل به لا يضر، ويبدء في تعلّم الأهم فالأهم، كما قيل:

العلـم زيـن وخيـر النـاس يطلبـه والجـاهلـون لأهـل العلـم أعـداء

فـاظفـر بعلـم تكـن حيًّا بـه أبـدًا النـاس مـوتى وأهـل العلـم أحيـاء

(انتهى).

* * *

الإصابة بالعين شيء مهم

العين هنا هي: الإصابة بالنفس الخبيثة، (وهي إصابة حقيقية) كما جاء في الحديث: «لو شيء سبق القدر لسبقته العين» رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيها ثمانية عشر حديثًا، ذكرها ابن كثير في تفسيره على قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم/ ٥١].

وعلاجها النافع بإذن الله، هو المبادرة بالقرآن عليها من كل مسلم ولا يختص بأحد دون أحد، ومن علاجها الناجع أيضًا أخذ شيء من فضولات العائن وغسله ويشرب منه المصاب ويصب عليه، كما قالت عائشة «كان يؤمر العائن فيتوضأ فيغسل منه المعين» رواه أبو داود.

والوقاية من العين قبل وقوعها هو تغطية الشيء المخاف عليه وتشيينه، كما قال الشاعر:

ما أحوج هذا الجمال إلى ... عيب يغطيه عن العين

ومن الوقاية أيضًا: قوة العزم والاعتماد على الله سبحانه، وعدم المبالاة بمن تظن به العين، وكذلك قول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، وقول: «اللَّهمَّ إنَّا ندرأ بك في نحره ونعوذ بك من

شره»، يعني العائن. ويجب عليك أن تكف أذاك عن الناس فلا تصيبهم بعينك، بحيث إذا رأيت ما يعجبك أن تقول: (ما شاء الله، بارك الله فيه) وترد بذلك نفسك عنه.

كان جماعة من أهل إحدى القرى، يجلسون كل يوم قرب طريق فيها، وإذا رجل يمر كل يوم من هنا، فقال بعضهم: لماذا يمر هذا من هنا؟ فأساءوا فيه الظنون والأقوال، فقال بعضهم: انْحَتُوه أي أصيبوه بأعينكم، ثم قالوا: بل نذهب نأتي بفلان ليصيبه بعينه حيث كان معروفًا بقوة الإصابة بالنفس، فاستدعوا فلانًا وقالوا: نريدك تنحته ونعطيك الذي تريد؟ فحضر معهم وجلسوا، فلما أقبل الرجل في الطريق قالوا لصاحبهم: هو ذاك جاء فأصبه؟ فقال صاحبهم: وكم تعطونني إذًا؟ قالوا: اطلب منا أنت الذي تريد نعطيك؟ فقال: بمائتين ريال (ميت ومرشوش قبره: وأنا معكم) فقالوا: لا، هذا كثير فقال: بمائة وخمسين ريال يعمي بصره؟ فقالوا: لا، هذا كثير، فقال: بمائة ريال تنكسر رجله؟ فقالوا: لا، هذا كثير، لا داعي لهذا كله، حنا نحسبك تبغي تطلب منا عشرة ريالات أو عشرين على الأكثر، فقال: بعشرين ريال أخليه يضيق صدره فقط، فقالوا: لا، ما يكفينا هكذا، فقام وذهب عنهم صاحبهم ولم يصنع لهم شيئًا بالرجل المار. (وسئل الرجل المار: كيف عجزوا عن إصابتك بعينهم؟ فقال إني أقرأ الورد واستعيذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ومن شرهم).

إذًا: فاعتبر مثل هذا أنت بنفسك، فلو أنه اعتدى عليك وأصابك

أو أصـاب أحـدًا مـن قـرابتـك وأهلـك فبمـاذا تحكـم عليـه مـن الجـزاء والنكال؟ ألست تود أن يسجن ليسلم المسلمون من أضراره؟

ولو تتبعنا الوقائع بمثل ذلك والتي قد وقع مفعولها واشتهر ضررها لطال الكلام، عِلْمًا بأن بعضها يقع عمدًا من العائن وبعضها يقع بغير عمد. (انتهى).

* * *

الشيطان ذئب الإنسان

لأن الشيطان قد سلَّط على الإنسان، فيدخل على قلبه فيشمه ويعرف ما فيه من خير وشر، فإن وجد فيه كسلاً وفتورًا ثبطه عن طاعة الله وزين له المعصية، فإذا انقاد له أدخله في البدع والشكوك، فإذا استجاب له فلا يزال يتلاعب به حتى يخرجه من الإيمان ويدخله في الكفر. وإن وجد في القلب نشاطًا وحِرْصًا زين له الغلوّ في الدين، وأعجبه بنفسه وعمله، وحقّر عنده العلماء والصالحين وسائر المسلمين فيحبط عمله، وهذا هو غاية مطلوب الشيطان منه، أن يخرجه عن الصراط المستقيم، إما بتقصيره وإما بغلوّه، فيخرجه من الجنة ويخلده معه في النار، فصار على الإنسان أعظم من الذئب على الشاة. لأن الذئب يقضي على حياة الشاة في الدنيا، والشيطان عَمِلَ لشقائك في الآخرة الشقاء الدائم، كما حكى الله عن إبليس أنه قال: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧].

قيـل: نام رجل مسلم حول جدار عائب (قارب أن يسقط) لم يعلم بعيبه، فأتاه آتٍ فأيقظه قائلاً: قم ــ قم لا يسقط عليـك الجدار فإنه أخذ ينقض، ففزع الرجل وقام وأبعد عنه، فسقط الجدار وهو

ينظر، فالتفت إلى الرجل الذي أيقظه وقال: جزاك الله خيرًا إذ أنقذتني منه، فمن أنت؟ فقال: أنا (إبليس) فقال الرجل: وإبليس ينصح لمسلم وينـذره الهـلاك؟ فقـال إبليـس: إنـي خشيـت أن يسقـط عليـك فتمـوت شهيدًا، فأردت أن يؤخر أجلك لعل ولعل: لعلّي أغويك قبل أن تموت. (انتهى).

* * *

شليويح العطاوي

قيل: ذهب شْلَيْوِيح يتطلب الكسب (نهب الإبل) من العرب (قحطان)، فلما قرب منهم هناك، اختبأ في محل مرتفع يشرف على ما حوله (يسمونه مرقب) وفي الصباح انتشرت الإبل هنا وهناك، وأتت إبلٌ حول هذا المرقب، والراعي معها بنت كبيرة، فأتت تطلع فوق هذا المرقب، لتغني كالعادة، حيث كان هذا الجو خِلْوٌ من الناس تلك الساعة، لتهيض الضيقة عن صدرها، حيث قد كبرت وتريد الزواج، ولكن ابن عمها (الوِرْع) الذي يريدونه يتزوجها صغير؟ فقالت:

الـورع الصغيـر حُبُّـه شعـانـي ... شَعْيَـةْ اِنْيـاقٍ شلعهـن شليـويـح
وِضْـح شلعهـن مـن ديـار قحطـان ... وَقْفى عليهن مِرْذِيْ الْفُطَّر الْفِيح
شلعهن شلع من اخشوم اذهلان ... من خوفٍ يُرْمى لهن بالمصابيح

فلما سمع كلامها فيه أعجبه، فأراد محادثتها عن بعد على عفاف وحشمة، فتنحنح وظهر من مخبئه، فلما رأته صاحت (آه وَاخِزْياه) فقال: ما عليكِ كلامك شرف ما فيه عيب، هل تعرفين شليويح؟ قالت لا والله ولكن أسمع أخباره مع الناس، فقال:

يـا نـاشـد عنـي تـرانـي شليـويـح وتـرانـي بقطـع الخـرايـم عـزوم
أسـرى لـو هَـدَّتْ علـيّ النـوايـح وخـوينـا بـالطـرقـه مْخَـدوم
وإيلا قلّة الوزنه وربعي مشافيح أقلـط الـوزنـه لـربعـي وشـوم
وإيـلا تقـاسمنـا اذويـد المصـاليـح يجـي قَسْمـي مـن خيـار القسـوم

ثم قالت: (يا ويلي واخزياه) قال ما عليك، وين أهلك؟ قالت ذاك البيت: ماذا تريد؟ قال أريد اضيف عندكم، فصاحت وقالت تبغي تفضحني، فقال لا ولكن أريد أخطبك من أبيك، قالت اذهب ضف عندنا وعلوم الرجال عندهم، تعني خِطبتها.

فذهب وضاف عندهم، فاستقبله أبوها بإكرام الضيف كالعادة ولم يعرفه، فحضر بعض الجماعة للقهوة وعِلْم أخبار الأجنبي كالعادة، فلما رآه شايب منهم عرفه وقال: أنت شليويح العطاوي؟ فقال: كله، (يعني نعم أنا هو) فقال الشايب: أنت جايٍّ تبـي تنهب إبـاعِرْ قحطان؟ قال شليويح: لو أنا أبغي أنهبهم ما ضفت عندهم، فسكت الشايب.

وحيث عرفه راعي البيت قام وذبح شاة وعزم القريب من الجيران، فلما تعشوا وتفرقوا، قال شليويح للرجل: أنا جاي إليك أخطب منك ابنتك راعية الإبل؟ فقال الرجل: أبرك ساعة ألله يبارك بالبنت التي تقربك منا، فزوجه إياها، (ويزوج ابن أخيه الْوِزْع) البنت الثانية إذا كَبُرَ وكَبُرَتْ.

قولها: (حُبُّهْ شَعاني)، الشعي: هو المطاردة بإمعان.

قولها: (مِرْذِيْ الْفُطَّر الْفِيح)، أي: متعب النِّياق الجيدة بالطرد.

قولها: (من خوفٍ يُرْمىٰ لهن بالمصابيح)، أي: إذا أخذهن بالليل صار يطردهن بالقوة يركض على رجليه هاربًا بهن، خوفًا يُدْرَك في الصباح (فَوَجْدُها للزواج هكذا).

وقد جرى لشليويح عدة قضايا تشبه هذه، وكلٌّ يعد ما يعرفه. (انتهى).

* * *

فصل

دخول الحمام وموت سعد بن عبادة

سمع الصحابة رضي الله عنهم جِنِّيًا يغني على المنبر يقول:

نحـــن قتلنـــا سيـــد الخـــز   رج سعـــــد بـــــن عبـــــادة

قـــــد رمينــــاه بسهميـ   ـــن فلـــم نخطـــىء فـــؤاده

وكان سعد رضي الله عنه مسافرًا مع أصحابه، فلما قدموا وإذا هو قد مات بغتة في الطريق في اليوم الذي سمعوا فيه الجني يغني، وسألوا عن سبب موته فقالوا: إنه بال في جحر فمات في مغتسله، ذكر القصة ابن كثير في تأريخه بأبسط من ذلك، ولهذا لا يجوز البول إذا كنت في الصحراء في صدع الأرض والجحر وتحت العفش والحجر.

وأما الحمام فأنت تسمي قبل الدخول كما تسمي في الصحراء، تقول: «بسم الله أعوذ بالله من الخُبُثِ والخَبائِث»، وإذا جلست في الحمام فلا تبول حتى تصب ماءً ثم تطلق البول ينسحب مع الماء، قرره شيخنا بقوله: (ولا يجوز البول في شقوق الأرض وجحر الدبيب ونحوه ولا الحمام إلاَّ أن ينسحب مع الماء فلا بأس، لأن الحشوش مساكن الجن، فإذا آذاهم الإنسان فقد ينتقمون منه)، ثم ذكر حديث موت سعد بن عبادة رضي الله عنه. (انتهى).

* * *

فصل.. وفيه قصة:
المصالح العامة تقدم على المفسدة الخاصة

فالشمس فيها صلاح للعالم وهي تضر في بعض الأحيان على بعض الناس وبعض الأشياء، والمطر فيه صلاح العالم وفيه ضرر لبعض الأشياء، وكذلك الرياح والحر والبرد كل ذلك فيه مصالح عامة ومضار خاصة، فتقدم المصالح العامة بحكمة الله تعالى، وتغتفر المضار الخاصة، وكذلك بعض أحوال الناس فيها مضار خاصة ومصالح أعم، فمثلاً بعض الحروب فيها مضار وفيها مصالح أعم، فما بُسِطَ دين الله الإسلام في الأرض إلاَّ بالحرب، وما استقر الأمن في البلاد والعباد إلاَّ بالحرب، وهي كره على النفوس.

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وإخراج الزكاة كره على النفس وفيه مصالح كثيرة، (ما نقص مال من صدقة بل تزده بل تزده).

كذلك من أحوال الناس، تزوج الرجل ثانية على زوجته في بعض الأحيان، هي تتضرر بذلك في أول الأمر غالبًا، ولكن فيه من المصالح

العامة ما لا يحصى، حتى هي الزوجة المتضررة قد يحصل لها مصالح بذلك أكثر وأرجح مما تعانيه من الضِّرار، ولو أخذنا نعدد المصالح العامة المقابلة لهذا التضرر والمصالح الخاصة حتى المتضررة نفسها لطال الكلام، ولكن عليك أن تسلم أمرك لحكمة الباري سبحانه ولو لم تعرف سِرَّ الحكمة في ذلك. ونذكر هنا قصة: تدل على بعض الحكمة والمصالح في شرعية جواز الزواج بأكثر من واحدة.

هناك أعرابـي له زوجة، وصار نسلها بنات، فولدت ست بنات، ثم تزوج عليها زوجة ثانية بنتًا، فولدت له ابنًا، فزاد جزع الأولى وتضررها وغيرتها، وفي ذات يوم صباحًا، وعادة الأعراب يطبخون البقل (الأقط) على النار، فالزوجة الصغيرة أم الصبـي ذهبت تحتطب والزوجة الكبيرة تطبخ الأقط، حول البيت، فجاء الصبـي يحبو إلى النار، والمرأة تنظر فتركته من شدة الغيرة فيها، حتى وصل النار ومسكها بيده، فأحرقت أصابعه وانعقد كفه، ثم مات الأب بعد ذلك، وكبر الصبـي ويده منعقدة، ومضت حالهم جميعًا بعد الأب، وصار الابن رجلاً طيبًا وكثر مالهم. ثم زوج إحدى أخواته من المرأة الأولى، ومن عادتهم أنهم يحملون البنت إلى بيت زوجها بعد الزواج، فلما أراد ترحيل أخته، قَرَّبَ بعيره وشد عليه الشداد: جعل يشد الحبل (البطان) بيده، ثم يمسكه بفمه، ثم يشده بيده ويمسكه بفمه، والمرأة العجوز أم البنت تنظره، فحمل أخته إلى زوجها تشريفًا لها، ثم زوج الثانية كذلك يشد على البعير، يشد الحبل بيده ويمسكه بفمه، لأن يده واحدة منعقدة، ويفعل هذا والعجوز تنظر ثم رحّل أخته، ثم زوج الثالثة

والرابعة والخامسة، ثم السادسة، ولما جعل يشد على البعير في السادسة ويمسك الحبل بفمه والعجوز تنظر، إذ صاحت وصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها، فترك هو البعير وجاء إليها، وكان يقول لها يا أمه، وظن أنها صاحت على بنتها، فجعل يلمها ويستهدئها ويقول: يا أمه كل البنات يتزوجن، وسوف تروح وترجع بالعز والكرامة وكذا وكذا، فلما أفاقت قالت: ما بكيت على البنت لعلها فدائك، إنما بكيت على الفعل الردي الذي جرى مني، فقال: ما جرى منك إلاَّ خيرًا، قالت: بلا جري مني أنك يوم أنت صبي وتزحف إلى النار وأنا عندك أنظر، ولكن من شدة الغيرة والجوار تركتك حتى مسكت النار بيدك، واليوم هذا فعلك في بناتي، فقال: أنتي في حل مني ولا ندري وين الخيرة، انظري كثرة حلالي ويمكن لو يدي سليمة ما كثر مالي، فقالت: الذي مضى ما يمديني أرده، ولا يتأسف إلاَّ راعي الردى، فأنا الآن آسفة.

ومن مصالح تعدد الزوجات: غلاء النساء، وإكرامهنَّ، والقيام بشؤونهن، وإراحتهنَّ في البيوت، وكثرة النسل، وغير ذلك، بخلاف الأمم التي ليس عندهم تعدد في الزوجات، كما تعلم حال نسائهم، من التبذل، والعناء، والتعب، وتحملها الهموم لنفسها، ومجابهة الصعوبات والأخطار بنفسها، وغير ذلك. (انتهى).

* * *

رجل يتحدى زوجته.. وتصبر

كان الناس أكثر أوقاتهم لا يحصل لهم طعام يكفيهم، فيحرصون على تزويج الإنسان الثري الذي عنده طعام، من أجل أن البنت تعيش عنده، ولو كان غيره أحسن منه سيرة.

فمن ذلك كان رجل (شرس الأخلاق على المرأة)، يتحداها حتى إذا عجزت طلقها، إلاَّ أنه ثري والمرأة عنده تُرْغِد. فخطب امرأة وأخبرت بأخلاقه وحاله، (أو هي خطبته)، الحاصل أنها التزمت بأن ترضيه وتصبر على شراسته، فلما تزوجها قالت: أخبرني برغباتك ورَهَباتِك؟ لأجل أرضيك ولا أسخطك إن شاء الله، فقال: حنا مغنينا الله ونبغي عشانا كل يوم شكل، يوم قرصان، ويوم مرقوق، ويوم طبيخ، ويوم موره، وهي: الفوره (المزه)، ثم قال: (ولا تصلحين شيئًا حتى أنا أقول لك).

فقالت: نعم إن شاء الله فاستمرت الحال صالحة مدة، وذات يوم صادفت الحال أن جاء وقت طبخ العشاء، وهو غير موجود، ولم يخبرها ماذا تعمل، فتحيرت ماذا تصنع؟ إن تركت طبخ العشاء حتى يجيء، إذا هي مشكل ويمكن يلومها، وإن طبخت شيئًا وهو لم يعلمها

به فيمكن أن يلومها، وله عليها مقال، لأنه قد أخبرها أن لا تصنع شيئًا حتى يعلمها. ثم اقترحت رأيًا جيدًا، فعملت من كل نوع شيئًا يكفيه، فلما جاء في وقت العشاء، قال: هل عندك عشاء؟ قالت: والله يا بن الحلال أنت ما أعلمتني عما ذا أصنع، وأنا تحيرت، هل أترك الطبخ حتى أنت تأتي أو أطبخ ولو أنت ما أمرتني، ولكن الآن أخبرني بالذي تريد أحضره لك؟ فقال: أبغي قرصان، فأحضرت له القرصان، فقال: من أمرك تطبخين قرصان؟ أنا ما أمرتك بهذا، فقالت: يابن الحلال أنت ما أنت حاضر وأنا ما أحببت أتركك بدون عشا، ثم زاد غيظه، ثم قالت: وماذا تريد أحضره لك؟ قال: أريد مرقوق؟ فأحضرت المرقوق، فقال: من أمرك بهذا؟ أنا ما قلت اطبخي مرقوق؟ ثم زاد غيظه مثل الأول، ثم قالت: وماذا تريد الآن أحضره لك؟ قال: أبغي طبيخ؟ فأحضرته له، ففعل من التغيظ مثل الأول، ثم أحضرت له المورة وهي المزة، ويقال الفورة ثم تغيظ مثل الأول، ثم قالت: وماذا تريد؟ فطلب أن تحضّر له ما لا يحسن ذكره، فلم تغضب هي، وأظهرت احترامه وتقديره وعدم مؤاخدته، فسكن غضبه وقال: خلاص انتهينا أصلحي لنا انْتِي الذي تريدين بدون شورى وأنتِ مني في حل، وصلحت حالهم بعد ذلك. كما قيل:

الصبـــر زيـــن وفيـــه ثنتيـــن   فيـه الجميـل وتـأخـذ الحـق وافـي

(انتهى).

* * *

حيسي ديسي

قيل: جلس رجل وامرأته يأكلان عشاهما جميعًا، وكان الناس لا يحصل لهم اللحم إلاَّ بعد مدة، ولكن يَدِمُون عشاهم بالودك وهو الشحم المذاب إن تيسّر لهم وجوده، فهو نفَّاع مقوي للجسم يطبخ مع الطعام، أو يدمون بسمن الغنم والبقر الطبيعي، ولكن يضعونه بحوض فوقي العشا بعد غرفه، فإذا أخذ اللقمة بيده غمس طرفها بالدهن ثم أكلها، وهكذا حتى ينتهي، وهذا الرجل حين قدمت زوجته العشا وأعلاه حوض به سمن، أراد هو أن يستأثر ببعضه دونها، بناء على العادة المألوفة: أن المرأة الطيبة تؤثر زوجها على نفسها وأولادها بالأفضل من الطعام وغيره، لأنه هو قيمهم وعائلهم فهو يتعب نفسه ويتجشم الأخطار والمصاعب للحصول على قُوْتِهم وراحتهم وأمنهم، فهو يستحق الإكرام والمساعدة على ذلك، كما قالت المرأة الطيبة: (نقوم على أبينا يقوم علينا) تعنى: تَحْضىٰ له بالطعام النافع لصحته حتى لا يهزل فيعجز عن السعي لرزقهم، فمن أجل ذلك: قال بأصبعه هكذا يفتح طريقًا للسمن إلى جانبه وقال كلمة يذكرها بعض الحالة الخاصة تكون بينه وبينها، لترق له وترحمه وتسمح له بالأفضلية عليها، ولكن المرأة صارت لئيمة لم تعطف عليه وتؤثره على نفسها، فقالت بيدها

هكذا تحرك الطعام وتخلطه كله بالدهن وتقول (إنّه كل عمري أنا وإياك حيسى ديسي).

فهذه المرأة ليست من النساء الخيار الطيبات، فإن خيار النساء المبقية على زوجها الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها كما مر.

وإليك قصة المرأة الخيار: فقد حدثني رجل ثقة موجود هو وزوجته حتى الآن، حيث كان الناس يسنون على الإبل قبل ظهور مكائن الماء، وكان بعض الفلاحين والزراع يستأجرون رجلاً عاملاً هو وأهله يقوم بعمل السواني كله وإصلاح البتات وهو أثاث السواني (الحبال والقتب وهو شِداد صغير ووقايته يُشد على مقدم ظهر البعير يربط عليه بثلاثة حبال، واحد الأمامي فوق الكتفين وتحت الرقبة (هو اللبب) على النحر، والثاني الأوسط (هو البطان) على أمامي البطن يحف الزور، والثالث (الحقب) على مؤخر البطن أو تحت الذنب، وهذا القتب يربط به الرشا (حبل الغرب) الذي يُخرج به الماء من البئر على البعير.

وكان العامل تساعده زوجته، تُعْقِبُه إذا تعب تعمل عنه. فهذا الرجل كذلك يعمل السواني عند المعازيب وتساعده زوجته، وكانت حاملاً مُتِمًّا، وذات ليلة وضعت حملها بعد المغرب، وكانوا وقت شِطَّةْ سواني: لأن الزرع (القمح) يحتاج زيادة سقي في أواخر عمره يغتنمون بالسقي وقت نموّه لتكثير غلته، فهذا الرجل العامل حين ولدت زوجته ليس ثم من يساعده يعقبه يستريح بعض الوقت، لأن المعازيب كل منهم

في عمل، فاستمر الرجل في عمله السواني حتى بعض الليل، فتعب وغلبه النوم، فتارة ينام وهو يمشي مع السواني، وتارة ينام واقفًا وتقف السواني، وكانت السواني يسمع لها صوت طَنْطَنة: فامرأته محلها قريب منه، سمعته هكذا: فرحمته وعطفة عليه وأهمها شأنه ومساعدته وراحته، فشدت جسمها بثوبها واحتزمت به، وخرجت تدفع نفسها وهي حديثة وضع، فما علم إلاَّ وهي تأخذ العصا من يده وتزفه خارج المنحات، ليستريح وينام وتسنى عنه، فأبى هو عليها ورحمها وهي هذه حالها، وقال لها بسم الله عليك، ولكنها عزمت عليه ودفعته فخرج ونام ساعة، ثم قام ومسك عنها رحمها الله.

فوازن بينها وبين المرأة الأولى تجد الفرق شاسع:

فـرقكـن يـا البيـض رِجْلِي وخيّـال　　　مثـل فـرق السلـم نيـره وربيـه

ولا تكذب بهذه القصة فقد حدثنيها الرجل نفسه، والقصص غيرها كثير بمثل ذلك.

وقيـل:

خطـــو الحليلـــة تقـــل دره　　　تسليــك عــن بعــض الأحــوال
وخطــو الحليلــه كِفــا شــره　　　تحــدث علــى كبــدك القــالــي

ويحسن هنا إعادة قصة (سين)، أم عقاب، لما ماتت، جعل زوجها يرثاها بقصيدة جيدة: منها قوله:

يا سين يا أم عقاب ياسين ياسين　　　يا عين خِشْف الريم ترعى وَحَدْها
إيلا شافتني زعلان قامت ترضين　　　مثل الشفوق اللي ترضى ولدها

وايلا شافتني بردان قامت تدفين وترصني على الضمايـر بيـدهـا
ما دوجت بالشين بين الفراقين ولا طوحت يم الرفايق جهدها

وهناك رجل لما سمع قصيدة أبو عقاب قال بضد ذلك :

وانا ايلا شافتني زعلان قامت تشالين ياكنني بالسيف ذابح ولدها

* * *

بركة الشراكة بصلاح النية

تشارك رجلان، أحدهما شايب والآخر شاب، وزرعا قمحًا، فلما انتهى الزرع وزبروا غلته القمح، قسموه نصفين، فجعل أحدهما يحمل من نصيبه على رأسه يدخله في البيت يحرزه، ويبقى الآخر هنا يعمل ويحرس، وكانا كل واحد يخلص لشريكه كما يخلص لنفسه وأحسن، وصارا إذا حمل الشاب قمحًا وذهب به لبيته: قال الشايب في نفسه: هذا شاب مقبل على الدنيا ويحتاج المعاونة (فيزوح من زبرته القمح على زبرة شريكه الشاب) وإذا حمل الشايب قمحًا وذهب به يوصله بيته والشاب هنا يعمل ويحرس، فيقول في نفسه: إن شريكي شايب عاجز والمساعدة تنفعه، وأنا شاب مستقبل الدنيا وماكِنٌ على خير إن شاء الله، فيزوح من زبرته القمح على زبرة الشايب، ولم يعلم كل واحد ما صنع شريكه، فنزلت البركة لهما فيه، فامتلئت بيوتهما قمحًا والزبرتان في الجرين (هو موضع إصلاح القمح) لم تنقصان، فاستغربا الحال (الواقع) وتسائلا عن سبب ذلك؟ فأخبر كل واحد صاحبه بصنيعه، فعرفا أن البركة نزلت لهما، وقالا صدق الله ورسوله (إن الله ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما الآخر).

قصة أخرى:

أراد رجل أن يشارك رجلاً: فاستشار صديقًا له في ذلك؟ فقال المستشار: (تعالوا أنت وإياه للقهوة لنختبره لك، فحضروا عنده فأجلسهما جميعًا إلى جنب بعضهما ووضع بينهما مركًا واحدًا فاتكىء عليه ذاك كله ولم يترك لجليسه منه شيئًا، وبعد ذلك سئل الرجل صاحبه: ماذا ترى في الموضوع؟ فقال: إنه لا يصلح للمشاركة، ألا تراه لم ينصفك في المجلس فهو لا ينصفك في سائر أحوال الشراكة. (انتهى).

* * *

من أوقات الحروب

بلدة (أوْثال) قرية شمالي القصيم، وأهلها فيهم رجولة وشجاعة، ومباشرة للضيف، وكذلك نسائهم عفيفات شريفات.

حدثني رجل من التواجر أهل اضراس، يقول: ضاعت لي ناقة في وقت السواني على الإبل وأنا جذع غير كبير، يقول: فركبت الناقة الثانية وذهبت أتطلبها في البر[1]، فأمساني الليل، وأنا قرب أوثال، فميلت عليه من أجل الضيافة والمبيت، عادة الناس ذاك الوقت، أتيته من الناحية الغربية، فقصدت أقرب فلاحة تليني فوصلت قرب بيت الفلاحة وقت صلاة المغرب، فأنَخْتُ ناقتي وعقلت يدها وصلّيت عندها، فلما سلمت من الصلاة، وإذا المرأة واقفة خلفي، فقالت: اقْلِطْ يا ولد (أي تفضل ادخل في البيت للضيافة) ثم انصرفتْ، يقول: وكان معي كيس فيه قرصان ناشف زهابـي فأخذته معي فتبعتها، فلما وصلتْ باب البيت وقفتْ حتى وصلتها فدخلت وقالت: اقلط، ثم دخلتُ ووضعتُ الكيس في طريقها، وإذا هي توقد النار وتعمل في تجهيز القهوة، وهي متسترة، يقول: فجلست في أدنى المجلس،

(١) ومثل حالة هذا الذي يتطلب الذاهبة في البر: يسمى (راكب تعاسيف) فهو الذي لا يقصد جهة معينة: وَيُذْكَر في كتب الفقه: (هل تجوز له رخصة السفر أم لا؟) ورجح شيخ الإسلام الجواز.

وأشكل عليَّ الأمر، حيث أنها امرأة ولم أجد في المحل رجل، وإن كان البيت فيه عائلة لكن أنا لا أحب أن أبقى عندهم إذا ما عندهم رجل كبير، ولا يمكن أن أرجع بعدما دخلت وأنخت ناقتي عندهم.

يقول: فما لبثت إلاَّ قليلاً وإذا الرجل أقبل من جهة البيت، وهو يهلي ويرحب قبل أن يصل المجلس ويراني، يقول: يا هلا يا هلا يا الله حيُّه الساعة المباركة يا الله حيه، (وهذا يدل على أنه قد رأى الضيف (الطرقي) صاحب البعير، أقبل عليهم قبل يذهب يصلي المغرب، وقال للمرأة شوفي هَالضَّيْف خليه يقلط بالقهوة وَشُبِّي النار ما دامى أصلي بالمسجد وأجي)، يقول: فلما سمعتُ صوت الرجل فرحت فلما دخل خرجت المرأة، فسلم عليَّ وزاد في الترحيب وقربني في صدر المجلس، وقال: لعل ما انت مِذْهِبْ؟ فقلت: بلى، فقال: الله يْعَقِلْ عليك، من أين أنت يا خوي؟ فقلت: من أهل (الخبوب) فقال: من أي الخبوب؟ فقلت: من إضراس، فقال: أهلاً وسهلاً أنت من العمومه؟ فقلت: لا، ولكن إخوة في الله، فقال: بلا، عمومة وهالحين أعلمك. إنه جاءنا نِذَرٌ: أنَّ أحد الحكام المحاربين قد أقبل علينا في وقت محاربته للقصيم، وكانت عادة الناس ينضم بعضهم إلى بعض إذا جاءهم حاكم محارب من أجل التساعد، يقول: فهربنا من بلدنا أوثال، وتفرقنا بالخبوب وصار منزلنا حنا وربعنا في إضراس تحت أثل في جوار التواجر، وذلك في وقت شدة الحر والنخل قد بدأ فيه اللون، يقول: فقام التواجر في ضيافتنا قومة جيدة جزاهم الله خيرًا، إذا جاء العشاء وإذا هم قد طبخوا قدرًا كبيرًا من الطبيخ، وكل واحد منا يأتي في

إنائه ويغرف له عشا، وإذا صار الضحى أطلعوا زنبيل تمر، وكل واحد يعطونه غدا، ثم أيضًا نتفرق تحت النخيل ونلتقط مما يسقط منه ونأكله.

وذات يوم جاء رجل منا، إلى نخلة عند القليب وأخذ من بسرها، والعبد العامل يسني، فخرج العبد إلى الرجل وتكلم عليه وضربه بالعصا وظهر بينهما لجاج، وإذا المعزب (وائل التويجري) قد أقبل فقال: ما هذا النزاع؟ فقال العبد: هاذُوْلا أهْل أوثال، يا عم ضيقوا علينا وأكلوا نخلنا وإنه أخذ من هذه النخلة وضربته، فقال وائل وَرَاك تضربه؟ من قال لك إضربه؟ لا عُمْرَكَ تكلم لأحد أبدًا، إحمد ربك الذي جعلهم عندنا ما جعلنا عندهم، ثم التفت إلى الرَّجُلِ وقال شُفْ يأخي مِنْ هذه النخلة إلى آخِرِ النخل هناك كله على حسابكم كلوا منه على أيديكم والفضل لله سبحانه يقول: فبقينا في جوار هذه الأسرة الكريمة حتى ذهب الخوف ورجعنا إلى بلدنا، وهي وقعة البكيرية عام ١٣٢١هـ.

يقول: ثم التفت إِلَيَّ الرَّجُلُ وقال وِشْ تقول يا خُوْيِ مَا هُمْ عْمُومَه؟ فقلت: بلى الآن صاروا إعمومه.

فيقال: أما فعل أسرة التواجر فهذا شيء معروف وله نظائر والحمد لله، ولكن الشأن في راعي أوثال وامرأته (يُعَدُّ فعلهم هذا من مكارم الأخلاق)، (وأهل القرى والبدو مضطرين إلى أن تكون المرأة بَـرْزَةٌ) مـع التستّر والحشمة ـ وليست مثل مَنْ هي تتجمل وتخرج للأسواق تتبرج، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب/ ٣٣]. (انتهى).

* * *

آخر بني هلال

لما ذهب بنو هلال في تغريبتهم، تخلف منهم رجل أعمى لا يستطيع مزاولة السفر البعيد، فاختار البقاء هنا ينتظر رحمة الله سبحانه.

وحين مضت ثمان السنين المجدبة التي قال عنها شاعرهم:

ثمان سنين ما هَوىٰ نجد قطرة   لا مزنة غرّا ولا ناخي بارق

وإذا قد نشأ له بنت ترعى بقية الغنم من المعز، لأن المعز أصبر من الضأن على الجدب، والبنت لا تعرف هبوب الريح ولا السحاب، لأنها من عرفت العلم لم يهب ريح ولم ينشأ غيم (سحاب) فلما كان ذات يوم وهي ترعى الغنم، إذْ هَبَّ الهوى (الريح الجنوب) فاستغربت البنت ذلك وستوحشت، وأتت لأبيها تخبره أن شعر الغنم: جعل يتحرك على ظهورها؟ فقال لها: أبشري هذا هبوب الريح ينشىء المطر بإذن الله، ثم نشأ الغيم فلما أبصرته البنت جاءت تخبر أباها: أنه ظهر تحت السماء شيء مثل الثياب؟ فقال: أبشري هذا السحاب فيه المطر، ولكن قريـي لي الغنم، ليختار منها ذبيحة يذبحها عيدًا حين رحمهم الله وأنشىء لهم المطر، لكن الغنم هزال لا تصلح للأكل، ولكن لا يجدون غيرها، فجعل يمسك رجل العنز فلا تستطيع ترفس برجلها من الهزل،

فيمسك الأخرى، فلما رفست إحداهن ذبحها فهي أحسن من غيرها، ثم بدأ المطر، فدخلوا في غار تحت الجبل يوقدون النار لطبخها، فبينما القدر على النار يطبخ، وكان الرجل فيه قَرَمٌ على اللحم، لم يتمالك فأدخل يده في القدر وأخذ قطعة من اللحم والقدر يطبخ، وإذا هي قطعة طويلة ملتوية ظنها من المصران (الأمعاء) فجعل يأكلها من غير شعور دقيق، فلما وصل طرفها الثاني وإذا هو رأس حية، قد كانت في سقف الغار وحين صهرتها النار سقطت وسط القدر وكان غير مغطى، فهو: لَمّا علم أنها حية وأكلها ظن أنه يموت بسمها، خرج ورفع يديه يدعو الله يودع الحياة، فبينما هو يدعو متأهبًا للموت، إذ انفتحت عيناه وأبصر السحاب والدنيا وذهب عماه لم يصبه ضرر. لأن سموم الهوام يقطعه (يميته) الطبخ على النار، كان الناس إذا لُدغَ بعير أو شاة ذبحوه وطبخوه وأكلوه من غير ما بأس. (انتهى).

* * *

حجيلان بن حمد

كان الفلاحون يستخرجون السماد البلدي من داخل بيوت البلد، وينقلونه للمزارع، ويحصل في الزرع غلّة أكثر، جاء فلاح يتطلب السماد، قالت له امرأة ــ صاحبة بيت، تعرفه ويعرفها، تعال اشتر السماد، فدخل عند باب الحوش، ونظر الدماله وكانت لهم بنت، فقال: أريد أدفع بالدماله والبنت ثمانية ريالات؟ فضحكت المرأة وقالت: ما أنت صادق؟ قال: بلى، إني صادق، فقالت: نشاور أباها فاتفقوا وزوجوه، فلما أصبح في عرسه عندهم خرج إلى السوق وعليه ثياب العرس.

وكان أمير البلد يقال له حجيلان، في إمارة مطلقة ويجلس بالسوق عند أحد الدكاكين، ويتعرف أحوال الرعية، ويرعى مصالحهم، فالأمير رأى الرجل أول يوم فاستغرب حاله، ثم اليوم الثاني، ثم اليوم الثالث، ثم دعاه وسلّم عليه، وقال: ما شاء الله، من أنت؟ لا أنت أجنبي ولا مدني من أهل السوق؟ فما عملك هنا؟ فأخبره بزواجه هنا حديثًا، فقال الأمير: (هذا والله زين، إذًا كل الفلاحين يأتون ويتزوجون بنات هالدَّلالات؟ إيْمَوْقِعِنْ لهم ويخيطن لهم من ثياب القرطاسي، فَيُضَيِّعُون فلايحهم) ولكن اسمع العلم: رُحْ ذَمِّرْ فلاحتك وإن كانت

زوجتك تبغيك فهي تتبعك، والله إني ما أشوفك في هذا السوق إلاَّ عليك ثياب الشغل وإلاَّ أدبت فيك الفلاحين؟ فرجع الرجل إلى زوجته العروس وقال: (الذيب بالقليب) هذا ما قال لي الأمير، ثم خلع ثياب عرسه ولبس ثياب العمل وخرج يصلح مزرعته.

المعاني: قوله: (هذا والله زين): هو تقرير إنكاري، قوله: (يموقعن لهم): أي يعملن لهم طعام زين يوضع في الموقعة أو الصحفة، وهي من خشب، و (ثياب القرطاسي): هو قماش أبيض بَفْت يشبه القرطاس، وإذا مشى الرجل يصير له خرفشة مثل القرطاس، وهذا من الأمير يدل على عنايته بمصالح أهل بلده، قوله: (الذيب بالقليب) هذا مثل سائر: يضرب مثلاً للأمر المشكل المخيف، (ومعناه في الأصل) أنهم كانوا يعملون في البئر القليب، فلما أصبحوا وأرادوا ينزلون فيها، وإذا قد سقط فيها ذئب، فأشكل عليهم وجعلوا يتنادون، تعالوا، تعالوا، الذيب بالقليب، ليقتلوه ويخرجوه منها.

وإمارة حجيلان بن حمد في بريدة، إبّان اعتداء الدولة التركية على بلدان نجد، فكانت الدولة إذا استولت على بلد أو قبيلة أخذت زعيم البلد معها رهائن، ثم تزحف لغيرها، ومن ذلك حجيلان، لما أنهم استولوا على بريدة (القصيم) أخذوه معهم، وأمّروا مكانه ابنه عبد الله، وكانت زوجة حجيلان يقال لها العرفجية (أم عبد الله) وكان عندهم في بيت حجيلان (مستخدم) اسمه عبّاد، أصله لَقيط، قد غذوه واستخدموه، وفي غياب حجيلان، قام أضداده فتذامروا وتآمروا على قتل ابنه، فأتوا إلى الخادم عبّاد وراودوه أن يتفق معهم ويفتح لهم

الباب، فما زالوا به حتى نكث العهد وخان أهله وانضم إلى حزب البغاة، وهذا مِنْ عُقُوْبَةِ مَنْ يستأمِنْ مَنْ ليس أهْلاً للأمانة، فيأتمن الخائن فينقلب عليه ضِدًّا (وهذا عام في كل شيء) فلما فتح لهم ودخلوا قاموا وإياه فقتلوا الأمير عبد الله بن حجيلان، ثم جلسوا في المجلس أعلى البيت، فقامت العرفجية (أم عبد الله) وأخرجت العائلة من البيت وأخذت السيف هي وبناتها، وكان في أسفل البيت غرفة فيها ذخيرة من الملح البارود، فأوقدت نارًا حوله وأبعدت عنه، فثار الملح البارود نارًا وكان البيت من الطين فانهدم بالبغاة، وإذا السيف بيدها مسلولاً فجهزت على من سَلِمَ منهم من موت الهدم، فقتلتهم كلهم لم يفلت منهم أحد، حتى عباد الخادم قتلته معهم، (فأخذت الثأر) بيدها واستراحت منهم، ثم جعلت تتوجد على ولدها، وتقول:

لَوا حَسايِفْ عبد الله طَرِيح الْعَبَّاد وِلْـدَ الـزّنـا يـا ليتنـا مـا غـذينـاه

وقد ذُكِرَ لي أن الأستاذ العبودي، قد ذكر قصة حجيلان (هذه) مستقصاة منقحة في كتابه (معجم بلاد القصيم: حرف: ب).

وهذه المرأة أعني العرفجية، كان أحد شيوخ القبائل، يحث ربعه على قتال الأعداء ويهز بهم بها فيقول:

حسيـن يقـول الحـرب للمـال نقّـاد انشد امسوى السيف هُوْلَيْه حانيه
إنْ كان ما ترويه مِن دم الأضداد فْكِـزُّوه يَـمْ العـرفجيـه تـرويـه
لا عـاد لا مِـرٍّ يـزغـرت بـالاولاد كيف الموصىْ يسفه اللي يوصيه

المِرْ هنا: عبارة عن الشهامة والرجولة والاحتفاظ بالأمر إذا وُصِّي.

وقيام هذه الثورة، وقتلة ولد حجيلان، وقعة وحجيلان في قبضة الدولة، في طريق رجوعها ما بين نجد والمدينة المنورة، (فاحجيلان رأى رؤيا، وعرف أن ابنه قتل، فأخبر بذلك الباشا، قال له: إن ابني قتل)، فقال: وما يدريك؟ فقال: إني رأيت رؤيا قال: وما هي؟ فقال حجيلان: إني رأيت ذئبًا أتاني وأدخل يده في جنبي ومعط قلبي، فهذا هو قتل ولدي؟ فأقام الباشا بالدولة وأرسل مركوبة إلى بريدة ليأتوه بالخبر ليعرف صدق الشيخ (حجيلان)، فلما أتوا وإذا الأمر كما قال. (انتهى).

* * *

فصل
في حكم متنوعة

جاء في الحديث: «الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» متفق عليه.

وجاء في حديث «ذبوا عن أعراضكم بأموالكم). أخرجه الديلمي والخطيب.

وقال ابن القيم:

الحق شمس والعيون نواظر ... لكنها تخفى على العميان

ولما ذكر الجنة وأهلها قال:

وقد غرس الرحمن فيها غراسة ... من الناس والرب بالخلق أعلم
فمن يغرس الرحمن فيها فإنه ... سعيد وإلا فالشقاء محتم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ... وحفت بما يؤذ النفوس ويؤلم
وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سِوا كفوها والرب بالخلق أعلم

يعني التقدير السابق بالسعادة والشقاوة، وهذا هو الذي يخيف من سوء الخاتمة، «ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» الحديث.

وقال أيضًا في وصف من يدرك الجنة :

يـا سلعـة الـرحمـن لسـت رخيصـة   بـل أنـت غـاليـة علـى الكسـلان
يـا سلعـة الـرحمـن ليـس ينـالهـا   بـالألـف إلا واحـدٌ لا إثْنـان

كما جاء في الحديث (أنَّ بَعْث النار يوم القيامة مِنْ ذرية آدم مِن كل ألف: تسعمائة وتسعة وتسعون، والباقي واحد للجنة» متفق عليه عن أبـي هريرة رضي الله عنه بنحو ذلك.

فغلبة الغي على النفس أعظم جُرْمًا وأشد وعيدًا، حيث بلغت المعذرة وانقطعت الحجة: كما قال بعضهم عن نفسه:

قالوا لي خَلْ التتن قلت والله ما خليه   النفـس لازم عليهـا بـلاهـا
لَـوْ كِـلْ مخلـوق يطيـع أمـر واليـه   منيـن للنـار حيـن تـزفـر مـلاهـا

وقال الشافعي:

النفـس تجـزع أن تكـون فقيـرة   والفقـر خيـرٌ مِـنْ غنًـا يطغيهـا
وَغِنا النفوس هو الكفاف فإن أبت   فجميـع مـا فـي الأرض لا يكفيهـا

وقال أيضًا:

ولا تمش في منكب الأرض فاخر   فعمـا قليـل يحتـويـك تـرابهـا

وقال المتنبـي:

مَـنْ يَهُـن يسهـل الهـوان عليـه   مـا لجُـرح بميـت إيـلام

قيل: واهَنِي نفسٍ ما عليها ولا لَها. قيل:

يـا علمـاء الـديـن يـا ملـح البلـد   مَـنْ يصلـح الـزاد إذا الملـح فسـد

قيل: يا ما غدا على الحاج مِنْ جمل، غدا: يعني ضاح، معناه لا تأسف على ما تلف من مالك من غير تفريط.

التسامح في الأمور: قال شْلَيْويح:

(آخُـذْ مِـنْ حقـي واخَلِّـي وأقـول راضـي لـو مـا نيـب راضـي).

(انتهى).

* * *

صحة العقيدة نعمة عظيمة

سافر أحد رجال عُقيل، إلى بعض بلاد الأمصار، التي تصنع فيها الأواني المعدنية، ليستورد منها أواني منزلية، فلما وصل هناك اتفق مع المصنع على عمل كمية له معلومة، بكيفية ومواصفات معروفة، وصار هو يحضر في المصنع ليتفقد عملهم له بالكيفية، وضبط الكمية عند الشد.

ويومًا من الأيام تنازع هو وأحد عمّال المصنع، وكان العامل شيعي المذهب، فلعن دين النجدي السنِّي، فثار النجدي لدينه فأشهد عليه زملاؤه، فأقروا بالشهادة عليه، فتحمس النجدي لدينه، وأخذ قطعة من الأواني (هي غطاء قدر) فضرب بها الشيعي في رقبته وإذا دمه يفور، فصاح الصياح في المصنع وفزعوا عليه، فاستهاش عليهم النجدي وأبى أن يستسلم لهم حتى أتت النجدة ورجال الأمن، فاستسلم لهم، وجرى التحقيق معه.

* ما الموجب لضربك الرجل؟

* لأنه لعن ديني، ومعلوم النظام عند جميع الدول أنه لا يسمح لأحد أن يسب دين أحد من المعاهدين (المعاقدين) لأجل التعايش السليم.

* هل تثبت أنه لعن دينك؟

* نعم: هؤلاء العمال اسألوهم؟ فسألوهم؟ فشهدوا على كلام زميلهم الشيعي، (فضرب الشرطة سلامًا للنجدي)، وقالوا: لك الحق الآن، فماذا تريد؟

فقال: أنا يكفيني ما أخذته بيدي، فقالوا أحسنت، وأعطوه ورقة أمان (إخلاء طرف)، وقالوا: سوف نجازي المعتدي إذا خرج من المستشفى حسب النظام.

كذلك آخر كسابقه:

سافر رجل من رجال عُقيل، إلى بعض بلاد الأمصار، فصلّى الجمعة في مسجد جامع هناك، ولكن إمامه خطيب الجمعة، أتى بخطبة خرافية وكلام لا فائدة فيه، منها قوله: (أيها الناس احمدوا الله أنه لم يجعل للجمل أجنحة يطير بها فلو كان الجمل يطير لوقع فوق بيوتكم وهدمها عليكم، وكذا وكذا، فأكثر وأطال من هذا الهذيان الساذج.

فالعقيلي النجدي لصحة عقيدته وبصيرته بدينه ساءه ذلك، وعتب عليه، فقام بعد الصلاة لينكر على الخطيب، هذا الإفك الساذج، ويرشده إلى طريق الرشد والصراط المستقيم، فقال: (يا شيخ: ماذا يستفاد من كلامك هذا في خطبتك؟ هلا ألقيت موعظة وجيزة تحرك بها القلوب إلى طاعة الله سبحانه، وتزعها عن الغفلة في الدنيا، (بذكر شيء من عقوبات الذنوب، أو ذكر الموت، أو القبر، أو الجنة والنار، أو الحشر والحساب والعبور على الصراط، أو ذكر ما يلزم الإنسان

معرفته لدينه، من الواجبات والسنن والحلال والحرام، ونحو ذلك)، بالدلائل القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة وأهل العلم النافع، فهذا هو مشروعية خطبة الجمعة والاجتماع لها، فهو العلم الصحيح والعمل الصالح المقبول)؟

فاستشاط الشيخ غضبًا، وقال يا جماعة: انظروا اعتراض هذا النجدي على حديثنا؟ ولكن اضربوه، وكان الجماعة يحبون الخير ولكنهم همج رعاع لا يعرفون المعروف من المنكر، ويعظمون هذا الشيخ عندهم تعظيمًا بليغًا، فقادهم إلى الهمجية. فامتثلوا أمره وقاموا إلى المتكلم النجدي فضربوه وسحبوه وأخرجوه من المسجد حسب أمر خطيبهم، فاغتاظ هذا النجدي على هذا الشيخ المضل وأضمر التشفي منه والانتقام، ولكن كيف الإمكان إلى ذلك؟.

اقترح رأيه أن يسلط عليه جماعته من باب تعظيمه عندهم، حيث رآهم يتهالكون في حبه.

فلما كان بعد مدة ونسوه، صلَّى هذا العقيلي معهم في هذا المسجد، ثم قام بعد الصلاة وقال: يا جماعة شيخكم هذا ولي مقدّس، فهو من أهل الجنة فمن تحصل على شعرة من شعره فاحتفظ بها في كفنه أو مسح جلده بجلده، فإنه يدخل الجنة ولا تمسه النار، فقام الجماعة إلى الخطيب، وكان وافر اللحية والشعور، فغمروه ينتفون شعره يبتدرون هذه الفضيلة المزعومة، فخرج العقيلي وهرب وهو يقول: فهم في غمرتهم يعمهون.

وقد ذكر أَحَدُنا خُطَبَ المخضوبي للجمعة بحضرة الشيخ

الخريصي رحمه الله، فغَضَّ هذا من جانبها، وأنها لا تناسب هذا الوقت:

فقال الشيخ: لماذا؟ والمخضوبي من أهل السنَّة والجماعة، (وقد امتازت خطبه بثلاث سنن).

أولاً: كثرة تمجيد الرب سبحانه، إذ تمجيده تعالى هو لُب اللُّباب.

ثانيًا: اقتصاده وعدم التطويل، كما هو أمر الرسول ﷺ بذلك.

ثالثًا: مواضيعها، موعظة تحرك القلوب، فهي الحكمة في مشروعية الخطبة. (انتهى).

* * *

تعقيب الفنجال

كانت للناس عادة معروفة، عندما يَعْتِبُون على الرجل في أحد أمرين: إما لكونه انتهك جريمة خُلُقِيَّة، وإما لكونه قد ذل وانهزم حالة اللقا والحرب، ولم يمانع للشجاعة والظفر، فمثل هاتين الجريمتين يجعلون من تأديبه فيها: هو تعقيبه الفنجال، (هزب له ونكاية)، أمام الرجال الجالسين، يعني: إذا قام صَبَّابُ القهوة يصبها للجالسين يدور عليهم بالقهوة فإذا وصله الدور لم يعطه الفنجال بل يُعديه لمن بعده فينهضم هو أمامهم حيث قد عرف ذنبه (نقصه أو خطأه) فإن قال: لماذا تعديني الفنجال؟ فيقال له: لأنك فعلت كذا وكذا، فيكون هذا نكاية له ولأمثاله أعظم من الضرب وغيره، ويهزبونه بذلك فيما بعد فيقال: (إخسىء يا مُعَقَّب الفنجال) وقد يهزب نفسه هو فيقول: (تراني معقب الفنجال إذا ما كذا وكذا).

قيل: كان الشريف حاكما في مكة المكرمة، وكان له ابن ذكي شجاع، ولكن عتب عليه أبوه بشيء ولم يكلمه، ولكنه قال للخادم (العبد) إذا صببت القهوة للرجال فَعَدِّ الفنجال عن عمك (ابني فلان)، فلما قام العبد يصب القهوة للرجال كالعادة وأتى الدور على عمه الابن المذكور عدّاه الفنجال إلى الذي بعده، فمشع السيف ليضرب عنق العبد

لذلك، فصاح العبد: (هذا أمر عمى، هذا أمر عمى)، فعظم الأمر على ابن الأمير، إذ كان عن أمر أبيه فالأمر معضل إذًا؟ فقام وخرج وذهب إلى عمه أمير بجدة، فوصل محله في الصباح المبكر، ودخل في المجلس، وقصد كرسي الأمير تخت الحكم، فجلس عليه، فلما أتى الخادم يهيىء المجلس للأمير: وإذا الرجل جالس فيه فاستغرب جراءته وإقدامه على ذلك، فرجع يخبر الأمير بالرجل؟ فقال الأمير قل له:

إذا أتيت قومًا ما يعرفونك ... فاجلس مجلس الأذلّ
إن أكرموك فهو فضل منهم ... وَإلاَّ رُحْ عنهم وَخَلّ

فأجابه الرجل قائلاً:

إذا أتيت قومًا ما يعرفونك ... فاجلس مجلس الأجَلّ
تراه عيب على الحُرْ الوِطا ... والردى عقب التَّعَلِّي
إن أكرموك فهو حق عليهم ... وإلا قل هذا محلى

فأخبر الأمير بقوله، فعرف الأمير أنه (شيء) فخرج إليه وإذا هو ابن أخيه. (انتهى).

* * *

أكرم نفسك

هناك رجل كان أحد الأمرا يأخذ عليه إخاوة، فلما مات أتوا إلى ابنه فأعطاهم الخاوة فقالت له أمه: أخس يا كوبان، كان أبوك ما يسلم الخاوة إلاَّ مضروب كرباجًا أو كرباجين؟ فقال الابن: وإذا ضرب أبوي يسلم؟ قالت نعم، فقال: أنا أسلِّم الخاوة فورًا وأسلم من الضرب. وهذا مثل عام لأداء الحقوق بدون مماطلة، احترامًا لسمعتك وجاهك، وصونًا لماء وجهك ومروءتك ودينك. والإخاوة هي: فلوس شبه ضريبة.

قيل: لكل مقام مقال، وهذا من الحكمة والشجاعة أن يعرف ما يناسب كل مقام من الكلام: كما يكون السكوت حكمة وذكاء في بعض المقامات، كما يكون الإحجام شجاعة في بعض المواضع. (انتهى).

* * *

مبارك من حميده بنت

كان رجل له زوجتان وكانت واحدة اسمها حميده، وكان لا يحبها وكانوا يشفقون على وجود الولد الذكر، فبشّروه بأن زوجته حميده ولدت له ابنًا ذكرًا، فحسدها إياه، فلم يصدق بذلك، وقال: (وابُوْياه احميده تجيب ولد؟ مبارك مِنْ حميده بنت. فيقال: لكن قسمة العزيز الوهاب وهبتها ابنًا: وغالبًا يكون مثل هذا الابن المزهود فيه هو الذي ينفع أباه وعائلته، ويضرب مثلاً للأمر المستصغر مع الإشفاق إلى أفضل منه. (انتهى).

* * *

نزعات الشباب

قال لي قائل: مَرَّت بِـي أوقات بعد سن المراهقة: فتطرىء عليَّ أفكار، ويتزورني نزعات فبعضها يمت إلى الخير، وبعضها يمت إلى الشر، والتوفيق بيد الله سبحانه، وإني أراها تحدث لبعض الشباب المراهقين وما بعد المراهقة: وإني الآن أنصح لهم أن يسلكوا فيها طريقة ابن المقفع، حيث قيل له بما اكتسبت هذا الأدب؟ قال: أدبتني نفسي، كنتُ إذا رأيتُ فعلاً من الناس حسنًا فعلته، وإذا رأيت شيئًا قبيحًا تركته، وكان ابن المقفع له أدبٌ بُنِيَتْ مدارس لتعليمه.

يقول: أما أنا فبعد سن المراهقة كنت أجاهد نفسي على أمور الدين والشرف، وكنت عزبًا في غير بلادي. وأما ما يمت إلى الشر في إبان المراهقة، فقد رافقت زملاء كسالى، فثقلت علينا الصلاة في المسجد، وحتى في البيت، إذا حان وقت الصلاة: أحس ثقلاً فوق متني كأني حامل حجرًا كبيرًا لا أستطيع أن أقوم من ثقله[1]، حتى أتاح الله لي قرين خير، فاقتبست منه خيرًا، وعلمني مبادىء القراءة الدينية

(١) قال الله تعالى: ﴿وإنها لكبيرة إلاَّ على الخاشعين﴾، أي: الصلاة ثقيلة على أهل الكسل.

والكتـب المفيـدة، مثـل: ثـلاثـة الأصـول وآداب المشـي إلـى الصـلاة ورياض الصالحين. نسأل الله حسن الخاتمة وجزاه عنا خيرًا، ونسأل الله أن يهدي أولادنا وإخواننا المسلمين،

والحمد لله الذي ألهمني رشدي، وأزاح عني الغي، وصرف عني السوء والفحشاء بمنّه وكرمه. (انتهى).

* * *

ألطاف اللّه سبحانه

لطف الله للإنسان نوعان: يلطف بك ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى/ ١٩].

ويلطف لك ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف/ ١٠٠] أفاده بعض العلماء. وهو لطيف بذاته سبحانه (وهو اللطيف الخبير)، ومن لطفه بعبده أنه قد يقدر على العبد أمرًا يكرهه الإنسان وعاقبته خير، قال الشاعر:

يريك عزته ويبدىء لطفه والعبد في الغفلات عن ذا الشأن

ومن لطفه سبحانه أنه يعلم ما في أنفسنا وما توسوس به النفس وما لا نعلمه، وهو معنا بعلمه وقدرته وإبصاره، جل وعلا. (انتهى).

* * *

قولهم: راعي الحلال يركب على الدبرة

الحلال هنا هو المال على اختلاف أنواعه: وهو هنا ما يركب ويحمل عليه من بعير وحمار وبغال ونحوه، وكانوا يحملون عليها عفشهم ومتاعهم ويركبونها في تنقلاتهم. وقد يحدث في ظهر بعضها دبرة، وهو جرح يحدث في ظهر الدابة بسبب ثقل الحمل أو ضعف الوقاية أو ميلان الحمل على ظهرها، كما قال الشاعر:

ولمـــا دخلـــت الخـــدر خـــدر عنيـــزة
تقـــول لـــك الـــويـــلات إنـــك مُـــرْجِلـــي
تقـــول وقـــد مـــال الغبيـــط بنـــا معًـــا
قطعـت ظهـر بعيـري يـا امـرؤ القيـس فـانـزِلِ

وبعض الناس يكون لديه شيء من الحلال (الماشية) يكاري عليه بالأجرة مَنْ ليس لديه ماشية، يحملون عليها ويركبون، ولكن البعير أو الحمار الذي في ظهره دبرة لا يركبه المستأجر لأنه يوسخ ثيابه! فيركبه صاحبه لأنه هو راعي الحلال فيصبر على نواقص حلاله، ومثل ذلك الرجل الكريم مع زواره وأضيافه فيجلسهم في المجلس الزين ويجلس هو دونهم، ويقدم لهم الطعام الطيب ويأكل هو ما فضل عنهم،

والفراش واللحاف وغيره، ومثله الرجل مع خوياه في الطريق والسفر إذا كان هو صاحب الحلال كالسيارة ونحوها، فيقدم أصحابه على نفسه، فهذه صفة الكرام، كما قال الشاعر:

وقـربـة أقـوام جعلـت عِقـاصهـا على كـاهـل مني ذلـولاً مُـرَحَّـلِ

معناه أنه يخدم أصحابه وأضيافه، فينقل لهم الماء والحطب والطعام وغيره لأنه هو راعي المحل.

ومثل ذلك الإنسان يسكن في بيته ملكه وإن كان غيره أحسن منه، وسيارته يركبها ولو غيرها أحسن منها، ويأكل من إنتاج ملكه وإنتاج وطنه وصناعة يده وصناعة وطنه وإن كان غيرها أحسن منها، وفي المثل: (ردى الحلال ولا جيد الرفاقة).

ومثله الرجل يتزوج ابنة عمه أو قريبته إذا كانت غير مرغوب فيها ليرفع وضيعها لأن عزها يعزه وعيبها يمس كرامته، ومثله الرجل يتزوج من وطنه، ويستأجر عاملاً من وطنه، لاشتراك المصالح في القرابات والمواطنة، وهذا مثل قولهم في المثل السائر (الدفق في الجابية)، الجابية هنا هو حوض للماء بالأرض قرب البئر التي يخرجون منها الماء للمزرعة، وكان إخراج الماء بالسواني أو متحه بالدلو باليدين، فيكون صعب عليهم وقليل محصوله، فيشفقون على حفظه، والدفق: هو نثر الماء وإهراقه من القربة أو الإناء ونحوه، فيفرحون أَنْ كان دفقه وسط الجابية مع الماء ليحصل به بعض النفع، ثم يضربون بهذا مثلاً لعامة الأمور إذا فات شيء منها، أن يكون فوته في صالحهم من جانب آخر كالماء المندفق في الجابية.

ومثل ذلك قولهم (نخلة عوجا ـ ساقطها في غير حوضها): أي تمرها: معناه أنك أنت تسقيها وتروي الماء في حوضها ونفعها يذهب لغيرك، لأنها عوجا أي مائلة عن الاعتدال، فمثلها الإنسان قليل المروءة والوفا، يناله نفعك ويميل بنفعه إلى غيرك. (انتهى).

* * *

تـراكـم مـوسـقـيـن
من شجاعة بعض النساء

أخبرني رجل، يقول: خرجنا أنا وإخوياي نريد نشتري إبلاً من بادية الشمال: فأتينا على قطين عرب كثيرين، ولم نعرف من أي القبائل، حتى وصلناهم، وإذا هم من قبيلة محاربة، ليس بيننا وبينهم علاقات طيبة، ولكن لا يمكننا الرجوع، فعمدنا إلى أقرب بيت، نريد الضيافة عادة العرب، فلقيهم قبل وصولهم البيت، شاب جذع غير كبير من غير أهل البيت، فقال: (يا عيال تراكم موسقين) يقول ونحن لا نعرف كلمة (موسقين)، ثم رجع الشاب يعدو (يركض) فلما وصلوا البيت وأناخوا بعض الركايب جاءهم أبو الصبـي، وقال امشوا امشوا أما وسقكم الولد، (فعرفوا أن معناها أنه محجور عليكم، فنحن ننهبكم ولا ينهبكم غيرنا) فجعلوا يكافحونه برفق (لأنهم وسط عربه) فجعل هو يثير هذه الناقة وهم ينيخون الأخرى، ثم هو يذهب يثير الأخرى وهم ينيخون هذه.

أما المعازيب أهل البيت فليس فيه من الرجال أحد يحمون ضيفهم الذي حق عليهم حمايته، ولكن فيه امرأة (بنت شابة: قامت فورًا وأخذت ثوبها وركضت إلى موضع هناك مرتفع، ورقت فوقه

وجعلت تصيح وتشيح بثوبها: فنشطوا وقوى عزمهم ورجوا السلام، وعرفوا أنها تفزع وتنخى من ينصرها ويحماهم، فاهم ينظرون إليها، وكذلك الرجل المعتدي ينظر إليها وخافَ لأنه يعرف ما ورائها، فرجعت البنت تركض فما وصلتهم إلاّ وقد طلع من ورائها رجل شاب يركض، وقد شهر السيف بيده مسلولاً فلما رآه المعتدي تركهم وهرب وتبعه الشاب فلما أبعد وولّى رجع عنه وأتى إليهم، وهم فرحوا بالسلامة ووضعوا عفشهم عن الإبل، فلما وصلهم رحب بهم وهَلاً، وقام بتجهيز القهوة، والبنت قامت بتجهيز الغدا، ثم ذهبت البنت وأتت بجمل من الإبل وعقلته عند البيت، فلما تقهووا وقدم لهم الغدا، قامت البنت وشدت على الجمل الشِّداد وركبته هي ومشت، (سارت) نحو الجهة التي أتى منها الشاب، فجعل هو ينظر إليها فلما راحت قال للضيوف: والله إنكم الوجيه المباركة، والله إن يومكم يوم مبارك، فقالوا: ألله يبشّرك بالخير، وماذا؟ فقال: هذه بنت عمي زوجتي، طامح عني لها ثمان سنين، والآن رضيت بسبب فزعتي لها، وها هي ذهبت لبيتي، وذلك من الله ثم من أسبابكم، فقالوا: الحمد لله، فلما تغدوا قالوا له: حيث كان عربكم قوم لنا[1] نريدك تمشي معنا حتى نخرج من حدود البيوت، ثم ترجع ووجهك أبيض، فنحن معنا سلاح ونحمي أنفسنا ولو يلحقنا جماعتك كلهم، فقام معهم حتى خرجوا ثم ودعهم ورجع. (انتهى).

* * *

(١) القوم هنا هم: العدو المحارب بخلاف القوم السلم.

قواعد كلمات

قال الشاعر كلمة عربية فصيحة:

وإنك إذ ما تأتي ما أنت آمرٌ   به تُلْفِي مَنْ إياه تأمر آتيا

معناه ليس كل أمرك تباشره أنت: فمن تأمره بأمر ويلتزم به تجده قد قام مقامك به.

قيل:

لا تمدحنَّ امرءًا حتى تجربه   ولا تذمنَّه من غير تجريبي
إن الرجال صناديق مُقَفَّلَة   وليس تعرفها إلا بتجريبي

قيل: أرادوا يذبحون عنزًا فضاعت السكين فتركوها، وكانت الأرض رمليه، ولكن العنز صارت تعبث بالأرض وتحرث بيدها، فأطلعت السكين من الرمل فأخذوها، وذبحوها، فصار يضرب بها المثل لمن يسبب الشر على نفسه، (مثل العنز تحرث عن السكين)، ومثل ذلك قولهم: (يحمل حتفه على كتفه) حتفه هو سبب هلاكه، يقال: (ما جزا ناقة الحج ذبحها) يضرب مثلاً لمن يسدي إليك إحسانًا ومعروفًا فلا تجازيه بالإساءة، كما يقال: (ما جزا الإحسان إلاَّ إحسان)، وأصله في القرآن.

ويقال في مثل الاجتماع للجماعة والقرابة: (دربي درب الجماعة)،

ويقال عود بعرض حزمة، ويقال: هذا عود وهذا طرفه، ويقال: إذا ظهر السبب بطل العجب. ويقال:

يُمنًا بلا يسرًا تراها ضعيفة ورَجْلٌ بِلا رَبْعٍ على الغبن صبار

وقال الشاعر كلمة عربية فصيحة:

إذا كنتُ مع الحبيب على رضاءٍ فلا عليَّ أقام الحيّ أم رحلوا

معناه: أنه لا يضيره ولا يشكل عليه بُعد حبيبته أو قربها إذا كانت المودة بينهما صافية، وإنما يضيره حدوث المنافرة بينه وبينها. يضرب مثلاً في عامة الأصدقاء، وهو في إخلاص نيتك وسريرتك مع الله أولى وأحرى وأنفع. (انتهى).

* * *

الأوضيحي نفيعه

قيل: كان الأوضيحي، شاعرًا صاحب غزل، واتفقت الحال مرة أنه حضر في بيت أحد شيوخ البادية (بيت شَعَر)، فأخذ آلة الغني وهي الربابة وجعل يتغزل ويمتدح بنت أناس آخرين: هم من سقيط العرب، ويبدو أن اسمها ضاوي، وكان في ناحية البيت رجل سجين مربوط بالحديد، فهذا السجين لما سمع كلام الأوضيحي في ذيك البنت، وقد كان لهذا الأمير أخت في هذا البيت، اسمها (البندري) تسمع كلامهما، فهذا السجين عَتِبَ عليه وقال للأوضيحي أعطني الربابة فأعطاه إياها فجعل يتمثل رادًا على الأوضيحي، قال:

تسعين ضرطه للأوضيحي نفيعه ... مع مثلهن يسفر بهن سوق رَاوَا
ثلث يبصط به وثلث يبيعه ... والثلث الآخر فوق رأسه إغطاوا
مداح بنت مكبرين الوشيعه ... خطار أهلها بالإشاتي مقاوى
ما قلتها بالبندري الرفيعة ... إخت الذي ذباح قوم عداوا
كم روضة حرم علينا ربيعه ... وطعونهم باشيوخنا ما تداوا

فقامت البندري وأخذت المفتاح من السجان وأطلقت السجين وأجلسته بالمجلس (القهوة) حتى جاء أخوها الأمير، فأخبرته بكلامهما، فقال: أحسنتي ولو ما أطلقتيه ما صرتي أختي.

قـولـه: (يسفـر بهـن سـوق راوا): أي هـذه الضـرطـات بضـاعـة للأوضيحي، يسافر بها ويبيعها في سوق راوا (والسوق أصله سوق الباعة والبضائع)، وهو هنا كناية لهذه البنت ضاوى وشرفها وشرف أهلها، فهذا الرجل يهجو الأوضيحي ويهجو البنت ضاوى ويهجو أهلها وقومها، فإن خطارهم يبيتون مقاوى (جائعين)، أو (راوا) اسم محلة: تتهافت إليها نساءٌ بغايا من سقيط العرب، (حسب قيله في تعزيله). فأنت يالأوضيحي تمتدح بنتًا: أهلها في غاية الخمول والردا، وتترك مدح هذه البنت (البندرى) وأخيها الذي هذه أفعاله في شيوخ من يبارزه ويعاديه، ولم تحترم أهل المحل وأنت في محلهم وعلى سماطهم، فيدل ذلك على لؤمك، فأنت تستحق هذه البضاعة مائة وثمانون ضرطة، وهي رأس مالك. ولهذا فالبندرى أخت الأمير قدرت كرامة الرجل السجين، فأطلقته وأكرمته، وفرح بفعلها أخوها الأمير. (انتهى).

* * *

الرجال شبه الخيل

قيل: (الرجال خَيْلٌ مَعَاطِي، حِصْنٌ مَنَاكِيف)، معناه: أن الفرس إذا أعنت أو أعطت ويقال شاعت: يعني اشتهت الفحل واللقاح، فإنها تهدأ وتخضع لمن قرب منها، فلا يخشى من شرتها، وأما الحصان فهو: بخلاف ذلك، وإذا أنكف (قفى وانصرف) فلا تستطيع تمسكه في قفاه، فإنه يضربك بحافره وهي: رجله فلا تطمع بإمساكه من خلف إذا أنكف (ومناكيف جمع مُنْكِفْ: رَجَعَ)، وهذا وصف لبعض الناس، بل غالبهم كذلك، فإذا كان له إليك حاجة: عرفك وتَخَضَّعَ لك، ووعدك بكل ما تريد وما تؤمله منه، مثل الفرس المعطى تخضع وتهدىء وتلين لمن قرب منها، فإذا أنهى حاجته منك، انقلب إلى مثل الحصان المنكف المنصرف، ولكن أنت خذ لهذا التغيّر حِيْطَةً عند ابتداء أمره معك، بالاشتراط والكتابة والإشهاد في العقود وغيرها ولا تعمل على حسن ظنّك فقط، فإن حسن الظن ورطة. (انتهى).

يقال: (نط طويق)، أي: رَقَى فوقه، يضرب مثلاً فيمن جحد حقًا عنده لآخر.

يستحب الترحيب بالضيوف والزوار عند مواجهتهم وعند تقديم الطعام لهم، قال الشاعر الخمشي:

زادٌ بِــلا قَــوْلــةِ حِيِّــت   عِــدُّه بْقِــدْره علــى نــاره

والزاد: هو الطعام، وإذا لم يرحب بك فكأنه لم يقدمه لك.

وقال آخر يوصي أولاده:

يا عيال لا صِرْتم اضيوف أو معازيب   ترى الكلام الزين ملحة إقراكم

يمــا ركضــت الليــل كِنِّــي الـذيــب   من خوفتي يقصر عليكم عشاكم

وقيل:

(اللي ما يعرف الصقر يشويه). وقيل:

(خذ الحفنة من اللحية العفنة)، والحفنة هي: مليء اليدين من التمر أو العيش البر (القمح)، ونحوه، واللحية هنا: كناية عن الإنسان، يعني اقنع بما تيسّر منه، ويقال: (موت حمار) لأنه بطيء الموت، جاء كلب وإذا حمار فيه الموت، وكان الكلب لا يأكل إلاَّ الميت المنتن، فجلس الكلب عنده ونام ينتظر موته، فقال له الحمار: رح لا تقعد عن عملك فأنا من أمة موتهم بطيء، فقال الكلب: وأنا ما همِّي إلاَّ السداح والرداح، كما يقال: (موت الحمير من بخت الكلاب). (انتهى).

* * *

احتيال مريد الإجرام

كان رجل سروق (حرامي) معروف، قد علم بدراهم حين ألفت رجلاً في بيته، وعزم على أخذها: فعمل حيلة لإبعاد الشك عن نفسه، فخرج من البلد إلى حويلان، حارة فلاحين في غربي بريدة، يبعد عنها نحو خمس كيلو متر، فوصل محل الأمير قبل المغرب، فعرفه وسلَّم عليه، (فالأمير خاف منه أن يسرق منهم شيئًا)، فلازمه وأكرمه فذهب وإيّاه إلى المسجد المغرب، ورجع وإياه إلى القهوة وعمل قهوة فتقهووا وتعشوا وخرجوا للمسجد للعشاء (الآخرة) ثم رجعوا ونومه في المجلس القهوة وغطّاه، ثم أغلق عليه الباب.

وهذا هو ما كان يريده السروق، فذهب الأمير ونام، فلما كان في أثناء الليل خرج السروق (قيل إنه رفع الباب من تحت وكان باب خشب، وقيل إنه طلع من النافذة) (الدريشة)، وراح إلى بريدة، ودخل بيت الرجل وتطلب الدراهم فوجدها صرَّة قد دفنها في زبرة عيش (قمح) وسط غرفة في أعلا البيت، فأخذها وذهب بها ودفنها تحت أثلة خارج البلد، ثم خرج إلى حويلان ودخل في محله ونام، فلما صار قبل الفجر قام الأمير وشب النار وأيقظه وعمل قهوة وصلُّوا الفجر في المسجد ورجعوا وتقهووا وأفطروا، وبعد طلوع الشمس ودعه، وسار

الرجل إلى بريدة فما وصل بيته إلاَّ ورجّال الشيوخ يدق عليه الباب، فذهب به إلى أمير بريدة، فسأله عن الفلوس فأنكر وقال: أنا من أمسّ العصر إلى الساعة وأنا عند أمير حويلان، فاسألوه؟ فأمر الأمير خادمه فركب الحصان وأحضر أمير حويلان، فقال: نعم من أمس قبل المغرب وهو عندي ولا فارقته خوفًا منه، حتى بعد طلوع الشمس، وقد أغلقت عليه الباب بالليل وأصبح في منامه.

ولكن الأمير، يغلب على ظنه أنه ما يخلو من علم الفلوس، وأراد تخويفه فقال الأمير: الأحسن أننا نقتله ونستريح منه لأجل إذا سُرِق شيء ندور غيره، ولكن اخرجوا به إلى الخبيب واقتلوه، فخرجوا به وربطوه هناك، فلما قربوا منه، قال وعزمتم على قتلي؟ قالوا: نعم، هذا أمر الأمير، فقال: ارجعوني إلى الأمير، فقال الأمير: هاتوه، فلما رجع عند الأمير قال: الفلوس عندي! فأرسلوا معه خادمًا فأحضرها، فقال الأمير: أخبرنا كيف أخذتها؟ وأنت عند أمير حويلان.

فقال: إني لما عزمت على أخذها خرجت إليه أريد بذلك التعمية، ولكن ما أفادت، ثم قصّ عليه ما فعل، فقال الأمير: نريد نصالحك مصالحة، ندفع لك كل شهر ريالين ولا تسرق أبدًا، فقال: نعم، وعاهدهم على ذلك، ثم سألوه كيف عرفت محلها في البيت، فقال والله إني لما علمت بها لكأني أنظر إليها مثل السراج في البيت.

فأنا سألت الشيخ/ محمد بن حسين رحمه الله حين أخبرنا بالقصة، هل هذا من باب استخدام الشياطين؟ وادعاء علم الغيب؟ فقال: لا، ولكن من اهتم بشيء واشتغل به أعطي حكمته، فتكون قوّة

فراسة، وكذلك سألته عن قصص المَرِّي، فقال: ليس هذا من باب ادعاء علم الغيب ولكن قوة فراسة، ومن اهتم بشيء واشتغل به أعطي حكمته. والشيخ محمد بن حسين أبا الخيل: هو مؤلف كتاب «الزوائد على الزاد» في الفقه. (انتهى).

* * *

رثاء ودعاء

حصل ذَبْحَة على طائفة من المسلمين وهم يصلُّون في المسجد في رمضان، رحمهم الله فرثاهم الشاعر الخمشي ويدعو على عدوهم في قصيدة، منها قوله:

لعـل دارٍ حَـلْ بهـا ذبـح الأجـواد　　تـاخـذ ثمان سنيـن مـا سـال وادي
ترخص بها السلعه ويغلى بها الزاد　　والمرضِعَه تذهل جنين الفوادى
ذبحة هل المسجد ركوعٍ وسجاد　　لا بـد يجـي لهـا عنـد الله منـادي
ادعوا معي يا من حضرني يا لاجواد　　ترى الدعا يقبل مراجم هوادي

فَقُبِلَ دعاءه وقُتِلَ هؤلاء البغات بعد. (انتهى).

* * *

إرشادات نحو قيادة أفضل

١ ــ نظام المرور، حُكْمٌ عادل لسلامتك وسلامة الآخرين منك فلتزمه.

٢ ــ السرعة سبب الحوادث.

٣ ــ التفات السائق هلاك.

٤ ــ من حماقة السائق التسرّع في المضائق.

٥ ــ تَساعَدْ مع سيارات النقل الثقيل في المضائق والمنعطفات.

٦ ــ ركّز حواسك «ذهنك، وسمعك، وبصرك، ويديك، ورجليك» على ضوابط السيارة دائمًا، باستحضار إمكان حدوث مفاجئة.

٧ ــ (المنبّه) استعمل المنبّه (البوري) عند اللازم ولا تعتمد على كشح النور، فليس النور منبهًا، فقد يكون السائق غافلاً لم ينتبه للنور.

٨ ــ ممنوع دخول الطريق بدون توازن، فما هو التوازن في نظام السير؟ (هو التأكّد من خلوّ الطريق قبل دخوله).

٩ ــ لاحظ السير من خلفك وجوانبك في المرآة العاكسة، بلحظة خاطفة، كما تلاحظه من أمامك.

١٠ ــ استحضر أن الطريق دائمًا مشغولاً فالزم اليمين.

١١ ــ تأهّب للخروج عليك من المنافذ الفرعية بإمكانية الوقوف.

١٢ ــ لا يستخفك بعض الركاب: أعبر ــ أعبر، يمديك ــ يمديك، امسك ــ أمسك، لف ــ لف، ولكن اعتمد على نفسك بتصريف حالك الحالك بعد الاعتماد على الله.

١٣ ــ الماء يفسد الفرامل وقت السيل والخوض بالماء، فقد تخونك: فاحذر التسرّع.

١٤ ــ الرمل على الإسفلت يزحلق بالكفرات: حالة اللفة أو الفرملة، فانتبه له.

١٥ ــ في حالة الرجوع خلف: التفت على يمينك للخف لتلاحظ خلف وأمام بلحظات خاطفة.

١٦ ــ حال وقوفك بالإشارة: انقل التعشيق (القير) إلى نمرة قوية حتى لا تنساه بالراحة فيطفىء عليك عندما تحرك.

١٧ ــ عندما تريد الدخول في الطريق أو التجاوز: باشر بعزم حتى تعتدل بالسير، (كي تخرج سريعًا من نقطة الخطر).

١٨ ــ لا تستهن وتكسل عن دق البوري (الهرن) عندما تبصر أمامك تقاطعًا أو منفذًا قد تفاجىء منه.

١٩ ــ جاء في الحديث: [من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم][(١)] أي حقت عليه: فلا تؤذي في الطرقات والشوارع، ولا توقف وقوفًا يؤذي فتلعن.

(١) الحديث رواه الطبراني عن حذيفة بن أسيد وحسنه المنذري.

٢٠ ــ لا تنزل وتترك المفتاح على السيارة أو تتركها شغّالة فتعرضها للنهب أو التخريب، فقد حصل ذلك كثيرًا.

٢١ ــ لا تغامر فتقطع أو تجاوز قبل السيارة المسرعة، فالسرعة تخلف ظنك، والمسرع قد لا يمكنه التصرف.

٢٢ ــ إذا لقيت لفّة كبيرة للخلف فازو اللفّة من أوّلها حتى لا يُطَوِّحْ بك للرصيف الثاني.

٢٣ ــ تعلّم النظام قبل الاستمرار بالقيادة، حتى لا تارط: لو طبّق المرور النظام عليك، فلقد كان المرور يبذل جهودًا في تعديل السير ومتابعة المخالفات من أجل سلامة المجتمع.

٢٤ ــ رَكِبَ رجل في سيارة أجرة ووضع شنطته في شنطة السيارة الخلفية، فلما وصل ونزل ليأخذ شنطته حرّك صاحب السيارة وهرب بها، فانتبه عن مثل ذلك.

٢٥ ــ رَكِبَ رجل وامرأته في سيارة فلما سار شيئًا، أوقف حول البقالة، وقال للرجل انزل أعطنا باردًا من هذا الدكان، فنزل الرجل وامرأته في السيارة فهرب بها صاحب السيارة ولم يعرف له وجه، فانتبه عن مثل ذلك.

٢٦ ــ إذا هدّأت على المطب الكبير وطبّت الكفرات المقاديم فانهزه بعزم قليل حتى لا تردح به المواخير: لكن تشطفه شطفًا.

٢٧ ــ إذا أردت اللفّة لليسار فالزم يمينك مع الحذر.

٢٨ ـ لا تنزل إلاَّ والمفتاح في مخباتك حتى لا تنساه على السويك وتغلق عليه.

٢٩ ـ استصحب معك مفتاحًا ثانيًا في مخباتك الثانية لا تستعمله إلاَّ عند الضرورة.

٣٠ ـ إذا وَقَفَتْ سيارة أمامك بجانب الشارع فقد يفتح بابه أمامك بسرعة فانتبه له ودقّ البورى.

٣١ ـ لا تحاول تجاوز سيارة أمامك في حالة انعطاف الطريق، أو صعود، أو نزول، أو غبار، أو مطر، حتى يبرح الخط أمامك تبصره ممتدًّا خاليًا، فالفرق بسيط والخطر شديد.

٣٢ ـ امسك سيرًا واحدًا، ولا تشغل سيدين حال سيرك ولا حال وقوفك.

٣٣ ـ إذا أبصرت أمامك شيئًا من الحيوان أو الخشاش، كالكلب والسنور والقنفذ والورل ونحوها، وظننت أنك تدعسها جبريًا إذ لا يمكنك الوقوف عنها، فبادر بالاسم «بسم الله بسم الله»، حِرْزًا لك عن معرتِها. (انتهى).

* * *

فائدة لطيفة

قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران/ ١١٠]. يحسن سكتة لطيفة بعد قوله: (أخرجت) لأن المعنى هو: ما رواه البخاري وغيره، عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: كنتم خير الناس للناس: تأتون بهم في السلاسل فيدخلون في الإسلام (يعني: فيدخلون الجنة) فمعنى هذه الخيرية هي: أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والإيمان بالله سبحانه.

حديث صلاة الحاجة:

فإذا كانت لك حاجة إلى الله سبحانه، أو إلى أحد من خلقه، تحسن الوضوء، ثم تصلّي ركعتين، ثم تثني على الله، وتصلّي على النّبي ﷺ، ثم لتقل: لا إلـٰه إلاّ الله الحكيم الكريم، لا إلـٰه إلاّ الله العلي العظيم، سبحان رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبًا إلاّ غفرته، ولا همًّا إلاّ فرجته، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا صلاح إلاّ قضيتها يا أرحم الراحمين. رواه ابن ماجَهْ والترمذي. (انتهى).

* * *

الضرب ضرب الطبابيخ

كان بعض أهل بلدان نجد يذهبون في طلب المعايش: إلى الأمصار (مثل الشام ومصر وفلسطين والعراق والكويت)، وغيرها كما في المثل: نجد تَلِدْ ولا تغذو)، ويسمون عُقيل، وبسبب مزاولة الأسفار يكتسبون رجولة جيدة من الشجاعة والصبر والجلد والكرم وغير ذلك، ومن لم يسافر مثلهم فقل أن يكتسب أخلاقًا مثلهم، فتجدهم يفوجون قبائل الأعراب ذهابًا وإيابًا ومعهم الإبل والأموال، فيحمون أنفسهم ورفاقهم وأموالهم.

ومن ذلك مرة، أراد أحد شيوخ القبائل أن يأخذهم، فطلبوا منه المصالحة، ولكن صمم على أخذهم، قالوا له: اطلب منّا إخاوة ندفعها لك كالعادة، فقال: (اعطونا ألف ألُوف، وحمل سيوف، وكسوة للقاعدين والوقوف)، والحمل هنا هو حمل الجمل، فقالوا: إحلم يا الأمير، فما زالوا يهاودونه، يريدون الخلاص منهم بالرفق، وحين صمم على ذلك، وإذا أحد رجال عُقيل عبد طباخ معهم، وله من الإبل جملين، ومعلوم في ذاك الوقت أن كل رجل يحمل سلاحه معه ليلاً ونهارًا، فجاشت الحماسة والشجاعة في نفس هذا العبد وقال: يا جماعة: أظن كُلٌّ يحكى على قَدْرِ جْمالُه، أنا لي جملين وهذي طلقين،

ثم رفع البندقية ورما أمير القبيلة رميتين فقتله وهو وسط العالم، ثم إن ربعه عقيل كلهم رفعوا سلاحهم وانحازوا ورجعوا وسلموا. فقالت بنت الأمير المقتول: (الضرب ضرب الطبابيخ وإلاَّ السليف سليف ملوي)، السليف تصغير سَلَفْ، والسلف هم رجال السلاح، ملوي يعني غير جيد، فهي قالت ذلك: حيث إهتالت من جراءة هذا العقيلي على الأمير وسط قومه، وقديمًا قيل:

وصابر إلى أن تبلغ النفس وسعها ... تفـوز بِنُجْـحٍ أو تمـوت فتعـذرا

فصار يضرب به المثل لقوة العزم والضرب حال المشاجرة والمقاتلة بين الناس، (الضرب ضرب الطبابيخ). ويقال: (ضَرْب مْخَلِّص) للضرب أو الفعل الشجيع. وقيل:

وللحـروب رجـال يعـرفـون بهـا ... وللـدواويـن كتـاب وحسـاب

وقيل:

إيْلا صِرْنا ما ننطح وجيه المواجيب ... تحـرم علينـا لابسـات الخـزارى

(انتهى).

* * *

تابع الجليس الصالح

كانت امرأة هنا: إذا خرج زوجها أو أحد أولادها قالت: بسم الله، استودعك الله، اللَّهمَّ احفظه بحفظك، وأعذه من شر خلقك، ومن عين العائن وشر الحاسد، فما رأينا أسعد من هذا البيت.

وإذا اشتكى أحد مرضًا أو مشكلاً قرأت عليه ودعت له، وأمرته بالدعاء والتضرّع إلى الله سبحانه، فيزول مشكله أو يخف بفضل الله تعالى.

وكان أحدهم إذا أوقف سيارته قال: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. فسئل عن ذلك فقال: ضد الحرامية والمفسدين. وفي المثل: من عاش مدارٍ مات مستور. (انتهى).

* * *

حب الوطن

قال:

راعــى رمــان بــرمــان راغــب   الارزاق بـالـدنيـا وهـو مـادرى بـه

وقيل:

بـلادي لـو امْحَلَـتْ عَلَيَّـهْ مِـرِيَّـه   وهَلِـي لـو شَحَّـوْا علـيّ اكــرام

ومثل ذلك قولهم: (الظبـي وعوشزته).

قيل: مَرَّ ركب سائرين في طريق، وأتوا على أرض مجدبة، وإذا فيها ظبـي هازل من الجوع تحت عوشزة، وهم يعرفون أمامهم أرض مربعة فيها عشب فصادوا الظبـي وحملوه معهم، فلما وصلوا الربيع أطلقوه احتسابًا للأجر، أو يريدونه يسمن فيأكلونه مرة ثانية، أطلقوه ومضوا في سبيلهم، فلما رجعوا تطلبوه حول المحل الذي تركوه فيه فلم يجدوه، والربيع وافر، فلما وصلوا العوشزة (الشجرة) التي أخذوه منها وإذا هو فيها هازل جائع، فصار يضرب به المثل في محبة الوطن، (الظبـي وعوشزته)، والعوشز: شجر له شوك، أقل من السلم، ويقال: عوسج. (انتهى).

* * *

قصة في الثائر

الأَخْذُ بالثائر سجية غريزية لعموم الخلق، وحتى بعض البهائم والحيوانات، إلاَّ الخنزير، فليس به غيرة، حتى ولا على أنثاه.

قيل: كان هناك عائلة في البادية، نشأ عندهم صبي يتيم، هم أعمامه، ونشأت لهم بنت كُبْرَ الصبي، وأولعت بحب هذا الصبي ابن عمها، وكانت عيشتهم قشيفة، وكان عندهم شيء من التمر، ولكنهم لا يأكلون منه، يذخرونه للظروف الضرورية، والليلة العصيبة، فالبنت من شدة حبها الصبي سنحت لها فكرة، بأن تأخذ من التمر لتبر به الصبي المحبوب لها، ولكن ماذا تعمل خوفًا من أهلها؟ جعلت تأخذ من التمر بيدها، وتلقمه الصبي بفمه، ولا تتركه يلمسه بيده، ولا تأكل هي منه شيئًا، وقد اتفقت مع الولد على علم، إذا فقد أهلهم التمر وسئلوها؟ أن تحلف لهم أني ما ذقته ولا دخل فمي، وإذا سألوه هو يحلف لهم أني ما لمسته بيدي.

وحين فطن أهلهم للتمر وسألوهما؟ أجابا بهذا الجواب المعد لذلك، ولكن الأهل لم يقنعهم هذا الجواب، إذ ليس هنا أحد غيرهم مظنّة أكله، فقاموا عليهما ليضربوهما، فهربا فتركوهما على أنهما سوف يرجعان بعد، ولكنهما لم يرجعان، بل عزمت البنت الهروب بالصبي

خوفًا عليه منهم، ومضيا في هروبهما حتى وجدا عربًا نازلين، فضافوهما، ثم استقرا حولهم، فالبنت وضعت عباءتها فوق شجرة بجوارهم يستظلان تحتها، وتذهب تعمل حول بعض النساء شيئًا من العمل، كالغزل ونحوه، ليعطوها شيئًا من الطعام، والولد: يعمل مع بعضهم يرعى لهم الغنم أو الإبل بالأجرة، ومضت مدة، وكبر الصبي وهم على ذلك، ثم طرىء للولد أن يذهب يتطلب المصالح بعيدًا، لعله يحصل على شيء أكثر مما هما فيه، فأخذ عصاه، قناة، وهي العصا الغليظة (برأسها عقدة جيدة للضرب)، فلما سار وإذا هو يصادف ركبًا من هذا الحي، غزاة لنهب الإبل من قبيلة أخرى زمن الفوضى، كما في المثل: ناهب ومنهوب، فهذا الشاب فرح بهم واعتنقهم لعله يصيب معهم شيئًا من المغانم، ولكنهم منعوه وطردوه، لا يريدونه يتبعهم حتى لا يشاركهم في الغنيمة إن كانت، فصار يتبعهم عن بُعد، وإذا جاء الليل ونزلوا ضوى عليهم ضيفًا، فيضيفوه، فإذا كان الصباح طردوه وساروا، وفي اليوم الثاني أو الثالث وهو يسير خلفهم متجهًا إلى الشرق مثلاً، إذ عارضه صاحب بعير متجهًا من الشمال إلى الجنوب مثلاً، فحين عارضه ألقى عليه السلام صاحب البعير، فَأَمِنَ شره فرد عليه السلام فَأَمِنَ ذاك شر هذا، (وهذه عادة معروفة عند العرب: إذا التقوا: أنه إذا سلم أحدهم على الآخر ورد عليه الثاني فقد أمن كل واحد الثاني يقينًا، وإذا لم يسلّم، أو سلَّم هذا ولم يرد عليه الثاني فهو قوماني، فليأخذ حذره منه، فإذا سلَّم ذاك ولم يشأ هذا أن يسالمه قال في جوابه (سلمنا منك)، معناه لا سلامة لك منّا، وقد يقول: (سلامك ما يسلمّك).

الحـاصـل: أنهما بعد السلام اصطحبا، وكان صاحب البعير شابًا أيضًا، وجمله أظبط: به ظَبَطَة، يمشي على جنب، سأله الولد أين تريد؟ قال: إن لي شأنًا هناك قاصده، قال: ألاَّ تريدني أخاويك وتشركني في كسبك إن كسبت؟ فقال: بلى أنت شريك لي فيما تحصلنا عليه، فسار معه على اتجاهه، فلما حان وقت الغدا نزلا وعمل خبزة في الجمر، وفركها بالسمن، ثم قدّمها للولد وقال: كُلْ فقال الولد: وأنت كل معي، فقال: (لا) بل كل أنت وحدك، فأبـى الولد، وأبـى صاحبه أن يأكل معه بتاتًا، (وهذا من أجل سر سوف يظهر فيما بعد).

الحـاصـل: أن الولد أكل نصف القرص، ثم ناول صاحبه الباقي فأكله، فلما جاء العشاء، كذلك، واستمرا على ذلك، حتى كان ذات ليلة، فعندما أرادا أن يناما، قام صاحب الجمل ولبس سلاحه كله، وقال لصاحبه الولد، إني سوف أذهب الآن لشأني، وأنت أقعد عند الجمل فإن طلع الصبح وأنا لم آتك فأنا ميت، فالجمل لك اذهب به حيث شئت، وإن أتيتك قبل الصبح فأنا صاحبك، فسار من عنده، فتبعه الولد عن بُعد، على الشوف، كي ينظر أمر صاحبه ماذا؟ فمشى الأول حتى وصل إلى قصر (بيت طين)، فلاذ به، وصاحبه على أثره، حتى طلع عليه أمام البيت، وإذا صاحبه هذا وصاحب البيت يقتتلان قتالاً شديدًا، وصاحب البيت له رأسان، فاستمرا على المقاتلة، لم يغلب أحدهما الآخر، فلما تعب الصاحب انتخا وقال: ما ها هنا من الأجواد أحد؟ قال الولد بلى: ثم ارتجل الولد بقناته على أبو راسين، فضرب أحد رأسيه وإذا هو يسقط مغشيًا عليه فتابع عليه الضرب حتى مات،

فجلس الصاحب يتراجع نفسه بعد التعب والإرهاق، فلما صحا فكره نظر هذا الذي ساعده من هو؟ وإذا هو فلان صاحبه، فقال: فلان؟ قال: نعم، قال ألله يجزاك خير إذ ساعدتني على هذا العدو الخبيث، فهذا سعلو قد أهلك أهلي كلهم: ولى سنة آتي إليه لعلي أقتله آخذ منه الثائر، فلا أستطيع أغلبه ولا يغلبني فأرجع عنه، والآن ساعدتني عليه بارك الله فيك.

فلما سكن روعه واطمئن، قال للولد: إذهب ائت بجملنا، فذهب وأتى به وباتا هنا، فلما أصبحا دخلا هذا البيت، فوجدا فيه مالاً كثيرًا من ذهب ودراهم وسلاح وأواني وملابس وغيره، فاستشار صاحبه ماذا نصنع بهذا المال؟ فقال الولد: انظر رأيك في الأصلح، قال: الأحسن أننا نأخذ ذهبًا ودراهمًا ونذهب نشتري إبلاً من العرب البادية حولنا، ثم نرجع نحمل عليها بقية هذا المال؟ قال: نعم، فأخذا دراهم وخيمةً أو خيمتين وذهبوا ونزلوا حول عرب هناك، ونصبوا خيمتهم، فجعلوا يشترون بعارين وَيَسِمونها وسم الولد، ويجمعونها. ثم إن الصاحب قال للولد: ألا تريد تتزوج يا فلان؟ فإن هاهنا بنت تصلح لك! فقال الولد بلى، فقاما ونصبا الخيمة الثانية هناك خلف شجرة قربهم، فلما صار بعد العشاء، قال الصاحب للولد إذهب إلى عرسك إنك سوف تجد البنت في الخيمة أو تجلس قليلاً وتأتيك، فذهب الولد إلى الخيمة الثانية... (ونفس الأمر: أن الصاحب هذا ليس رجلاً، إنما هي بنت: قد لبست ثياب رجل وأتت لعلها تدرك الثائر من عدوّها، وحين قتله الله لها بمساعدة هذا الولد، انتهى شأنها من الترجّل، وتاقت نفسها

للزواج، ولا تجد أحسن لها من هذا الصديق الممازج (زوجًا) ولم تشأ أن تخبره قبل أن تجري بينهما الحالة الزوجية ويطمئن معها، فلو أخبرته قبل ذلك فربما نفر عنها ولم يرغب تزوجها، لكنها صارت حكيمة في أمرها، أولاً وآخرًا.

(ومعلوم في أحكام الدين الإسلامي، أن المرأة لا تزوج نفسها، فلا يزوجها إلاَّ وليّها، أو الحاكم عند فقد الوليّ): ولكنهم في جاهلية وفوضى، فيحسن منهم هذا التزوّج صيانة للأعراض عن السفّاح، وحفظًا للأنساب.

ومن حكمة هذه البنت أن قد ظهر السر الذي جعلها لا تأكل مع الولد، حيث كان الناس في وقت جفاء، يستعيبون الأكل مع المرأة، حتى ولو هي زوجته، (فقد أدركنا بعض الناس إذا عتبت المرأة على الرجل وأرادت تثلبه قالت: (يا مواكلها) تعني يا مؤاكل زوجتك، فهو عيب عندهم ذاك الوقت، فلا يأكل مع زوجته إلاَّ الساقط من الرجال المتغلّبة عليه زوجته، فهذه العادة المستهجنة ذاك الوقت هي التي حاذرتها هذه البنت مع خوييها هذا الولد، من أول الأمر، احترامًا له حسب العرف المتّبع، وحتى لا يَنْقُمْ عليها إن تجلّى له الأمر بعد ذلك. ثم انظر شجاعة هذه البنت، كيف غامرت بروحها في طلب ثائرها أو تهلك في أثره.

الحـاصـل: أنها لبست ثياب امرأة وذهبت ودخلت عليه الخيمة، وسارت الحال بينهما في العرس على الطبيعة، فلما طلع الفجر قام الولد وذهب للخيمة الأولى فقامت وسبقته من خلف الشجرة وبدأت

تعمل لشب النار، فالولد وجد صاحبه في مكانه قد استيقظ ويعمل لإيقاد الضوء: فقام وسلَّم عليه وعانقه وسأله عن حاله في العرس؟ فأثنى الولد خيرًا جدًا، وظهر عليه علامة الفرح والسرور والرغبة، وفي الليلة الثانية والثالثة كذلك.

ثم قال الصاحب للولد ألا تريد ننتهي من هنا ونرتحل نذهب لأهلنا؟ قال بلى، فجمعوا إبلهم وعفشهم، قال الولد: أنا أريد زوجتي أذهب بها معي؟ قال الصاحب إنها معنا، (أنا صاحبتك)، فاندهش الولد وكاد يغمى عليه، استعظامًا لهذا الأمر، واستبعادًا أن يكون هذا الرجل هو ذيك البنت؟

فجعل الصاحب يقرر له الحال ويكشف له السر الحاصل بينهما، حتى ترايع عقل الولد شيئًا، ثم أخذت تذكر أسباب ترجّلها، أنها تريد تمكّن من أخذ الثأر من عدوّها، فحصل ذلك فانتهى أمرها، قالت: فالآن، أنا والمال لك إذهب بي حيث شئت، فليس لي أهل غيرك. فركد عقل الولد وثبت على أمره، فحملوا المال الذي ببيت السعلو عدوهم المنقتل، ثم سار بزوجته وماله حتى وصل ابنة عمه عند العرب السابق ذكرهم، وإذا هي بحالها تحت عبائتها فوق الشجرة بجانبهم، قد لزمت عزتها وعفّتها وشرفها، تنتظر إتيان ابن عمها وما يتاح له من رزق، فما علمت إلاّ وهو ينيخ القافلة عندها بالعز والغناة بأسرع وقت، فتزوجها مع زوجته هذه، فاصطحبن بينهن من أجله، ثم قسم على جيرانه من هذا الحي: شيئًا من فضول هذا المال، ثم ارتحل وقدم على أهلهم (أعمامه) الذين سبق أن هربوا منهم. (انتهى).

فصل

وجوب تعلم أحكام البيع

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد منع من تعاطي البيع والشراء في السوق إلاَّ مَنْ تعلَّم أحكام البيع، يقول فَمَنْ لم يعرف أحكام البيع فلا بد أن يُدْخِل علينا ما لا يجوز من العقود الفاسدة، قلت: أللّٰه أكبر ما أحوجنا اليوم إلى مثل هذا الحكم. (انتهى).

* * *

ومن ثمرات الصدقة

قد ذُكِرَ لنا أن رجلاً من رجال عُقيل، جاءت إليه امرأة في بيته ودقت عليه الباب، فلما خرج قالت له: حنا مْغِيْبِين، تعني أن زوجها غائب وأنها محتاجة وتطلب مساعدة صدقة، ومعلوم أنه إذا غاب قيم أهل البيت غيبة طويلة فلا بد أن يحتاجوا مساعدة، ولكن الرجل فهم خلاف هذا، فظن أنها تريد أمرًا مكروهًا، فغضب عليها، وقال: إخْسَئي يا قليلة الحياء ما حنا مِنْ ربعِك، فرجعت خائبة الأمل، ولكن الرجل انتبه فورًا فتبعها عن بُعد ليعرف مِن أين هي، فدخلت في بيتها فعرف هو البيت وأن صاحبه غائب، فقال: والله إني أخطأت عليها، فاستغفر الله ورجع إلى بيته، ثم ملأ زنبيلاً تمرًا وحمله على رأسه وأخذ فلوسًا وذهب إليها فدق عليها الباب، فأدخل عليها التمر وأعطاها الفلوس، فقالت: ألله يسقي ظماك.

ثم إن الرجل سافر بعد ذلك للغربية، وفي طريقهم ضاعوا أي (ضلُّوا الطريق هو وخوياه وقاربوا الهلاك ظماءً)، فجاءه شبح ذيك المرأة وسقته، فقام نشيطًا وحمل أصحابه على الإبل وربطهم عليها ثم سار بهم حتى وصل الماء وسلموا. فهو يرى أن هذه المرأة التي سقته هي ذيك الصدقة ودعوتها له، وما عند الله خير وأبقى، وهذا لا يبعد وله شواهد. (انتهى).

طير بن بُرْمان

كان الناس يقتنون الطير (الصقر) والكلب (السلوقي) من أجل الصيد بهما، وفي المثل: (لا بد القناص من رِفْقة الكلب)، وكان الصيد كثيرًا ذاك الوقت، حتى إن أهل البر غالب قوْتهم أو كله من الصيد، ويصاد بالعصا ورمى الحجر واليد وغيرها من الأسباب الخفيفة.

كان ابن برمان له صقر يريد يصيد به، ولكن الطير في أحد روحاته وجد (حية) فمسكها بذنبها وأتى بها، فلما صار فوق صاحبه ألقاها عليه (فهو طير مشؤوم) فصار يضرب به المثل في الشئم، (طير بن برمان)، ومعلوم أن بعض الخلق (فيه يُمْنٌ وبركة)، وبعضهم فيه شؤم. وقد جاء في الحديث: «إن كان الشؤم في شيء ففي ثلاث: في الدار والمرأة والفرس» متفق عليه، وقيل: «البركة إن كانت في ثلاث: في الدار والمرأة والفرس». (انتهى).

* * *

هات من يقرأ.. وهات من يفتهم

قيل: خاف الثعلب من الدبّ واحتال لإهلاكه، فأتاه بصفة صديق، وقال له: ألا تريد نخرج ونكشت ونتنزّه في أرض غير هذه، فيها ربيع وصيد؟ فقال الدب: أنا لا أستطيع أخرج عن الجبل والوعر إلى السهل فتأكلنا الكلاب والسباع، فقال: أبو الحصين، أنا معي مكتوب من الله ما يعارضنا أحد، فقال الدب: لا بأس، إذا كان معك مكتوب من الله فنحن نخرج، فخرجوا من الجبال إلى الأرض السهل (الحماد) فلعبوا وصادوا واستأنسوا، وكان أبو الحصين يترقّب لما يريد.

وفي ذات يوم أقبل عليهما عرب كثيرٌ راحلين من مكان إلى مكان آخر، والعرب البادية يسمون العرب الرحالة، وكانوا يقتنون الكلاب (السلوقي) ــ والطير (الصقر) يصيدون بها من صيد البر، وهذا هو الذي يريده أبو الحصين بالدب، فلما رآهم أقبلوا والكلاب والطيور أمامهم تستبق الصيد، فقال الثعلب: آه يا ما مِنْ العربان، لكن زَبِّنْ عمرك يا الدب، وكان الدب غير سريع الركض، ثم إن الثعلب بدأ يهرب، فقال الدب: (إعرض مكتوبك يابا الحصين). (إعرض مكتوبك يابا الحصين)، فقال الحصني وهو يركض هاربًا: (هات مَنْ يقرأ ــ وهات

مَنْ يفتهم)، (يعني): أن هذه ساعة ضيق لا يمكننا التصرّف وإحضار من يقرأ مكتوب الله، ثم الكلاب قد استشاطت فلا تسمع ولا تفهم ما يقرأ عليها، فلا خلاص لك منهم إلاّ بالهرب، وأنا لك ذلك، فهرب الحصني، بعد أَنْ زَجْ صاحبه في الخطر، وجاءت الكلاب وأكلت الدب فاستراح منه أبو الحصين، ويضرب به المثل:

قال اعرض مكتوبك يابا الحصين   قال هات مَنْ يقرأ ــ وهات مَنْ يفتهم

(انتهى).

* * *

الثعلب والغراب

قد يكون بين الثعلب والغراب صداقة. حدثني رجل من أهل البادية، يقول: إني رأيت الغراب راكبًا فوق الثعلب، والثعلب يركض ركض اللعب.

ويقال إن الثعلب عزم الغراب على الغدا، فأجابه الغراب، فعمل الحصني غداءً بالمكر والتحدي، (أتى بدقيق وماء وخض الدقيق بالماء وطبخه على النار، وهذا يسمى عند الناس عصيد، فيطبخ: كما قال: (الغلام الجائع).

متى تيبس الجله ومتى ينجض العشا ومتى يمتلىء بطن الغلام عصيد

(والجله) ــ بفتح الجيم ــ: هي بعر الجمل والبقر وغيرها، صالحًا للوقود إذا يبس، وإذا كان الدقيق أقل من العادة يكون خفيفًا ويسمى (قعوده) وأبو الحصين جعل غدائه قعوده (عصيد خفيف)، ثم أتى به على فرش، حجر شبه صحن واسع، فصبه عليه فسال فوق الفرش، وقال للغراب: تفضّل للغدا، فجعل الغراب يضرب بمنقاره على الفرش، ولا يحصل على شيء من العصيدة حتى تأثر منقاره، وأما أبو الحصين فهو جعل يلعق بلسانه حتى لعقه كله، فيضرب به المثل في الخيبة (عزيمة أبا الحصين)، ثم إن الغراب استعد بالغدا في اليوم

الثاني، فأتى (بتمر) وعمد إلى شجرة (عوشز)، وهو شجر له شوك قريب من السلم، فأدخل التمر وسط الشجرة كل تمرة بشوكة، وقال للحصني تفضل للغداء، فجعل الحصني كلما قرب من العوشزة بطه الشوك، فلم يحصل منه على شيء سوى تجرح زقمه من الشوك، والغراب وقع فوق الشجرة وجعل يدخل منقاره (ويقال منغورة) فيأخذ من التمر ويأكل بسهولة.

ومرة قال الغراب للثعلب علمني الروغان: لأن الثعلب يحسن فن الروغان، بسبب ضُخْمِ ذَنَبِهِ يسكر له الهوى عندما يريد يلف، كما يضرب به المثل (أروغ من الثعلب)، فقال الثعلب: لا بأس، أنا أعلمك الروغان على أن تعلمني الطيران، فقال الغراب: لا بأس، فركب الغراب فوق ظهر الثعلب وجعل الثعلب يركض (يعدو) وَ (يُرَوِّغْ) والغراب فوقه، فلما تعب وقف وقال للغراب: علمني الطيران؟ فقال: اركب، فركب الثعلب فوق الغراب، فطار به حتى ارتفع، ثم قلبه وألقاه على الأرض فتقطع لحمه قطعًا، فنزل عليه الغراب وجعل يأكل من لحمه. (انتهى).

* * *

القنفذ والرخمة

كان القنفذ لا يأكله شيء من الحيوان لوجود الشوك على ظاهره، إلاَّ الرَّخمة فهي تحتال لقتله، فتمسكه بشوكه بمنقارها وتطير به وترتفع ثم تطلقه يسقط إلى الأرض، ثم تتبعه، فإذا ضرب على الأرض وإذا هو ميت فتأكله. (انتهى).

* * *

من نكت الأعراب

أولاً: قولهم (نِيَّتِكْ مَطِيَّتِكْ).

فالمطية هي المركوبة، كالناقة ونحوها، فإن كانت طيبة اوصلتك مطلوبك، وإن كانت رديئة ارْدَتْك عند مرهوبك، والنية هي أساس الأعمال للدين والدنيا، فإن كانت نيتك طيبة جنيت ثمارها، وإن كانت غير طيبة جاءتك أغيارها.

ثانيًا: أعرابية حضرت صلاة الاستسقاء مع الناس، وكان الناس إذ ذاك قليل، فلما قارب الإمام عند الانتهى من الخطبة، وأتى على سنَّة قلب الكساء الأعلى كالردا أو البشت ونحوه، تفاءلاً أن الله قلب الحال من عسر ليسر) وقلب الناس تبعه: فنادته الأعرابية قائلة (يا شيخ إقلب قلبك قبل كسائك) (تعني): غيروا أحوالكم من خطأ إلى صواب، ومن ظلم إلى عدل، ومن إفساد إلى إصلاح، ومن ضلال إلى هدى، ومن شح إلى سخاء، ومن حسد إلى مروءة وإحسان، ومن غش إلى نصح: وسوف يأتيكم المطر: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

ثالثًا: حضر أعرابي محاضرة جماعة، يحثون على القيام بأمر الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء ملَّة إبراهيم عليه السلام، (وهي الحب في الله والبغض في الله) عملاً بقوله تعالى: ﴿ قَدْ

كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة/ ٤]، فالذين معه على هذا الأمر (هم الأنبياء وأتباعهم قبله وبعده، الذين يعملون بعمله في هذا إلى يوم القيامة)، فنحن مأمورون باتباع طريقتهم في هذا (ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم إلاَّ من سفه نفسه).

الحاصل أن الأعرابـي قام وألقى كلمة مختصرة جامعة للمقصود في هذه المحاضرة: قال: (يا جماعة ازعلوا على العاصي لأجل يعرف ذنبه: لا ترضون عليه فتغرونه بنفسه، فيظن أن عمله طيب مرضى).

رابعًا: حصل اختلاف بين طائفتين من الجمهور، حتى اشتد الأمر وأهم الناس شأنهم، وقدم من قبلهم رجل على جماعة هنا، فسألوه (ما فعل الجماعات ورآك؟) فقال: (اتّفقوا على ألا يتّفِقوا)، يعني أن الخلاف بينهم مستحكم. (انتهى).

* * *

ابلع كبدك يا صلطان

جاء أحد الحكام الغشمة زمن الفوضى وتنازع الإمارة، فنزل حول إحدى القرى، وكان أهلها أهل شجاعة وحزم، لا يعبث بشرفهم ولا يدانا حماهم، أهل تناصر وتساعد، كما في المثل: (رمحهم واحد). فاستنادًا على غشم هذا الأمير وقوته وفوضويته: جاء أحد رجاله الطّغَمَةُ إلى إحدى عوائل هذه القرية، وأَمَرَ عليهم أن يهيئوا له أن يعمل لديهم أفعالاً فوضاوية، وإلاَّ فعل بهم كذا وكذا، يخوفهم بطشه؟

فأجابوه بإظهار السمع والطاعة له بما يريد، ولكنهم يريدون بذلك النظر: كيف يهلكونه تخلصًا من شره، فقالوا له اجلس هنا حتى نصلح لك ما تريد، فجلس ينتظر حصول غرضه، وجعلوا يتشاورون في إهلاكه؟ فلطف الله بهم، فبينما هو جالس وأمامه أثلة كبيرة، ذكر أنه بحاجة لعمود خيمة، فطلب منهم أيضًا أن يقطعوا له عمودًا من الأثلة؟ فاعتذروا أنه ليس ثَمَّ مَنْ يستطيع يرقى الأثلة، حيث أن العمود الزين مرتفع أثناء الأثلة؟ فقال أعطوني الفاعور (الفاروع) الفأس فأنا أرقى، ففرحوا رجاء أن يسقط منها فيُهْلِكْ نفسه بنفسه، وهذا هو قصدهم باعتذارهم والدعائهم أن العمود في أعلا الأثلة، وكانوا أهلَ نِحاتَةٍ (ينظرون) وهي الإصابة بالعين (النفس)، فإذا رقى فلا بد أن يصيبوه

بعينهم فسوف يسقط، فأعطوه الفأس، فجعل يرقى في الأثلة من غصن إلى غصن، وكان الحاضرون عنده أحدهم اسمه (صلطان) فحين ارتفع الرجل أثناء الأثلة، جعل صلطان يشير إلى أخيه يحثه أن يُنَجِّزْهُ يَنْحَتُه استعجالاً لهلاكه؟ فيقول: (ابلع كبدك يا صلطان)، ويقول للرجل: بعد اطلع فوق شف العمود الطيب فوقك، فيطلع الرجل يرقى فيشير صلطان لأخيه يستعجله ينحته؟ فيقول: (ابلع كبدك يا صلطان)، بعد بعد اطلع فوق يا رجل شوف العمود الزين فوقك، (ابلغ كبدك يا صلطان)، فلما انتهى الرجل بالرقي أشار هذا إليه بيديه كأنه يرميه بالبندقية وقال: بُوْ، فانتفض الرجل وانفلتت يداه وسقط بين أغصان الأثلة، فينكسر الغصن اشظاقًا فيشق بطنه ويمسك أمعائه، والآخر يمسك خصيانه، فسقط وبقيت أمعائه في الأثلة، فكفى الله المؤمنين القتال، فصارت هذه الكلمة يضرب بها المثل للأمر بسعة البال: (ابلع كبدك يا صلطان)، ومعناها: ابلع رِيْقَكَ ووسع بالك، وتأن واصبر ولا تستعجل. (انتهى).

* * *

أظلم من الحية

قولهم: (أظلم من الحية)، فالله سبحانه قد علم كل شيء مصالح معيشته وتأمين سلامته، فعلم الجربوع (ويقال له: اليربوع) علمه الحكمة في تأمين سلامته في بيته، فيجعل لبيته بابين أو أكثر ويخفيها في الأرض وتسمى (نافقات اليربوع)، ولهذا لما دخلت عليه الحية وقالت له: أنا خالتك وصديقتك وأريد أسكن معك في بيتك، وهي تريد تأكله، فعرف ذلك منها، وقال: (بل نخلي الجحر لا بو طويلة) ثم ضرب سقف آخر البيت برأسه فانفتح وخرج وترك لها الجحر، ويضرب به المثل (نْخَلِّي الجحر لأبو طويلة)، لمفارقة المحل، فهذا ظلم الحية: تدخل على الدبيب والخشاش فتأكله وتسكن جحره. والحية لها عدة أسماء، الحية، والثعبان، والحنيش، والأفاعي، الأفعاء والتنين، والداب وغير ذلك، وفي المثل: (من لدغته الداب خاف من الحبل). ومن أنواعها (الزاروق) طويل دقيق خفيف سريع السير فوق الأرض، ومنه سمى زَرْقُ الرمح لسرعته، والزواريق في البحر، ويسمون الكذب: (الحصان الأزرق) والخيل الزرق وغير ذلك. (انتهى).

قيل: (أم الهول عين تضحك وعين تبكي)، وهذه صفة لبعض النساء السَّلْفَعَ الخوارة الجوارة الرقوب. (انتهى).

* * *

ما عاشت باللقط.. لعلو الهمة

كان الشريف أميرًا في مكة المكرمة، ولكن تغلّب عليه ابن أخيه ونحاه عنها، فخرج يتطلب له أعوانًا يسترد ملكه، وحين خرج ليس معه إلَّا عبده المملوك له، ومعروف أن بعض العبيد فيه رجولة وشجاعة وعلو همة مثل غيره من الأحرار، وأراد الشريف أن يختبر صاحبه العبد في علو همته، لأن الذي يطلب أمرًا رفيعًا من الرياسة والملك لا بد أن تكون نفسه رفيعة تناسب ما طلبه.

كما في المثل السائر: (الجمل ما يصغي للحشفة)، أي لا يخفض رأسه للأرض من أجل حشفة، وهي التمرة الفاسدة، ليأكلها وذلك من عزة نفسه، فالنفس الدنيئة لا يمكن أن تنجح في الأمور العالية، وفي هذا الموضوع يقول الشريف ويسند على ابنه:

إغل الحلال اللي مع الناس يغليك ... ألّلي إيلا بان الخلل فيك يرفاك
واعرف ترا مكه غدا بها ابناخيك ... لو تطلبه خمسة دواوين ما انطاك

والدواوين هنا هي شبه الهلل القروش، غدا بها: أي ذهب بها وأخذها، فالشريف معه حزام (هميان) فيه ذهبه وفلوسه، فألقاه في الأرض بدون يعلم خويه العبد ثم قال: يا فلان اللقطة اللقطة، فقال

العبد: يا عم ما عاشت باللقط، فعرف الشريف عُلُوَّ همته وصلاحيته للعمل، فقال هذا حلالنا هاته. ويضرب به المثل لعلو الهمة (ما عاشت باللقط)، لأن عالي النفس والهمة لا يلتفت للقطة والساقط من الناس. (انتهى).

* * *

لا تصدق بما لا يكون

قيل: صاد أحدهم قوبعة، ويقال لها أم القنبر، وهي: عصفور بري لها قنبرة فوق رأسها، فلما صارت في يده قالت له: أنت إذا ذبحتني وأكلتني ماذا أغني عنك جوعًا، وإذا تطلقني أعلمك ثلاث فوائد: الأولى: وأنا في يدك، والثانية: وأنا فوق الشجرة، والثالثة: وأنا في الهوى، فوق رأسك فقال: هاتي الفائدة الأولى.

فقالت: (لا تصدق بما لا يكون)، فأطلقها فلما صارت فوق الشجرة، قالت: يا مسكين أما إنك لو ذبحتني لوجدت في حوصلتي أربع أواق ذهب، فصفق الرجل بيده وتأسّف على إطلاقها، ثم طارت وصارت فوقه، فقال: هاتي الفائدة الثانية والثالثة، فقالت: أنت لم تعمل بالأولى: فكيف تصدق أن في حوصلتي ذهب، فمن أين لها ذلك؟ ومثل ذلك قولهم: حدث العاقل بما لا يليق فإن صدق فلا عقل له. (انتهى).

* * *

كانوا يَغْوُوْنَ عِواءَ الذئب: لماذا؟

كما في قصة أخرى معروفة: حيث كانت أخته متزوجة في قبيلة أخرى فأتى إليهم بالليل خفية حتى قرب منهم، فجعل يعوي عِواءَ الذئب يسئلها عن إبلهم؟ فعرفت صوت أخيها فقالت:

يا ذيب يا اللي جَرْ صَوْتٍ عَوَا بِه　　　ماذْرِي طَرَبْ وإلا من الجوع يا ذيب

يـا ذيـب لا تمنعـك عنـا المهـابـه　　　يا مِجْفِل الغزلان حنا المعاذيب

تلقـا العشـالـك بخشـم العقـابـه　　　بفيضـة السـر داح والبـل عـوازيـب

فسمعتها أم زوجها فظنت العاوي صحيبًا لها، فقالت:

يا بنت مالك بالدنس والخيابه　　　ترى مَعَضْ الذيب مابه تطابيب

حاذورك من الذيب يَشلِّك بنابه　　　يخربك من بين البنات الرعابيب

يخليك مثل خَطات الناقة الجلابه　　　إيلا حافه الشراي يلقى عذاريب

يخلـي جنـابـك مثـل دار خـرابـه　　　تصيـر للفـأر المخـرِّب مـلاعيـب

فخافت البنت من التهمة بهذا الدنس، فقامت: توضح للمرأة أنه أخوها يعوي: يسئل عن الإبل، فقالت:

وحيـاة جـلاب المطـر مـن سحـابـه　　　إنـي بـريـة مـا بعـد عضـن الـذيـب

الذيب أخوي اللي يَشِلْ الكسابه　　　يوم نجوم الليل مثل المشاهيب

قولها: يشل الكسابه، أي: ينهب الإبل في ظلام الليل، إلى آخر القصة. (انتهى).

من أحوال العقوق.. ليتها تثور بمزيد

كانوا في وقت مخافة، ويريدون يهربون والإبن له ناقة، فركبها فقال له أبوه: (ينخاه أن يحمله معه على الناقة ولا يتركه)، قال: «مَزْيَدْ يا وْلِدِيْ». قال: (ليتها تثور بمزيد)، تثور تقوم، أي ليتها تقوم بـي وحدي، ومعناه أن الولد لم يرحم أباه ولا بره، ولم ينظر إلاَّ نفسه، وهذا يعد من العقوق والأخلاق السيئة، ودرج على الألسن (ليتها تثور بمزيد) في قلَّة المروءة. (انتهى).

* * *

عجائب الأقدار

حج رجل وابنه، وكان الأب رجلاً عاميًا جافيًا: وكان الابن عاقلاً مؤدبًا قد حفظ القرآن عن ظهر قلب، فلما قدما مكة قبل الحج، والابن يطوف بالكعبة، وإذا يطوف إلى جنبه بنت جميلة جدًا، فاندهش عقله من جمالها، فلمس كتفها بيده وقال: ألله لا يقطعني من مثلك: فأنغضت طرفها إليه وقالت: لعل يد لمستني تقطع: فاستجيبت دعوتهما في بعضهما، ففي يوم وجد الابن بوكًا في مكة ساقطًا، فيه دراهم فأخذه ليشيد عنه، لعلمه بأن ساقطة مكة لا تحل لغير صاحبها، (والأحسن لو أنه تركها ولم يأخذها) ولكن أبوه أخذ البوك وطمع به ووضعه في عفشه لا يريد يؤديه ولو جاء صاحبه، وفي ساعة سمع الابن مشيدًا عن البوك وأبوه غير حاضر: وحين تحقق أنه صاحبه أخذ البوك وسلمه صاحبه، فلما جاء الأب مد يده يلمس البوك هل موجود؟ فلم يجده، فسأل ابنه عنه؟ فقال جاء صاحبه فأعطيته إياه، فاستشاط الأب غضبًا وفقد بعض شعوره، فمد يده ومسك يد الابن وأخذ الخنجر (السكين) من حزام بطنه بيده الأخرى وقطع يد ابنه بسرعة، فبعد حسمها وعلاجها قاربت الْبُرْءَ في أيام أعمال الحج، فبعد انتهاء أعمال الحج فكّر الابن في حاله: فاستحيا من مواجهة أهله وجماعته ويده هكذا، فانسل من

أبيه خفية وذهب عنه، وخرج من مكة يتنقل في القرى يتطلب له عملاً يعيش به، يستغني عن التسوّل حيث كان شريفًا عزيز النفس، وحين قدم إحدى القرى صلح له أهلها في أخلاقهم وديانتهم، فريَّض نفسه حولهم حتى عرفوه، وأحبّوه لديانته وأدبه وشرف أخلاقه، فحرصوا على ربطه بعمل ليكون واحدًا منهم، فسألوه ماذا يحسن من الأعمال المناسبة لعيب يده؟ ورأوه قد حفظ القرآن على ظهر قلب، فقالوا نريدك تجلس تعلم أولادنا (القرآن والدين والأدب)؟ فقال نعم، فاستمر في تعليم أولادهم فازدادوا رغبة فيه، فقالوا له نريد نزوجك؟ فقال لا بأس: لكني لا أريد إلاَّ صاحبة أخلاق طيبة: فاختاروا له أحسن بنت عندهم ذات أخلاق شريفة، وذلك من أجل علوّ قدره عندهم، فخطبوها له فأجابت وأخبروها بعيب يده فرضيت بها طمعًا بديانته وأخلاقه، فلما دخل عليها وإذا هي صاحبته عند الكعبة التي طلب من الله أن يرزقه مثلها، وهي عرفته أنه صاحبها الذي دعت عليه أن تقطع يده، فلما سار الكلام بينه وبينها قالت له ما الذي قطع يدك هكذا؟ فقال: أنتِ، (يعني أنكِ أنتِ التي دعوتِ عليَّ فقبلت دعوتكِ) فقالت: الحمد لله لولا هذا ما وصلتني هنا. (انتهى).

* * *

قيل

صَغِّر اللقمة وامضغها جيدًا ولا تلتفت إلى أكل غيرك

فهذا فيه أدب جميل وأسباب للصحة: لأن مضغ الطعام بالفم وخلطه بماء الريق: فيه مساعدة للمعدة على الهضم فهو من أسباب الصحة. ومن الأدب الجميل أن تغض طرفك حالة الأكل فلا تنظر إلى أكل غيرك كأنك قد انتقدته، فتنتقد أنت على ذلك. (انتهى).

* * *

دقيق الرياء

قال بعض السلف: أن الرجل ليطوف بالكعبة ويرائي أهل خراسان، قيل: كيف ذلك؟ قال: إنه يحب أن يتحدث الناس بخراسان أن فلانًا مجاور بمكة، وهذا مثلٌ لكل أحد لا يخلص عمله لله، فيحب المحمدة والتسميع والتصنّع بعمل الآخرة.

كان رجل قد حجَّ إلى مكة نحو عشرين مرة على رجليه، وذات ليلة كان نائمًا في سطح بيته هو وأمه، وفي أثناء الليل عطشت أمه فقالت له أعطني ماء أشرب، وكان الماء في القربة في أسفل البيت، فثقل عليه أن ينزل ويصعد لأمه بماء، ولكن لا بد من ذلك، فنزل وأتى بماء لأمه، ثم جعل يحاسب نفسه: ما الذي هوّن عليه الحج على رجليه عدة مرات وتثقل عليه هذه الحاجة البسيطة لأمه؟ فاتضح له أن الذي هوّن عليه الحج حيث تعرف نفسه أن الناس يعلمون بحجه، وأما حاجة أمه هذه في ظلام الليل ووسط البيت لا يعلم عنها إلاَّ الله سبحانه فثقلت على النفس، فتاب إلى الله وحجَّ حجَّة جديدة بإخلاص.

قيل:

فيا موقدًا نارًا لغيرك ضوئها ... وحر لظها بين جنبيك يضرم
أهذا جناء العلم الذي قد غرسته ... لنفسك في الدارين جاه ودرهم

وقيـل:

ترجو النجاة ولا تسلك مسالكها   إن السفينـة لا تجـري علـى اليبـس

وقيـل:

ولا تَحْشُ بطنك من الطعام تَسَمُّنًا   فجسـوم أهـل العلـم غيـر سمـان

وقيـل:

قـد هَيَّئُـوك لأمـرٍ لـو فطنـت لـه   فاربـى بنفسك أن ترعى مع الهمل

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: اطلب قلبك في ثلاثة مواضع: اطلبه في الصلاة، واطلبه عند سماع القرآن، واطلبه عند حضور حِلَقَ الذكر، فإن وجدته في هذه الثلاثة المواضع فهو حَيٌّ، فاحمد الله على ذلك، وإلاَّ فاطلب لك قلب.

قيل: جاء رجل من الزُّهّاد، وإذا عيش مُلْقًا في أرض نظيفة في ناحية البلد، فأتى كلب وأدلى يأكل من ناحيته، وأدلى الرجل يأكل من ناحيته، فجعل الكلب يَنُحُّ عليه يهوش، فقال الرجل: لا تنح: كُلْ مما يليك وأنا آكل مما يليني: فإن كنتُ في الجنة فأنا خير منك وإن كنتُ في النار فأنتَ خير مني.

قلت: عليك بكتاب (الفوائد) لابن القيم: وتكرار النظر فيه، يُريك معرفة الله حقيقة، ومعرفة نفسك وعملك، يضيء لك الصراط المستقيم.

سئل بعض العلماء: ما عقوبة العالم المفتون؟ فقال: موت قلبه، قيل: ما علامة ذلك؟ قال: إيْثارُه الدنيا على الآخرة. (انتهى).

* * *

منافع الجسم ومضاره

قال الهِلالي:

رِجْلِك والحذا ــ وعينك والجْلا ــ ورأسك والسِّلا كيف تبلى يا ملا الْبَلى.

المعنى: أنك إذا كنت تلبس النعال (الحذا) برجلك، وتكحل عينك بكحل الجَلا الأصلي، أما غير الأصلي فلا يفيد أو قد يضر، وتدهن رأسك بالسِّلا وهو سمن الغنم الطبيعي[1]، ومثله سمن البقر الطبيعي، فهذه وقايات للجسم عن البِلا.

وقوله: (يا ملا البلا) كلمة تقال غير مقصود وجوب معناها.

أما هذه الدهانات المركّبة فليست تفيد الرأس، والشعر صحة، أو نماءً كما يفيده السمن الطبيعي الأصلي، بل هذه المركبات ربما تضر في بعض الأحيان وقد جربنا ذلك نحن وغيرنا، وكذلك سائر مستحضرات التجميل، ربما تحدث لبعض الناس تأثيرات جلدية لأن تركيبها من مواد مؤثرة على البشرة، كما بينته الدكتورة فاطمة النجار

---

(١) وهذا الاسم (السِّلا) معروف في القديم عند البادية (للسمن الطبيعي) (فلانة تَسْلا)، أي: تخرج السمن من اللبن.

في كتابها المسمى (من تجاربـي للنساء فقط)، مكتبة الساعي، كما يوجد فيه توصيات وفوائد صحيّة، والتجربة شاهدة بصحة ما قالته في هذا الكتاب. (انتهى).

* * *

بِـرُّ الأم في القديم

كان الناس يعظمون شأن الأم، فكان ولدها وزوجته يبرونها ويخدمونها ويوطنون أنفسهم دائمًا لإرضائها، كما أمر الله ورسوله بذلك، والبر سلف فما فعلت فعل بك، ولكن يا للأسف قد انعكست الحال في هذا الزمان كما ترى.

كانت امرأة قد غاب ابنها في عمله، في بلاد بعيدة، وهو شاب لم يتزوج، فولهت عليه، وجعلت تتوجد عليه وتقول فيه شعرًا كثيرًا، من ذلك محاورة بين قلبها وروحها، فالقلب يقول: اتركيه حيث تركك ونسيكِ، وقالت روحها:

مـا دام اقْلَيْـه لَيِّـن لِـيْ فـأنـا ابغيـه   قبـل يجـي لـه كِشَّـةٍ وتْغَـدِي بـه

الكشة هي: الزوجة التي تعزله عن أهله، واتغدي به عنهم فلا ترحمهم ولا تساعده على صلتهم، ولا تعترف بأن كل رجل لأهله، فهي تريده لها فقط، ولا تستشعر أنها إذا كبر ولدها وجاءته زوجة وعزلته عنها فكيف حالها، فهي تتعب عليه في صغره وإذا كبرت واحتاجت إليه جاءته زوجة ونحتها عنه، ولكن أنت اعمل للناس ما تحب أن يعلموا لك.

قيل: كان شاب له زوجة وعنده أمه، فقالت له زوجته: (أنا لا أريد أمك، إمّا أنا، وإمّا هِيَ)؟ لكن الرجل غلبت عليه السعادة والرجولة، فقال شعرًا:

البارحة دَافِ الحشى مرسل لِيْ	**رِسـالِـةٍ خلتنـي اسعـى لْفَـرْقـاه**
الـوالـده مـالـه عـن الشمـس ظـل	**وإلا الْغَضِيْ إيْلا بَغى الظل يلقاه**
أخذت سنين وديسها مزهبٍ لِي	**واركب على المتنين واقول يا ماه**

فطلق الزوجة وبَرَّ أمه رحمه الله ورزقه خيرًا منها.

وقيل: إنها قامت وقبلت رأسه وقالت: الآن يستحق ابنك أن يُغْذا، فسمح عنها، الديس هو الثدي، والمزهب: هو الطعام.

وقد كان عثمان بارًا بوالدته، ولكنه اضطرته الظروف إلى أن سافر في طلب المعيشة، وكانت أمه وزوجته في البيت عادة الناس، وكانت أمه عمياء، فأرسل لهن كسوة وفلوسًا مع صديق له، وقال لا تسلّمها إلاَّ بيد الوالدة تراها عمياء، فأتى الرجل وطرق الباب فجاوبته الزوجة، فقال أنا أريد أم عثمان، معي لها وصل ومكتوب منه، فذهبت الزوجة وأتت بأمها هي، وحزمت عينيها، كأنها عمياء، وقالت: هذي أم عثمان، وبكت العجوز وقالت: كيف وليدي عثمان لعله طيب؟ تريد التعمية كأنها أمّه، فاستلمت الرسالة منه ورجع، فأخفتها الزوجة عن أم عثمان، وأخذت قليلاً منها وأعطتها إياه وقالت: هذا أرسله عثمان، ويتعذر يقول إن الدنيا ما أتتني على الهوى وكذا وكذا، فبكت الأم وانهضمت وكيف تغيّر عليها ابنها، ويرسل لزوجته دونها، ثم سمعت بأن الزوجة معها ثياب جيدة، وكذا وكذا، فزاد حزنها، وتمثلت بشعر

كتبته وأرسلته إلى ابنها عثمان، وأنا لا أحفظه على الضبط، ولكن منه قولها:

حَمَلْتُك في بطني ثمانية أشهر ... والتاسع كل يوم أقول يومى أحْضَرا
عَشِيْ ما وُضَعْتِكْ تبجّحْ خاطري ... وأضفى عليك الرِّدن خوفًا تنظرا
علمك بعون الله يوم أزعلتني ... .
الكسوة الزينة لبنت محمد ... وأنا يا عثمان لي التعذرا

فلما قرأ الكتاب بكى، ثم سأل صاحبه ما الخبر؟ فأخبره بأن الزوجة أحضرت امرأة عمياء، وقالت هذي أم عثمان. فأعطيتها الرسالة، فعلم عثمان أن زوجته قد خانته بأمه، فقدم من سفره، وبحث عن الأمر، فوجد الزوجة قد أحضرت أمها هي، فقال لها: ما أخذتي هو حقك مني، فطلقها وقال: ما بعد الخيانة إلاّ الإبانة. (انتهى).

* * *

علوم.. وأحوال

يقال: (رِجْل الديك تجيب الديك).

وقيل: (عدو أبيك لا تصادقه).

ويقال: (إذا اهضلوا الرعيان عقبت سارح) وهذا لأنه كسلان لا ينهض للعمل إلاَّ متأخرًا، فلهذا قالوا: لا تؤخر عمل اليوم إلى غدٍ.

قـال:

يـا الله يـا قـابـل التـوبـة ... إنـك مـن النـار تنجينـي
يـا امحاسـب العبـد بـاذنـوبـه ... انـك اتثقـل مـوازينـي

وقـال:

امـوالنـا لـذوي الميـراث نجمعهـا ... ودورنـا لخـراب الـدهـر نبنيهـا
والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت ... أن السـلامـة فيهـا تـرك مـا فيهـا
فلا الإقامة تنجي النفس من تلف ... ولا الفـرار مـن الأحـداث ينجيهـا
وكـل نفـس لهـا دور يصبحهـا ... مـن المنيـة يـومـا أو يمسيهـا

قال: دونك ودون سَلّت السيف فرج:

كان رجل يسير في البر، فطلع عليه حرامي مسلح فتغلّب عليه ليقتله ويأخذ ماله، فقال له الرجل: خذ المال ودع قتلى، فقال الحرامي

لا بد من قتلك، ولكن بماذا تريد اقتلك؟ بالمسلول أو بالمملول؟ فقال الرجل (دونك ودون سلت السيف فرج)، فما استتم كلامه إلاَّ وطلع عليهما ركب (رجال راكبين) فهرب الحرامي وتركه، فلحقوه وقتلوه، والحمد لله رب العالمين. والمسلول هو السيف ـ والمملول هي البندقية، وكثيرًا يضرب به المثل، إذا توعدك أحد بمكروه وترجو السلامة من الله من شره فتقول: (دونك ودون سلت السيف فرج).

قال: (لولها قلب ما ماتت): وسببه أنّ ناقة في البر، ذبحوها قِبالة الليل، فلم يرغبوا سلخها وتقطيعها في الليل: فقطعوا شجرًا وغطّوها به عن الذئب والكلاب حتى الصباح، ولكن أحدهم انهلعت كبده على اللحم وعجز عن الصبر، فأتى إليها ليلاً وأدخل يده في منحرها حتى وضلت القلب فمسكه وأخرجه وذهب به، فلما أصبحوا أتوا وسلخوها وقطّعوها، والرجل معهم، فلم يجدوا لها قلبًا، وجعلوا يتساءلون عن قلبها أين هو؟ فقال الرجل: (لو لها قلب ما ماتت) يوهمهم ويعمي المسألة، فصار يضرب به المثل في الأمر المخفى المعلون (لو لها قلب ما ماتت).

يقال: (من المدن إدن) يعني في طلب المعيشة.

كما يقال: الأطراف أتلاف حتى في المقابر.

يقال: (إستسمح الاوجيه واسترزق الله)، يعني أن سماحة الوجه دليل على الخير.

يقال: (إذا كنتُ أنا أمير، وأنت أمير، فمن يسوق الحمير؟) يعني لا يصلح أن يكون كل أحد أمير نفسه، ولا تصلح الأحوال إلاّ بالسمع والطاعة لولاة الأمور أبرارًا كانوا أو فجّارًا.

السخاء لا ينقص الرزق:

جاء أحد أهل القرى المعروف بالكرم والسخاء، في سوق إحدى المدن، وإذا رجلان يظهر عليهما أثر الجوع، فسمعهما الرجل وإذا أحدهما يقول لصاحبه، ألا ترى كيف أهلكنا الجوع وسط البلد؟ ما ظنك لو أننا في قرية فلان إيصيبنا الجوع ونحن في بلده؟ فحين سمعهما الرجل يقولان ذلك فيه، ذهب إلى بائع التمر حوله وإذا عنده زنبيل كبير ملآن تمرًا نحو خمسون كيلو، فاشتراه منه وقال أوزنه، ثم نادى الرجلين وقال تعالوا كلوا هذا التمر، فجلسوا عليه في مكانه فأكلوا حتى شبعوا وقاموا، والتمر في مكانه، فقال الرجل لبائع التمر أوزنه وخذه بقيمته وأعطيك قيمة ما نقص، فوزنه فلم ينقص شيئًا، فصار أكلهما بركة من الله سبحانه والحمد لله رب العالمين.

قولهم: (الرزق يظهر من جبهة أسد).

معناه: أن الله قد قدّر الأرزاق والأمور والأحوال، فلا أحد يمنع ما قدّره سبحانه: فإن قام أحد يريد يحسدك ويمنع ما قدّر لك فإنه لا يمنعه، كما أنه لا يجلب لك شيئًا لم يقدّر لك، فالأسد أشد شيء عليك حين يكفهر وجهه ويقصدك بسوء، ومع ذلك فرزقك المقدّر لك يصلك ويظهر لك حتى لو كان في جبهة الأسد أو شبهه من الرجال ونحوهم، ولكن وحد اعتمادك على الله واعمل الأسباب، فالله هو الذي

خلق السبب والمسبب وربط الأمور بأسبابها ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر/ ٤٩].

يقال: (اضربه بالموت يقنع بالسخونة): يضرب مثلاً للتقنيع بالقليل، أو التصبير على الشاق.

يقال: (رأس تقطعه ما يجيك فزّاع)، معناه في حالة القتال إذا كان الإنسان له خصوم وأعداء ففي حالة قتالهم كلما قطع منهم رأسًا استراح منه فلا يخاف أن يفزع عليه مرة ثانية، وهذا شيء عام يشمل الأعمال والأشغال والمشاكل، فكلما أنهيت شيئًا منها استرحت منه، فيقال خلص ولو بعض شغلك، (رأس تقطعه ما يجيك فزاع) فهكذا تنهى أشغالك شيئًا فشيئًا فتستريح مما أنهيت.

ويقال:

يا ام القنبري خلالك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما كنت تنقري ....

يضرب مثلاً لمن يتولى الأمور فيفسدها حيث غاب أهلها المصلحون.

كما يقال: (إذا غاب البس إلعب يا فار).

وكما يقال: (إذا غابت الأسود انتشرت الثعالب).

ويقال: (الرؤوس نامت والعصاعص قامت).

ويقال: (هذا زمن فاقوس ترفع الأذناب وتخفض الرؤوس). (انتهى).

* * *

يصعب على النفس ترك العادة

قيل: تزوج رجل زوجة، ولكن صارت لها عادة سيئة، وهي: أنها إذا سمعت فزعة صياح، وكانوا وقت غارات الحروب، ومشاكل بين الجيران وهوشاة، كما يقال: (ابرك الأيام يوم ما يصيح صياحه ولا تعصف رياحه) فإذا سمعت الفزع لبست ثيابها وخرجت تُشْرِف، فأشكل على زوجها وأهله خروجها، وهي أبت عن الامتناع، فاستشار أمه في ذلك؟ فقالت أمه أنا أحاول منعها بدون تشويش، فأخذت الأم جميع ما في البيت من الثياب وأغلقت عليه، وفي ساعة والزوجة تعمل العشا قرصانًا كبارًا إذ سمعت الصائح بالفزع، فقامت وتطلبت ثيابًا فلم تجد شيئًا، فأخذت قرصًا ووضعته على رأسها وخرجت، فعرف زوجها أنها لا تترك عادتها فطلقها، (لأن الخروج من عيوب النساء)، ولهذا تقول المرأة الطيبة:

طول الجدار وقصرت الرجل نوماس ... إيلا صار ما للرجل داع دعاها

والنوماس هو: الشرف ضد العيب. (انتهى).

* * *

الانكفاف عن الناس في بعض الأحيان

جاء في الحديث: «إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى متّبع، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العامة» الحديث، وتقدم.

وفي حديث آخر: «يوشك أن يكون خير ما للمرىء غنيمة يتتبع بها شعف الجبال وبطون الأودية يفر بدينه من الفتن» رواه البخاري، وجاء في الأثر: «الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء»، كما قال بعضهم وقد اعتزل الناس وقت الفتنة:

عَوَى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

(انتهى).

* * *

مرض الطاعون.. نسأل الله العافية

جاء إنسان إلى الشيخ عبد الله بن سليم رحمه الله وقصّ عليه رؤيا، قال: إني رأيت رجالاً جاؤوا على خيل ودخلوا البيوت كلها إلاَّ بيت فلان، فقال الشيخ: هذا مرض سوف يصيب الناس إلاَّ بيت فلان فلا يصيبه، فأرسل إليه الشيخ وأخبره، وقال له ما هو عملكم هذا الذي سوف يدفع الله عنكم بسببه؟ فقال الرجل: لا أعلم لنا عملاً نعدّه، ولكن سوف أسأل أهلي، فقالت المرأة إن الفلان أهل ذاك البيت فقراء وليس لهم عشاء وإني أعطيتهم نصف قرعة دبًّا فطبخوها وتعشُّوها ونحن تعشّينا نصفها. ثم حل مرض الطاعون بالناس نعوذ بالله من نقمه، فقل من الناس من سلم منه، فتركوا جميع أعمال الدنيا من مزارع ودكاكين ومواشي وغير ذلك، وصار الصحيح منهم شغله موالاة المرضى، (هذا يسقونه ماء وهذا يكوونه بنار وهذا يموت فيحفرون له قبر ويدفنونه) ومن مضت عليه ثلاثة أيام لم يمت فهو يسلم غالبًا بعد الكوي في جنبه، وأغلقت بعض البيوت بعد موت أهلها كلهم، وبعض البيوت خرج منه سبع جنائز، وصلّى الشيخ على ست وتسعين جنازة في ضحوة واحدة، حتى سئم، فتقدم خليفته يصلّي على الجنائز، وكل أهل مسجد يصلُّون على جنائزهم في مسجدهم أو في المقبرة.

وكان من جملة الرجال السالمين من المرض: رجل مغفّل، وكان قد استغرق عامة وقته في تمريض المرضى ودفن الموتى، وسُئل: (ما شاء الله يا فلان أنت ما صُخِّنْتَ؟ فقال: هو أنا فاضي أصَخَّنْ)؟ يعني: أني ما فرغت للمرض يأتيني، وهذا على قدر معرفة عقله. وسنة الطاعون هذا يؤرّخ بها، يسمونها (سنة الرحمة) تفاؤلاً أن الله يرحم عباده. (انتهى).

* * *

الحـراك.. والتهـميـز

الحراك هنا، هو تحرّك الأعضاء والمفاصل حالة النوم وبعده، لتمرين الجسم والمفاصل والأعصاب على الحركة قبل القيام والاعتماد عليها.

قيل: أوصى أحد الأطباء الأخصائيين، يقول:

(أحذوا حذو القطة)، أي افعلوا فعلها، لتستفيدوا صحة بذلك. (فأنت إذا اعتبرت القطة حالة نومها حولك: وإذا هي تقوم أثناء نومها وتقف ثم تمد جسمها إلى أمام، ثم إلى خلف ثم ترجع وتنام، ثم تقوم بعد رقدة وتعمل مثل فعلها الأول، وذلك لتمرين أعصابها على المرونة حتى لا يحدث بها تصلّب، كما ترى جسم القطة من أمرن جسوم الحيوان.

وأخبرني أحد الجماعة: وقد حدث به وجع برجليه، وذهب إلى طبيب أخصّائي هناك، فكان من علاجه إيّاه أن أوصاه بتحريك وتمرين أعضائه بعد النوم وهو على ظهره قبل أن يقوم، بأن يمد رجله ويكفها، يمدها ويكفها، نحو خمسة عشر مرة، يفعله بأعضائه الأربع يديه ورجليه، بعد كل نوم.

ومثل ذلك التهميز: وهو تدليك العضلات باليدين، وأحسن من يقوم به: الزوجة لزوجها، أو الابن لأبيه، أو البنت لأمها، (إذا كان الإنسان تعبانًا، أو به تصلّب في الأعصاب، أو روماتيزم ونحوه)، فيضطجع على بطنه أو جنبه، فتجلس إلى جنبه فتهمّزه بيديها، تتحامل عليه ببعض ثقلها، كل مرة إلى جنب التي قبلها، تضغط على عضلاته وأعصابه وعظامه، تمر بيديها على ظهره، ورجليه ويديه وسائر جسده ما عدا بطنه: حتى تلين عضلاته وترتاح مفاصله بعد مرات متتابعة فهو يساعد ضد الشلل، كما رأينا ذلك من علاج الطب (الحديث)، ويسمونه العلاج الطبيعي، أو العلاج بالتدليك، وإنك لتجد للتهميز فائدة عاجلة، حتى إن بعضهم يشتري له جارية لتقوم بتهميزه. (انتهى).

* * *

اللَّـقـب

اللَّقب، هو الكنية: لكن الكنية للمدح، واللَّقب يشعر بالذم غالبًا.

وقد ينقلب اللَّقب المذموم مدحًا وشرفًا من أجل الأفعال الطيبة، كما لو أن إنسانًا لقّب (بالأجرب، أو الأعرج، أو الأحوص)، ونحو ذلك: ولكن صارت أفعاله طيبة، من شجاعة وسخاء، ومروءة، وحمية، ونفع متعدٍّ، فيكون هذا اللَّقب شرفًا له ولمن ينتسب إليه، فيتشرف أحدهم أن يقول: (أنا ابن الأجرب، أنا ابن الأحوص: أنا من الجربان: مثلاً، فيرتفع شأنه عند الناس وهكذا.

وقد كانت قبيلة من العرب القدامى، يلقّبون (بأنف الناقة)، فظهر فيهم شاعر، فرفع شأن قومه بهذا اللّقب، حيث تمثل بقصيدة يمتدح بها قومه: منها قوله:

هـم الأنـوف وغيـرهـم ذنـب فمـن يعـدل الأنـف بـالـذنـب

فصاروا بعد ذلك يفتخرون بهذا اللَّقب: «نحن الأنوف».

فـائـدة:

كان ﷺ: يكره التشاؤم ويعجبه الفأل، فإذا عرض لك أمر تتشاءم نفسك به: فاعتقد فيه التيامن طردًا للتشائم.

قيل: عُيِّنَ أمير في بلد: وحين قدم إليها واستلم الأمر، تقدم يخطبهم يوم الجمعة حيث كان الأمراء هم الذين يخطبون الناس ويصلُّون الجمعة، وكان أحدهم يخطب ومعه السيف يتكىء عليه بدل العصا، فلما رقى هذا الأمير فوق المنبر سقط السيف من يده، فكره هو ذلك تشائمًا، وظهر على وجهه الكراهة لذلك، ولكن صار أمامه رجل حاذق حازم: قفز فورًا وأخذ السيف وناوله إياه وقال: ليس الأمر كما يظن الظان ولكنه كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قَرَّ عينًا بالإياب المسافر

فَسُرِّي عن الأمير وأسفر وجهه، وتيامنوا طردًا للتشاؤم.

قيل:

ما أكثر الناس بل ما أقلموا اللّٰه يعلم أني لم أقل فندا
إني لأفتح عينيّ حين أفتحها على كثيرين ولكن لا أرى أحدا

(انتهى).

* * *

سنة مسغبة في مصر

جاء في بعض كتب التأريخ. قال: أصاب الناس في مصر مجاعة حتى أكلوا ما لا يصلح أكله: وخرجت امرأة منهم ومعها طربوش ذهب لتبيعه بطعام فلم يشتري، وقالت: من يأخذه ويعطيني خبزة؟ فلم تجد أحدًا يأخذه بخبزة، فألقته في الشارع، وقالت: إذا ما نفعني اليوم فلا حاجة لي فيه.

وكان جماعة منهم في بيت فأنهكهم الجوع، فتطلبوا شيئًا يأكلونه، فلم يجدوا، فذهب أحدهم إلى طبيب ليحتال عليه، ويأتي به إليهم، ليأكلوه، فقال للطبيب: أنا عندي مريض في البيت، لا أستطيع إحضاره عندك، وأريدك تذهب معي، تعالجه وأعطيك أجرة عنوتك، وأجرة العلاج، فقال الطبيب: لا بأس، فجمع أدويته في حقيبته ومشى مع الرجل على رجليه، فلما وصل البيت دخل الرجل ودخل على أثره الطبيب، فلما دخل الرجل على أصحابه، قالوا: لعلّك أتيت لنا برزق؟ قال: نعم، فسمعهم الطبيب وعرف مقصدهم، وأنهم يريدون يأكلونه، فألقى الحقيبة وانقلب هاربًا، شد جهده وخرج الرجل في أثره، ولكن الطبيب نجا تحت الهروب بعدما ظنّ أنه لا ينجو، نسأل الله العافية والسلامة. (انتهى).

* * *

انفكّ حنكه من التثاؤب

قيل: كان عامل في شركة يعمل، فتثاءب فانفك حنكه، من شدة التثاؤب، ثم قام يطالب الشركة في حقّه، وأحيلت القضية إلى المحاكم عندهم، وحكم له، وقرر في حيثيات حكمه، أن العمل الذي يباشره العامل كان يجري على وثيرة واحدة يبعث على الكسل الذي يسبب التثاؤب، أما إذا تنوّع العمل، فقد يذهب الكسل، كما يقولون: من حاجة لحاجة تلينه، يعني أن الإنسان إذا كان يعمل حاجة وتعب ثم راح يعمل حاجة أخرى من نوع آخر فإنه يتلين، يعني: تلين أعصابه، ويذهب عنه التعب والملل ويحس بالنشاط.

* * *

فائدة عن تصليب الحنك

أما تصليب الحنك: فهو أهون من الفك، ويقع أحيانًا لبعض الناس.

ففي ذات ليلة طرق عليَّ الباب إنسان، ومعه شاب قد صلب حنكه واندلع لسانه وانفتح فاه ولا يستطيع يتكلم، وقال: إنه صار هذا بسبب القيء. فأنا لم أعرف مثل هذا التغيّر، ولم يمر عليَّ مثله، وظننته أنه قد أصابه صرع من الجن، فقرأت عليه، فلم ينجع به، فأركبته السيارة وذهبت به إلى إنسان أعرفه يقرأ على المصروع، وذلك بعد نصف الليل، فطرقت عليه الباب وعرّفته بنفسي، ففتح الباب وقرأ عليه فلم ينجع به، فقلت له: ما هذا الأمر؟ فقال: هذا تصليب في الحنك، قال: وبعض الناس يعرف يرجعه، فانتهيت منه على غير شيء، فأركبت المصاب السيارة ورجعت به، وفي أثناء الطريق طرأ عليَّ التصرّف به فأوقفت، ثم أدخلت أصابع يدي داخل فمه، والإصبع الإبهام من خارج من تحت لحيته، فضغطت الأصابع إلى تحت والإبهام إلى فوق، فرجع الحنك على طبيعته، والحمد لله كأن لم يصبه شيء. لأنه ليس به مرض إنما هو تصليب، فتعمل به هكذا فيرجع سليمًا، وفي الأثر: «إن الله إذا أحب عبدًا استعمله في حوائج الناس»، فالحمد لله على فضله وإحسانه. (انتهى).

* * *

حِقٌّ وافا طَبَقَهْ

الحِق في الأصل هو: علبة صغيرة من خشب العاج، قال بعضهم، يصف الحور العين في الجنة، ويعني: إحدى أوصافها:

حِقٌّ من العاج استدار وحوله ۞ حبات مسك دُوِّرَتْ بوزان

ولها طبق، أي غطاء منها، مزخرف، يقال: حق وطبقه، أي: غطأه، وهي تصنع لأغراض النساء الخفيفة الخاصة، وإذا كان لديهم حِق ليس له طبق (غطاء) ثم وجدوا غطاءً رَهَمَ له فرحوا وقالوا: حق وافا طبقه، أي اتفق له وصلح، ومثله هذا الفتى وهذه الفتاة، وفي البحث الأخير وجدنا هذه القصة بعينها في مقامات الحريري، لكن يسمونه شن، ونسميه حِق.

فقد نشأ شاب ذكي نبيل، وأحب أن يتطلب له زوجة نبيلة من جنسه، فخرج يلتمس مطلوبه، وسلك جادة هي طريق إلى بلدة أخرى، فوافاه في الطريق رجل، فقال له الشاب: أنا أريد صحبتك في هذا الطريق؟ فقال الرجل: لا بأس الله يحييك على الجادة، فتصاحبا ومشيا جميعًا، ثم إن الشاب أخذ عصًا من شجرة أو أثلة وقال: إننا الآن صرنا ثلاثة، ثم قال الشاب: إحملني أو أنا أحملك؟ فقال الرجل: لا تحملني ولا أحملك كل يمشي على رجليه، فلما قربا من البلدة وإذا مزرعة فيها زرع أخضر قمحًا، فقال الشاب: هذا زرع طيب إن كان صاحبه ما قد

أكله، فقال الرجل: كيف قد أكله وأنت تنظره في مكانه أخضر؟ فسكت الشاب، ثم لقيهما جنازة محمولة إلى المقبرة، فقال الشاب: هل ترى هذه الجنازة قد ماتت أو لم تمت؟ فقال الرجل: يا سبحان الله، كيف لم تمت وهي محمولة إلى المقبرة؟ ثم لما دخلا البلدة، قال الرجل للشاب: تفضّل معي في البيت للضيافة، فقال الشاب: لا بأس أنا معك إن شاء الله، بعدما تصل أهلك وتعلمهم فادعني، فقال الرجل: أين أجدك؟ قال: تجدني في أرفع الأرض، فمضى الرجل إلى أهله، وسلّم عليهم واستعد له بالضيافة، ثم خرج يتطلّبه في أعالي أرض البلد فلم يجده، فرجع إلى أهله، وكانت للرجل ابنة ذكية، فأخبرها أبوها أنه لم يجده بما ذكر، وأنه شاب مهبول، له علوم شاذة، فسألته ابنته عن علومه؟ فقال: إننا لما اتفقنا في الطريق ومشينا، قال: احملني أو أنا أحملك، فقلت: لا تحملني ولا أحملك كل يمشي على رجليه، ثم أخذ عصا من شجرة وقال: إننا الآن صرنا ثلاثة، ثم لما مررنا بزرع فلان أخضر، قال: ما ظنّك بهذا الزرع هل قد أكله صاحبه أم لم يأكله؟ فقلت أما تراه في مكانه لم يأكله أحد؟ ثم لما لقيتنا جنازة محمولة فوق النعش إلى المقبرة، قال: هل ترى هذه الجنازة قد ماتت أو لم تمت؟ فقلت سبحان الله هل تشك في موتها وهي محمولة إلى المقبرة؟ فهذا يا بنتي كلام مهبول.

فقالت: (مهلاً يا والدي، إنما هذا كلام عاقل ذكي، وسأخبرك بمعاني كلامه).

أما قوله: احملني أو أحملك: معناه سولف، أي: قصّ عليّ سوالف وأخبار وحكايات، لأجل يهون علينا تعب الطريق والمشي مع

تبادل الكلام والمزح، أما إذا سكتنا تعبنا، وطالت مدة الطريق علينا، وأما قوله إننا صرنا ثلاثة، فهو صحيح، فإن العصا في الطريق ضروري وربما نفع أكثر من نفع الخوى، قال موسى عليه السلام: ﴿ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾، يعني: يتوكأ عليها ويكافح بها الهوام ويرد به الصائل من السباع وغيرها، إلى غير ذلك من مصالحه، وأما قوله في الزرع، هل أكله صاحبه أم لا؟ فهذا صحيح، فإنه إن كان قد أخذ فيه دينًا فهو قد أكله، وإن كان هو لم يأخذ به دينًا فهو يبقى له زرعه يأكله فيما بعد، أما سمعت قول الناس (الدين يأكل الرزق المقبل)، وأما قوله في الجنازة، هل هي قد ماتت أم لا؟ فهو صحيح أيضًا، لأن الميت إذا خلف أبناءً رجالاً طيبين فهو لم يمت، وإذا كان لم يخلف أحدًا فقد مات، كما في المثل: (مَنْ عَقَّبْ ما مات).

فقال أبوها: وقوله تجدني في أرفع الأرض، فأين أجده الآن إذًا؟ قالت تجده في المسجد، فذهب أبوها فوجده في المسجد، فدعاه فلما جلس وإياه في البيت، اعتذر منه وقال: سامحني يا أخي فأنا قد عتبت عليك في كلامك كله، وحسبته غلط، والآن عرفت أنه صواب، فقال الشاب: ومن أعلمك به؟ فقال: ابنتي أعلمتني، قالت كذا وكذا، فقال الشاب: أنا قد أتيت هنا أتطلّب لي زوجة مثلها، فإن كانت تريدني فأنا أريدها، تزوجني إيّاها؟ فأخبرها أبوها، فقالت: نعم أريده، فأحضر المطوع للعقد، فقال المطوع للشاب: ما اسمك؟ فقال: اسمي حِقْ، ثم سأل أباها ما اسمها؟ فقال: طْبِقهْ، فقال: المطوع: الله أكبر، حِقْ وافا طْبِقهْ. (انتهى).

* * *

أغبياء..

هناك جماعة من الأغبياء، أنهكهم الجوع، فذهبوا يمشون، يتطلبون شياء من الكسب يأكلونه، فتحصلوا على حاشي، (ولد ناقه)، فأمالوه في نقرة منخفصة في البر، حتى لا يراهم أحد، فذبحوه ليأكلوه، ولكنهم خافوا أن يهجم عليهم أحد بغتة، فانتدبوا أحدهم يذهب يرقى فوق المحل المرتفع يترقب لهم، ولكنه خشي أن يأكلوه عنه في غيبته، فجعل يوصيهم أن يقسموا له نصيبًا من كل نوع من اللحم، فقال: خلوا لي من الرجل، وخلوا لي من اليد وخلوا لي من السنام، ومن كذا ومن كذا.

ثم ذهب ورقى فوق الرجم، أو شبهه، يترقب، وكان ذهنه باقي معهم عند اللحم، ثم ذكر أنه لم يوصهم بالكبد مع أنها أغلى شيء عليه من اللحم، فجعل يناديهم وهو هناك في مكانه (خلوا لي من كبدة الهاشي)، يعني: الحاشي، ويشيح لهم بثوبه، وسمعوا منه آخر الكلمة: آشي) فظنّوه يقول: اِنْحاشِي، أَنْ قَدْ رأى عدوًّا أقبل نحوهم، فحملوا اللحم قطعًا وهربوا، فلما رآهم هربوا ظنّهم قد طمعوا باللحم فهربوا به عنه، فرجع إليهم يركض، ليدرك نصيبه قبل أن يذهبوا به، فلما رأوه يعدو في أثرهم ظنوه يعدو خائفًا مما ورائه، فزادوا في

الهروب، فأيقن أنهم قصدوا الهروب باللحم عنه. فأجهد في الركض، ومرَّ على موضعهم لعلَّهم قد تركوا نصيبه في مكانه، وقد كثوا ترابًا فوق الدم حتى لا يرى، لكنه وطىء فوقه لم يعلم به، فزلق به وطاح فوقه وتلطّخ ثوبه دمًا، ولما لم يجد لحمًا هنا أيقن أنهم إنما هربوا باللحم عنه، فاستمر في لحاقهم ليدرك لحمه، وهم استمروا في الهروب لظنّهم أنه قد هرب إليهم خوفًا من عدو خلفه يطلبهم، ونظروه عن بعد وإذا الدم بثيابه، فظنّوه صَوِيبًا، قد أصيب بسهم جرحه وهذا دمه، فأجهدوا أنفسهم في الهروب، وأجهد نفسه في لحاقهم، فراحوا يركضون إلى اليوم. (انتهى).

* * *

من مقدمات بعثة الرسول محمد ﷺ

من ذلك سواد بن قارب:

لما أراد الله سبحانه أن يبعث رسوله محمدًا ﷺ، جعل بين يديْ ذلك مقدمات ومبشرات، توطئة وإرْهاصًا لما سيحدث من الأمر العظيم، الذي هم فيه مختلفون (وهو ضروب وأنواع) فمن ذلك سواد بن قارب: رجل له نَجِيٌّ من الجن، يقول سواد، (ولما كان ذات ليلة أتاني نَجِيٌّ) فقال:

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمن الجن كأنجاسها

يقول: فلما كانت الليلة الثانية أتاني فقال:

عجبت للجن وتكوارها وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها

يقول: فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال:

عجبت للجن وتجساسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن كأرجاسها

يقول سواد: فقمت وركبت راحلتي وقدمت مكة فوجدت النبي محمدًا ﷺ، قد بعث فأسلمت معه وبايعته، الحديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه والقصة بعدها وذكرها ابن كثير في تأريخه من طرق

كثيرة، والعيس هي الإبل المركوبة والمحمول عليها.

يـا جليح:

ومثله الذي أتاه رَإِيّهْ من الجن فقال له:

يا جليح ـ أمر نجيح ـ رجل فصيح ـ يقول: لا إلـه إلاَّ الله. يأتيه ثلاث ليالٍ يقول له ذلك، الحديث: تابع لما قبله، وهو يعني النبـيّ محمدًا ﷺ، حين بعث بمكة.

كذلك كان رجل يرعى غنمه، فجاءه الذئب وأخذ شاة، فلحقه الراعي وأخذها منه، فوقف الذئب وأقعى على ذنبه ثم تكلّم الذئب، قال: أتأخذ مني رزقًا ساقه الله لي؟ فقال الراعي: عجبًا ذئبٌ مُقْعٍ على ذنبه ويكلّمني! فقال الذئب: أعجب من ذلك رجل بيثرب يخبر بأمور الغيـب، الحـديـث رواه الإمـام أحمـد بنحـو ذلـك، وذلـك أول بعثـة الرسول ﷺ وأمثال ذلك كثير.

عمرو بن عنبسة:

قال عمرو بن عنبسة رضي الله عنه: كنت وأنا في الجاهلية أرى أن الناس ليسوا على شيء، حتى سمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، يقول: فقعدت على راحلتي فقدمت مكة فوجدت رسول الله ﷺ مستخف جُرَآؤُا عليه قومه، يقول فتلطّفت له فسلّمت عليه، فقلت له: من أنت؟ فقال أنا نبـي، فقلت بما نبّئت؟ قال: (بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يعبد الله وحده)، إلى آخر الحديث، رواه مسلم، والأخبار بمثل ذلك كثيرة. (انتهى).

* * *

خبر.. إسرائيلي

جاء في الأثر أن موسى عليه السلام، قال: يا رب إنك حين قلت للسماوات والأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا، قالتا أتينا طائعين، فلو لم تأتي طائعتين، ماذا تصنع بهما؟ فقال الله: «أسلط عليهما دُوَيِّبَةً من دويباتي)، فقال موسى: وأين هي يا رب؟ فقال الله: (هي في مَرْجٍ من مروجي لا يعلمه إلاَّ أنا)، فسبحان الله العزيز القادر على كل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ الآية [المدثر/ ٣١]. (انتهى).

* * *

إخلاص العامل لسيده..
وفيه يضرس بأنياب ويوطي بمنسم

فإخلاص العامل، والخادم، والوكيل، والابن، والزوجة، ونحوهم، لسيدهم وقيمهم يسعدهم في الدنيا والآخرة: قال الله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء/ ٥٨]، وجاء في الحكمة: (رحم الله امرءًا عمل عملاً فأتقنه)، وفي الحديث: (كل راعٍ مسؤول عن رعيته) متفق عليه، أي يسأله الله إذا وقف أمامه يوم القيامة عن اجتهاده في إصلاح وحفظ هذا الأمر أو العمل المسند إليه المؤتمن عليه، واجتهاده لصاحبه كما يجهد لنفسه وأحسن.

وقد كان الناس الفلاحون يستأجرون عاملاً من الجماعة يقوم بعمل السواني وشؤونه من إصلاح البتات، وهو الأثاث الذي يربط على ظهر البعير، أو الحمار، أو البقرة، فالشداد والحِداجَة للحمل على ظهر البعير، والقتب للسواني على الكل، يربط به الغرب، وكلها تربط بحبال على الدابة وتحتها وقاية حتى لا يلحق (خشبُ الشداد ظهرَه فيحدث به دبره، فإن ضعفت الوقاية نزل خشبُ الشداد أو القتب مع ثقل الحمل وعض بظهره جعل البعير يُضَرِّس بأنيابه ويُوطِيْ بمناسم يديه: أي يرفع هذه ويضع هذه، يتقي بذلك وجع الشداد ظهره: فهذا معنى قول الشاعر:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يُضَرِّسْ بأنياب ويُوطِي بمنسم

فاسأل أهل الخبرة بحالة البعير إذا كان حمله ثقيلاً، وعَظْ غاربَه الشداد لضعف الوقاية، ماذا يحدث له من التضرّس وترفيع مَناسم يديه ووضعها من شدة الوجع، فالضمير في التضريس والتنسيم عائد إلى البعير المتألم، ومثله الإنسان الغير مصانع في بعض الأمور.

أما ما يذكره بعض شراح هذا البيت: من أن المعنى أنه يُضَرَّسْ ويُوطَىٰ: بفتح حرف الرَّاء والطاء فلأنهم لم يمارسوا حالة البعير حين يحدث له ذلك فيعرفوها، فالأمر على معنى ما ذكرناه، أشد لزامًا وأضيق خناقًا وألصق بالمعنى، مما ذكروه، وكم تدمت كَبِدِي إذا حدث لبعيري مثل ذلك وأنا جذع وحدي لا أقدر على إصلاحه، إلاَّ أن أضع حمله عنه في البَرِّيَّةِ أثناء الطريق، فيحصل لي من الضرر أشد مما يعانيه بعيري، فأتركه يوصل لي حمله على ما به من ألم، وكبدي تغلي لتألّمه، وتسمع ضَرِيسَ أضراسه وأنيابه وفعل مناسم يديه، فهذا معنى قوله: يُضَرِّسْ بِأَنْيابٍ ويُوْطِي بِمَنْسِمِ، والمنسم: هو ما بين أصابع خفه.

الحاصل: أن هذا العامل عند الفلاح كان مخلصًا لسيده، فلما قام آخر الليل يشد الأقتاب على المعاويد (البعارين) للسواني، وإذا إحداهن وقايتها ضعيفة فخاف عليها من الدبر، فتطلب لها وقاية فلم يجد، لأن الأثاث ذاك الوقت قليل والفرش واللباس قليل، فخلع عباته من على ظهره، ووضعها وقاية للناقة على غاربها، وصار هو يسني البعارين وقت البرد ليس عليه عباية، مع قلة الثياب، فلما قام المعزب كذلك آخر الليل، وأتى يتوضىء من الماء الدافىء من عند البئر، وإذا

العامل ليس عليه عباءة حالة البرد، فارتج الرجل وقال أين عباتك يا فلان؟ فقال: والله يا عم هذه الناقة ليس لها وقاية كافية فوضعت عباتي وقاية لها، فارتج المعزب لذلك أشد، لأنه كان راغبًا بهذاالعامل لنصحه وأمانته، (وقال: يا أللّٰه مقسوم خيرْ عَزَّ الله إنك اغْتَنَيْتَ وخَلَّيْتَني) فصار الأمر كما ظن، فقد أنزل الله البركة في محصولات هذا العامل، وإن كانت قليلة فأغناه الله، يقولون: إنه ما استكمل مدة سنتين إلاَّ هذا المعزب يستدين منه حيث توفر عنده محصول مال، وما عند الله خير وأبقى.

وقد ذكروا في ترجمة عمر بن عبد العزيز: أن عمه سليمان بن عبد الملك وهو الخليفة في وقته: لما حضرته الوفاة: وكان مستشاره عبد الرحمن بن مهران رجلاً من الصالحين: فاستشاره فيمن يعهد إليه بالخلافة؟ فأشار عليه بعمر بن عبد العزيز، ولكن سليمان تقالَّ شأن عمر على الخلافة: فسأل عبد الرحمن قائلاً: ما الذي رفع شأن عمر عندك على غيره؟ فقال عبد الرحمن: إني رأيته يصلّي في ساعة لا يراه فيها أحد، يعني: فهذا يدل على صلاح سريرته، فتصلح علانيته، فاعتمد الخليفة سليمان على رأي عبد الرحمن، فولّاه الخلافة، فصار لها كما توقعه: رحمهم الله.

وكذلك الغلام راعي الغنم: فقد صادف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض أسفاره: غلامًا يرعى غنمًا لسيده، فأراد عمر أن يختبره، حيث أنه لا يعرف عمر، (قال له بعنا شاة من غنمك: فقال الغلام ليست الغنم لي إنها لسيدي، فقال عمر: يمكن أن تعتذر له بأنها

أكلها الذئب؟ فقال الغلام: فأين الله إذًا؟ فأعجب عمرَ أمانتُه فبحث عن سيده فاشتراه منه وأعتقه: شكرًا له على أمانته رحمهم الله.

وكان عمر رضي الله عنه في خلافته يمشي بالتبديل: (والتبديل هنا): هو أن يغير هيئته بالليل ويتمشى في سائر البلد مستخفيًا ويسمونها العسس: يستخبر أحوال الناس، ومعه نفر من أصحابه، فحصل له من ذلك أشياء عجيبة، من ذلك: كان يمشي في أحد الشوارع بالليل: إذ سمع نغمة صوت امرأة في بيت وإذا هي تقول:

قد طال هذا الليل وازْوَرَّ جانبه وليس إلى جنبي خليل ألاعبه
والله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يعفني واكرام بعلي أن تنال مراتبه

فقال عمر عَلِّمُوا على الباب، فلما أصبح بحث عن أهل هذا البيت؟ وإذا هي امرأة قد غاب عنها زوجها مع الغزو في الجهاد، فكتب عمر لأمير الغزو أن يرسله لها بأسرع وقت مع البريد، وأمر أمرًا عامًا أن لا يطيل أحدهم الغيبة عن زوجته، أكثر من أربعة أشهر رحمهم الله.

وكان أمير الصحابة بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه: قد أهديت له بنت من أهل السماوة زوجة له: فلما زفت إليه جلست ناحية الغرفة: فقال لها: تقومين إلَيَّ أو أقوم إليكِ إني شيخ كما ترين؟ فقالت: ما جئت من السماوه إلاَّ وأنا أريد أقوم إليكَ ولكني من نساء لا يقمن إلي الرجال، فلما كان يوم محنته ودخل عليه أعداؤه يقتلونه: صارت تنافح دونه، فلما أهووا عليه بالسلاح ألقت نفسها عليه تقيه بنفسها فخطر عليها السلاح وسال دمها، فلما مات رضي الله عنه: أسرع

أكابر الناس يخطبونها حيث كانت من خيار النساء، (عقلاً، وجمالاً، وأخلاقًا، ومروءةً، ووفاءً): فأبت: فلما أكثروا عليها قالت: ما الذي رغبكم بـي؟ فقالوا جمال ثناياك: (قيل) إنها خلعت ثناياها: لتشين نفسها عندهم، وأقسمت يمينها أنه لا يتزوجها أحد بعد عثمان، رجاء أن تكون صاحبته في الجنة ــ رحمها الله وألحقها به آمين.

* * *

كذلك قصة بلال لسيده

حيث كان الناس يستخدمون العبيد المماليك، فهناك رجل في البادية له ذودان من الإبل، وله عبدان مملوكان له، كل واحد يسرح بذود، وكان أحدهما إسمه (بلال) وكانوا في سنة مجدبة، ليس فيها ربيع، وكانت الإبل لقاحًا في بطونها أولاد، فخاف عليها صاحبها من الهزل والهلاك، ورأى من الأصلح لها أن يذبح عنها أولادها إذا ولدت، لتعيش الناقة وحدها بدون إرضاع ولد، لعلها تسلم من الهزل فلا تموت، ويترك إنتاج الأولاد لسنَة فيها ربيع، فأمر عبيده رعيان الإبل: بالذبح عنها إذا ولدت معهم في البر (الفلاة)، كما في المثل (سنَةٌ غَذِّ حلالَك وسَنَةٌ غَذِّ عيالك)، فكان أحدهما يذبح الحوار إذا ولد، ويشوي من لحمه يأكله، ويأتي منه للمعازيب، ورأس عصاه اسود من تقليب الشوية في النار.

وأما العبد الآخر (بلال) فليس كذلك: فإنه شح بأولادها لإخلاصه لسيده، فأضمر أن لا يذبح عنها، ويُخْفِي ذلك عن المعازيب، فجعل يحرص على إصلاح الإبل في المرعى حيث كان يعزب عدة أيام لإصلاحها، وجعل يحمل معه ماءً أكثر من حاجته، فيسألونه لماذا تحمل كل هذا الماء يا بلال؟ فيقول: إني أحتاجه،

ويمكن أجد أحدًا ظمآن، وجعل يبني به جدارًا من الطين حائش (حوش) في البر، فإذا ولدت الناقة أرضعه منها مدة إقامته بالعزيب، فإذا أراد يَرِد الماء ويهضل على المعازيب: جمع أولادها (الحيران) وأدخلها في هذا الحوش، وردَّم بابه بالشجر والحطب، حتى لا تأكلها السباع: فإذا صدر من الماء والمعازيب، أتى إليها وأخرجها ترعى مع أمهاتها (الإبل) فإذا ورد الماء أغلق عليها. فإذا سألوه لماذا لا تأتي لنا بلحم الحوار إذا ذبحته مثل زميلك فلان؟ فيقول إني أذبحه ولا آكل منه شيئًا، لا تشتهيه كبدي تأسفًا به: فيقنعون بقوله ذلك، فمضى وجه السنة وهو كذلك، لم يعلم أحد بما صنع، فلما جاء وقت السيل بعد القيظ وبدء ينشأ المطر صار سيده يتأسّف على أولاد إبله العام الماضي، فحينئذٍ جاء دور بلال وصنيعه، فأخرج أولاد إبله وراح بها معه لمعازيبه: فلقيه سيده بعد المغرب قبل وصوله إليهم: فلما لمع البرق بالظلام أنكر السيد وجود الحيران وسط الإبل، وظنها رجالاً (قوم حرامية) يريدون يأخذونها، فصاح الرجل ينخا بلالاً: أذبح الرجال، أذبح القوم: فقال بلال: لا يا عم هذي أولادها، أولادها، فشهق الرجل فرحة، وقال: إعْقُبْ ما أطْيَبْك عَبْد (وهذه كلمة تقال عند مصادفة الأمر أو الفعل النادر المهم، (اعْقُبْ كذا وكذا)، ثم قال: اطلب يا بلال: يعني اطلب جزاءك مني على هذا النصح الطيب! فتمثل بلال بقصيدة، يتمنى بها ما يريد: فقال:

لَيْتَـــهْ دايـــم ربيـــع وقمـــرا والعمـر مـا يفنـى وهـو مِتْعـافِـي
والبيـــت فيـــه بِنْـــتٌ عَفْـــرَا وادلال بيـض اِبْحَـوْف اسْنَـافِـي

إلى آخر قصيدته: وقيل إنه قال: (أريد الليل أقمر، والروض أخضر، والعبد ما يصغر ولا يكبر): وهذا اختلاف لفظي والمعنى واحد، ولكن عمه قال: هذا لا يقدر عليه إلاَّ الله سبحانه: ولكن الذي أقدر عليه أنا: أعتقك وأزوجك، فأعتقه وزوجه.

وموضع حوش بلال معروف حتى الآن: يسمى (إقصير بلال) بالصوب الشرقي الشمالي من نجد، على طريق العراق والكويت من نجد، بين (الرقعي والحفر)، قال شاعر:

يــا الهجــن يــا طَيِّبْــات الفــال   كــم مِــنْ غــريــب تْــوَدِنَّــهْ
يــا الهجــن مُــرِّنْ اقصيــر بــلال   بِــاقْفــايْ واقبــال مــرنــه
يــاللــي علــى اكــوارهــن جهــال   وَادَ الــرَّخَــمْ لا تمــرنــه

(انتهى).

* * *

ظلما.. والرجال

قيل: حصل مجاعة في نجد بسبب الحروب، والمساغب لقلّة الأمطار، حتى أكلوا ما لا يصلح أكله، نسأل الله العافية والسلامة.

وهناك امرأة يقال لها (ظلما)، أكلت من لحم آدمي: هي وبنتها: فانسعرت فخرجت من البلد ولجأت في جبل (سَلْمىٰ) جنوب مدينة حائل، حيث وجدت لها ملجأ هناك وهو غار تحت الجبل قريب من الطريق، فإذا مرَّ أحد في الطريق وأرادت تأكله قامت وأتت به إلى غارها.

من ذلك مر رجل شايب فقامت إليه وأتت به، فقال: ماذا تريدين بـي؟ فقالت: نريد نأكلك، فقال: أنا شايب ما بـي فائدة؟ فقالت: إجلس هنا فإن حصلنا غيرك أطلقناك وإلاَّ لا بد من أكلك؟ فجلس وجعل ينظر في الطريق لعله يأتي من يكون سبب خلاصه، وإذا رجل أقبل محتزم ليس معه من السلاح إلاَّ عصا في يده، فقال الشايب: أبشري هذا شاب أقبل في الطريق، فنظرت إليه ثم، نظرت إليه، فلما قرب خفضت رأسها ورجعت وراء، وقالت: إتركه يذهب، هذا ليس لنا فيه سنع، هذا قلبه أصمع، فتركته يذهب في سبيله.

وبعد مدة أقبل رجل آخر فنظر الشايب إليه وقال: هذا رجل أقبل، ولكن ما أظنك تقدرين عليه؟ هذا معه سلاح بندقية ومحزم، فشق

(طلقات البندقية) ولكنها نظرت إليه وضحكت وقالت: أبشر بالسلامة أنت: هذا العشاء جاء هذا قلبه جخاخ، أما سمعت قول القائل:

خطو الولد لا تغرك شوفته زينه تراه مثل التنك يُبْرِقْ على الخالي

وهذا يدل على أن لديها فراسة قوية في معرفة حقائق الرجال عن بعد، وتوجد هذه الفراسة والمعرفة بأحوال الناس، في بعض الناس رجالاً ونساء.

الحاصل أنها أخذت سلاحها وهو عصا في رأسه حديدة، لها وجه شبه فوس، يقال لها المسيف، فاعترضت الرجل المار، وإذا هو شاب جميل، فلطمته بالعصا فسقطت منه البندقية، وأتت به وبندقيته وأدخلته الغار هي وبنتها، وقالت للشايب: عاهدنا إنك ما تخبر بنا، فعاهدها، فأطلقته، ثم بعد ذلك عُلِمَ بها، فأتاها جماعة، وقبضوا عليها وقتلوها وبنتها.

ويضرب المثل للجبناء بقول الشاعر العربي:

أفي السِّلم أعيار غلاظ وشدة وفي الحرب أشباه النساء العوارك

(أعيار غلاظ)، أعيار جمع عَيْر، وهو هنا الحمار في غلظة طبعه وبلادته، رغم علو صوته في النهيق، ومثله بعض الجبناء.

وأما ما يطلق من هذا الاسم على الإبل، وهي الْعِيْرُ والْعَيْرات، فإنما هو لجمع الإبل المحملة والمركوبة، فلا يقال لواحدها عير: إلاَّ نادرًا. (انتهى).

* * *

الخداع في الدين.. جريمة

قال الشاعر كلمة عربية فصيحة:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تُعْلَمِ

قيل: جاء عصفور بري، فوجد حب قمح منثورًا، وعنده فخ صغير يدوي، يسمى حِقَّة، فاستغرب الحال، فوقف عندها، وقال: ما أجلسك هنا يا خَالَه؟ قالت: أعتزل الناس، (أسلم شرهم ويسلموا شري) قال: ما هذا الحبل في وسطك؟ قالت: أشد به ظهري في العبادة، قال: وما هذا العصا معك؟ قالت: أعتمد عليه في طول القيام في الصلاة، قال: ما هذا الحب المنثور حولك؟ قالت: صدقة أعددته للجائع وابن السبيل، فقال: أنا جائع؟ فقالت: هلمّ كل، فلما أدلى ليأكل أطبقت عليه، فقال العصفور: كيف هذا؟ قالت: أما تعرفني؟ قال: قاتلكِ الله لقد ادعيتي ما ليس فيكِ.

كذلك حدثني رجل (عدل ثقة) وكان كثير الخبرة بأحوال الناس، قال: كان رجل في بعض الأمصار، وكان متدينًا بدين الإسلام الحقيقي، وكان لا تخرج نسائه للتبرج والسفور كغيرهم، وكانت عنده بنت جميلة، ولم يزوجها آنذاك لأنه لا يريد تزويجها إلاَّ من رجل متديّن بالدين الصحيح، فعلم بها رجل فاسق متمرد بالفسق، لا يعرف الله إلاَّ باسمه، خمار زمار ولا يصلي، فأراد أن يعمل حيلة لتحصيلها، فتظاهر

بالتديّن والتنسّك وقرأ القرآن ولازم الصلاة، ثم انتقل إلى حارة الشيخ وسكن وحده في بيت قرب الرجل، وصار يصلّي معه في المسجد ويتقدم للصلاة والقرآن في المسجد، فأحبه الشيخ من أجل ظاهر ديانته وسكينته واعتزاله الناس الآخرين، فحصل بينهما محبة واتصال ومجالسة وبحث عن بعض الأحوال، فقال له الشيخ: لماذا أنت عزب ولم تتزوج حتى الآن؟ فقال: لأني لم أجد زوجة تصلح لي، فإني لا أرغب إلاّ زوجة صاحبة ديانة وتمسك بالأخلاق الطيبة، فقال الشيخ: أنا عندي بنت هي مطلوبك، أريد أزوجك إياها؟ فقال الرجل: أمّا إذا حصل لي زوجة من جهتك أنت يا شيخ فأنا أرغب ذلك، ثم تظاهر بعدم علمه بها قبل ذلك، فاتفقوا وزوّجوه، وأقامت معه البنت عدة أيام في أحسن وِئام. ثم إن الرجل انتقل عن بيته إلى حارة ثانية، ليبعد عن أهلها، بدعوى غلاء أجرة هذا البيت، ثم انتقل إلى حارة أبعد منها، فأصبح ذئبًا في جلد شاة، فخلع ثياب الديانة، ولبس ثياب الفسوق، وألزم البنت زوجته بترك الصلاة، وخلع لباس الحشمة، وألبسها لباس البغايا، وأجلسها في المقاهي لشرب الخمر في الشوارع، إلى غير ذلك مما يدمي ذكره الكبد.

فلما زارتها أمها ارتاعت من تغيّر حالها، وأخبرتها البنت بالحال، فرجعت وأخبرت الأب بالحال، فغشي عليه وانصدع قلبه ومات. وحسبنا الله ونعم الوكيل. (انتهى).

* * *

تابع: الإلف بيـن الزوجين

قد تواتر قول بعضهن: (مساكينُ بعضُ أهل هذا الوقت، لم يدركوا رفاهية العرس وحلاوته): فقيل: وما هي؟ قالت هي الفَرْفَصَةُ والْمُلاوا: تعني المغالبة حين الدخول عليها، تقول: فإذا لم يكن هنا في العرس ملاوات ومغالبة فهو مثل الطعام ليس به ملح، ويدل على ذلك قوله ﷺ لجابر حين تزوج (هلا تزوجت بكرًا تلاعبك وتلاعبها) الحديث متفق عليه: فإذا لم يكن هنا مغالبة في أول الأمر فلا ملاعبة بعد، وذلك أنها تكون متسترة حين دخوله عليها حياءً وحشمةً، فيبدأ بالتغلّب عليها للوصول إلى غرضه: قال شاعر:

قلـت اللّهـم لا بَلَّهَـم وابـل الحيـا ولا جاذبوا بيض الترايب ثيابها

فتقوم هي بالامتناع منه وملاواته حفاظًا منها على حِصْنِها أن يفتح إلاَّ عنوةً: عنوان العزة والاحتشام في العرب، إلى أن يتغلب عليها هو، أو هي تفيء شيئًا فشيئًا فتلتئم الحال بعدُ، عكس حال أهل التشريع والتفرنج.

ومن حق الزواج ولازمه: الراحة والاطمئنان أيام العرس، (راحة الجسم واطمئنان البال، يدل على ذلك قوله ﷺ في حديث البراء بن

عـازب رضـي الله عنـه[1] فـي ذكـر عـذاب القبـر ونعيمـه: «أن الإنسـان المسلم إذا نجح بعد السآل: يقال له هذا منزلك في الجنة، فينهض ليقوم: ويقول دعوني أدخله، فيقال أما الآن فلا وأنت داخله: ولكن نَمْ نومة العروس الذي لا يوقظه إلاّ أحب أهله إليه) الحديث بطوله، (ألله أكبر ما أحوج المتزوج حديثًا: لمعنى هذا الحديث في الراحة والاطمئنان)، ولكن التقليد الأعمى استبدل هذه الراحة بالشقاء بالسفر المموّه بالأفراح، فهي تسمية مقلوبة، فإن السفر قطعة من العذاب، لا سيما حديث العرس، فإن العسل في حقه الراحة والاطمئنان، ولكن يا للغرور.

يقضي على المرىء في أيام محنه حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

* * *

(١) رواه أحمد وأبو داود.

إصلاح الأحوال بحكمة

قيل: تزوج رجل زوجة على زوجته، ثم أحب أن يواصل بينهن بحكمة، لتذهب الوحشة وتخف الغيرة فيما بينهن، فقال للزوجة الأولى: (ما رأيك لو سمحتي لي آتي بفلانة (يعني زوجته الأخيرة)؟ تزورك كي تذهب الوحشة بينكن؟ قالت: نعم لا بأس، فأعطاها دينارًا وقال: خذي هذا الدينار أصلحي به بعض شأنك أمام قدومها إليك ولا تخبريها به، ثم قال للزوجة الأخيرة: إني أريدك تزورين جارتك فلانة، لتذهب الوحشة ويحصل التواصل بيننا. وهذا دينار خذيه أصلحي به حالك معها، ولكن لا تخبريها به ولا تعلم به، فأتى بها إليها وتسالمتا وجلسوا جميعًا وعملوا طعام العشاء، ودعا صديقًا له يحضر معه للعشاء، وأخبره بمراده بهذا الاجتماع، وأعلمه بأن يسأل عن الحال وبحث الموضوع، فلما جلسا بالمجلس وكان البيت صغيرًا متقاربًا، بينهم ستارة أو نحوها يسمع بعضهم كلام بعض، فشرع الصاحب في بحث الموضوع حيث تسمعهما النساء خفية، سأله عن أحواله في هذا الزواج؟ فأثنى خيرًا بكلام مجمل، ثم سأله أيهن أحب إليك؟ فأضرب الرجل عن الموضوع، وقال اترك البحث في هذا الشأن، قال صاحبه: أنا صديقك وتعرف وُدِّي لك فلا بد أن تخبرني عن ذلك، فقال الرجل:

إذ ألزمتني أخبرك: فصاحبة الدينار هي الغالية، فحينئذٍ فرحت كل واحدة منهن، فتقول في نفسها أنا صاحبة الدينار، أنا الغالية، لذلك خفة الغيرة لديهن وصلحت الحال ونزلت البركة في الحال والعيال. (انتهى).

* * *

أشعب.. والطمع

كان أشعب يضرب به المثل في الطمع، قيل: كان مرة نائمًا وحلم أنه يبيع جبة، وتسام ثمانية، وهو يقول للمشتري خذها بعشرة! والمشتري أبـي يأخذها إلاَّ بثمانية، ثم استيقظ أشعب وإذا ليس حوله أحد، فرجع وتنائم ومد يده وقال: هات الثمانية.

ومرة جاءت زوجته وطلبت منه مقدار نصف ريال لتقضي بعض الحوائج لها، فغضب ونفر عنها مدة، فلما طال هجره لها، أرادت أن ترضيه، فعملت شيئًا من المرق، وجاءت به إليه، فقال: ما هذا؟ قالت: هذا دواء عملته لك عن هذه الوحشة بك عنا، فقال: إشربيه أنت عن هذا الطمع بكِ.

وكان إذا مشى حلق أصابع يده، فَسُئل عن قصده بذلك؟ فقال: لعله يأتي عصفور يظنه بيته فأقبض عليه. (انتهى).

* * *

ما يجتمع إمارة وتجارة

كان أمير من أهل (الأصالة في الإمارة)، اشترى ابنه أرضًا، ولم يدفع قيمتها آن ذاك، وماطل صاحبها، فلجأ البائع إلى رفع شكاية إلى أبيه الأمير، فقال له الأمير: عدني بعد يومين إن شاء الله، فلما جلس الأمير وابنه، قال: أنت اشتريت أرضًا من فلان؟ قال: نعم، قال: هل تريدها حاجة أو تجارة؟ قال: بل تجارة، فقال الأمير: ما يجتمع تجارة وإمارة، ولكن إن كانت الأرض تسوى أكثر من قيمتها فرجعها على صاحبها، وإن كانت تخسر فبعها وكمل على قيمتها وخلّصه، ولا تتركه يأتيني مرة ثانية. (فالعدل قامت به السماوات والأرض).

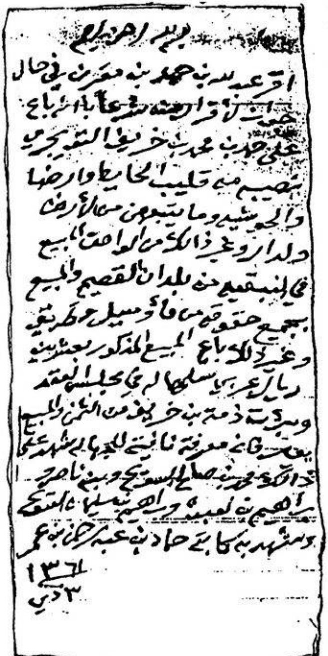
وقال الشافعي رحمه الله:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها ... وسيق إلينا عَذْبُها وعَذَابُها
وما أراها إلا غرورًا وباطلاً ... كما لاح في ظهر الفلات سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فَضْلاةِ الأمور فإنه ... حرام على نفس التقى ارتكابها
ولا تمش في منكب الأرض فاخر ... فعما قليل يحتويك ترابها
وأحسن إلى الأحرار تملك رقابهم ... فخير تجارات الكرام اكتسابها

(انتهى).

من أنواع وثائق الأولين: وثيقة الوالد رحمه الله

وجه الوثيقة:



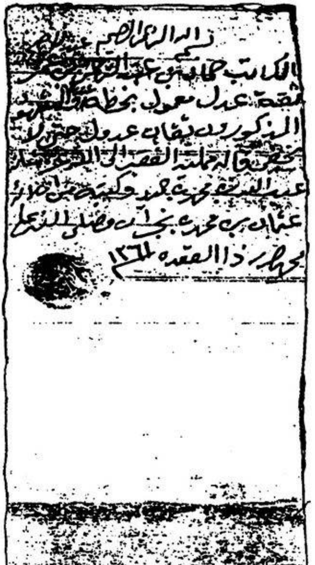
بسم الله الرحمن الرحيم

اقر عبد الله بن حمد بن معيرف في حال
حياته وثبوت اقراره شرعاً بانه باع
على حمد بن محمد بن خريف التويجري
نصيبه من قليب الحايط وارضها
والجيشية وما يتبعهن من الارض
والدار وغير ذلك من المواحق المبيع
في [illegible] من بلدان القصيم والمبيع
بجميع حقوقه من ماء ومسيل وطريق
وغير ذلك باع المبيع المذكور بعشرين
ريال عربي سلمها له في مجلس العقد
وبرية ذمة ابن خريف من الثمن والمبيع
بعد [illegible] معرفة نافية للجهالة شهد على
ذلك محمد بن صالح [illegible] ومحمد بن ناصر
[illegible] ابراهيم [illegible] ابراهيم [illegible]
وشهد به كاتبه حمد بن عبد الرحمن بن عمر
١٣٦١
٢٣ ذي

من أنواع وثائق الأولين: وثيقة الوالد رحمه الله

ظهر الوثيقة:

(بتصديق القاضي في المجمعة إذ ذاك، لكن الختم قد اندثر)


بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب حماد بن عبد الرحمن [illegible]

ثقة عدل معول بخطه والشهود

المذكورين ثقات عدول حتى لا

يخفى [illegible] الفقير الى الله [illegible]

عبد [illegible]

عثمان بن محمد بن [illegible]

[illegible] ذا القعده ١٢٦[illegible]

أحـوال اجتماعية

كان رجل هنا في إحدى القرى، تزوج ابنة عمه في قرية أخرى، وأتى بها عنده، وكان رجلاً كِسِّيبًا يعمل على جمل: يأتي بالحطب من شجر البر ويبيعه في البلد، وكان يتطلب الصيد والطيور البرية يصيدها بالبندقية الفتيل أو المقمعة، فهو في رغد من العيش.

وذات ليلة وهما يأكلان عشاهما وفيه صيد، إذ وجد فيه صيدة أعجبته، فأحب أن يكرم بها امرأته، عادة الرجل الطيب يحب إكرام زوجته وترفيهها. فأعطاها إياها وقال دونكي هذه كليها: فتدللت (تدلعت) عليه وقالت لا: فعزم عليها فعاندت وأبت: فأقسم عليها يمينه لتأكلها، فأبت: فاستفحل وحضرته الحماقة والغضب، فَطَلَّقَ عليها طلاقًا إلاَّ تأكلها، فزاد عنادها واعوجاجها، فأخذ العصا وضربها، فلم تطاوعه، فزاد في ضربها، فلم ينجع بها، فانزعج عقله وخاف من وقوع الطلاق وفوات الأمر، فأخذ الفاروع (الفأس) ورفعه فوق رأسها، وأقسم يمينه ليشدخَنَّ رأسها إن لم تأكلها، وحيث رأت شدة غضبه، وفقد بعض شعوره خافت يمضي فيها فعله فأكلتها: فسكن غضبه شيئًا وباتا بشرٍّ ليلة أتت عليهما، فلما أصبح ركب جمله وذهب للبر يحتطب على عادته، ثم صادفت الحال أن أتى إليها أخوها زائرًا: فلما رأته

بكت، فانزعج أخوها وقال ماذا؟ فقالت انظر مضارب العصا جروحًا في ظهري منه؟ قال وما السبب؟ قالت إنه يبغيني أزعب الماء على ظهري من البئر لسقي الغريس، (النخل).

فأخوها ظنّها صادقة، فأخذته الحمية والشرهة على ابن عمه وصهره، كيف يفعل بها هذا الفعل لتكليفها عملاً لا تطيقه؟ وعلمه بابن عمه كريمًا لا يفعل هكذا، ولكن غلب على ظنه الثقة بها: فأخذته العجلة والثقة بالنفس، ولم يتأنى حتى يأتي الرجل فيتفاهم معه فيناقشه إن كان الأمر كذلك: أو يؤدب أخته إن كان الأمر غير ذلك، ويحرص على إصلاحهما أولاً، فهو خير حتى للمرأة، ولكنه أركبها معه على بعيره بغيبة من زوجها: وهذا خطأ منه، وانتهاك لحرمة الزوج، إذ من حقه أن لا يخرجها من بيته إلاّ بمفاوضته. فذهب بها إلى أهله، فلما جاء الرجل (الزوج) من البر بعد العصر، وإذا ليس في البيت امرأة، ووجد أثر الرجل والبعير، وعرف أثر الرجل أنه أخوها، لأن الأرض حول البيت ترابية، ثم ذهب يتبع أثره حتى خرج من القرية متجهًا إلى أهله في القرية الأخرى، فتيقن أنه أخوها وذهب بها إلى أهله، فرجع وتركه.

وبعد مضي شهرين طرأ له زيارتها، فعزم وركب جمله وذهب إليها: وحمل معه حمل حطب على بعيره، من شجر البر أثناء طريقه إليها، وقدم عليهم فرحب به عمه (أبوها) وبات معه في سرور وأنس: إلاّ أن البنت لم تأت إليه ولم تواجهه: وفي الصباح ودع عمه ورجع، ولم يجر بينهم بحث عن الحال. ثم بعد شهرين جاء لزيارتها، وبات

عندهم كالمرة الأولى، لم تواجهه البنت ولم يجر بينهم بحث عن الحال، وفي الصباح رجع لبلده: فاستمر على هذه الحال مدة سنتين كل شهرين يزورهم ويحمل لهم حمل حطب وقهوة ونحوها لعمه ويرجع في الصباح كالمرة الأولى، (وقصده بتركها هذه المدة تأديبًا لها كما هي عادة معروفة عند سائر الناس، يهجرها الشهر والشهرين وهي عنده في البيت، تأديبًا على الخطأ، ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ الآية.

وفي المرة الأخيرة بعد السنتين، قال لعمه: يا عم ودي أن فاطمة تروح معي؟ فقال عمه سوف أكلمها، ثم قال لها أبوها، يا فلانة هذا فلان يقول ودي أنها تروح معي ماذا تقولين؟ ففرحت وقالت نعم، وقامت من حينها وأخذت ثيابها وركبت معه على الجمل، فما رجعت إلى اليوم.

فيستفاد من هذه القصة ثلاث فوائد.

الأولى: الاطلاع على نوع الأحوال الماضية.

الثانية: لتعرف أن للنساء كَوَامِنُ بعيدة القعر، قد تخفى على بعض الرجال، إذ ليس كل امرأة مخلصة قلبها وسريرتها لزوجها، وإن هي تظاهرت له بذلك. وفي القصيدة القحطانية:

ولا تثق من النساء بمودة فقلوبهن سريعة الميلان

فإذا رزقتَ زوجة تخلص لك قلبها وسريرتها حقيقة كالمرأة الآتي ذكرها بعدُ إن شاء الله فاشدد بها يديك فإنها خير لك من غيرها.

المسألة الثالثة: لتعرف سعة صدور الناس ذاك الوقت وطول

بالهم، إذ كيف صبروا هذهٔ المدة الطويلة لم يبحث بعضهم بعضًا، مع أن الحال للبحث ضرورية، ومع أنه يزورهم دائمًا، وأخيرًا ذهبت معه بدون مباحثة ولا مقاصة، ولكن المرأة نفسها جعلت تحدثنا بذلك حين مضت حالها بعد سنين.

وإليك قصة أخرى مغايرة لهذه القصة:

فقد حدثني رجل عن حاله رحمه الله.

يقول كنت في أول عمري، أعمل في بلد هناك، ومعي زوجتي وولدت لي ابنًا، فمرضت وماتت رحمها الله، وبقي معي الابن، فبقيت بلا زوجة، فعلم بحالي أحد الجماعة، أهل الفضل والحمية، فرحمني وحامى عليّ، وقال لي ألا تتزوج يا فلان؟ فقلت ليس عندي فلوس للزواج، فقال تطلب لك زوجة وأنا أعطيك فلوسًا قرضة حتى تتيسّر أمورك.

يقول: فأخبرت صديقًا لي بذلك فقال: أنا سوف أخطب لك امرأة، ثم عاد بعد أيام وقال قد حصلت لك: خطبت لك ابنة عائلة ذات حسب: فأجابوا فأعطني فلوسك أوصلهم إياها! فذهبت لصاحبي وأخذت منه ألفين ريال سلف، فلقيني رجل في الطريق وقال: هنا أرض تباع رخيصة لعلك تشتريها؟ فقلت ليس عندي دراهم: فقال: قيمتها ألفين ريال: لو تستقرضها: وعزم عليّ فأعطيته الألفين التي معي للتجهيز: ثم رجعت لصاحبي وقلت له ما نفعتني دراهمك: فقال ولماذا؟ قلت لقيني رجل يطلبني دراهم فغلبني وأخذها، فضحك وقال: نعطيك غيرها، فأعطاني ألفين أيضًا، فأعطيتها الرجل، فأعطاهم

إياها فجهزوا بها، فلما دخلت عليها لم يجعل الله لها مودة في قلبـي، فكأنها ليست المرأة التي أنا أريد: فهممت بالخروج من عندها ليلاً، ولكن كرهت العجلة، فصبّرْت نفسي حفاظًا على السمعة والشرف، فلما أصبحت جعلت أفكر لفراق منها لا يلحقني فيه ملام، فاقترحت أن أقول لهم: أريد فلانة تذهب معي هالحين؟ فإذا قالوا لا يصلح أن تخرج العروس إلاَّ ليلاً، ذهبت وتركتها ولا أرجع إليها: ولكنهم قالوا مرحبًا، فأركبوها معي صباحًا، وأنا لم أرد ذلك ولكن جاملت مجاملة، وقلت: أترقب الفرصة لفراقها.

وفي اليوم الثالث لما أتيت من العمل وقت الظهر وابني عندها، وله من العمر ثلاث سنين، وإذا هو يبكي، فقلت له ما يبكيك؟ فقال ضربتني فلانة، يعنيها، فحضرتني الحماقة بالعجلة، ولم أسألها لماذا يبكي؟ ولكني أخذت جلمودًا من الحطب، فضربتها به عدة ضربات موجعة، وجعلتْ تبكي: وفي اللحظة طُرِقَ الباب، فوضعت العصا وذهبت أفتح، وإذا هم أهلها: (أبوها وأمها) جاؤوا زائرين، فسلّمت عليهم وقلت تفضلوا ادخلوا، ورجعت للبنت وأنا مدهوش الفكر ماذا أجاوبهم به إذا هي بكت في وجوههم؟ فلم يحضرني إلاَّ أن أقول لهم (خلاص انتهينا احملوها معكم وارجعوا)، فلما وصلت البنت وهي تبكي: قلت لها، قومي ــ قومي هؤلاء أهلك جاؤوا: فسكتت عن البكاء، وقامت بسرعة وتمسح الدموع عن وجهها، وتدخل الحمام تغسل وجهها وتخرج إليهم يتهلهل ووجهها يضحك، ففرحوا وانبسطوا لسرورها، وأنا كذلك انفرج الهم عن صدري، وبدأ حبها في قلبـي،

وثقل وزنها عندي، لتلك الفعلة الجميلة والمروءة الحميدة، واندحر الشيطان والحمد لله، لأن الشيطان يحب الطلاق والفراق، فذبحنا لهم ذبيحة للعشاء عادة إكرام الزائر، وفي الصباح وَدَّعُونا وذهبوا مسرورين، وصلحت الحال معها بعد ذلك، (وجعل الله فيها خيرًا كثيرًا، وأولادًا صالحين، بَرَرَة، ذوو تواصل ومروءة، وصارت من النساء الطيبات، مخلصة القلب والسريرة للزوج، فهي كما وصف الشاعر حميدان: بعض النساء، فقال:

أَحْـــدٌ عنــــده عَـــذْرًا زينــــه	قـــاعـــد وامبصـــط فـــي داره
إن جـــاب اشْـــوَيٍّ قنعـــت بـــه	وإن مـــاجـــا شِيـــنٌ عَـــذّارِه
وأحـــدٌ عنـــده شبيـــة غـــارٍ	انطـــل مـــن عَنْطَـــلْ جـــواره
يسمـــع حِسَّـــهْ مـــن بـــالمجلس	تـــزجـــر كِنَّـــهْ فـــي مِنْطـــارِه

وكما قيل:

خطـــو الحليلـــه تِقِـــلْ دره	تسليـــك عـــن بعـــض الاحـــوال
وخطـــو الحليلـــه كِفـــا شَـــرَّه	تحـــدث علـــى كبـــدك القـــالـــي

فرحم الله هذه المرأة المنوّه عنها، وأكثر من أمثالها، فقد عاشت حميدة، ونرجوا أن تموت سعيدة، (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً).

يقول الرجل: والأرض التي اشتريت بالألفين الأولى: بعتها بلاثين ألف ريال بوقت متقارب، وسددت القرض لصاحبي جزاه الله خيرًا وغفر له ولوالديه وأصلح ذريته آمين. (انتهى).

* * *

.. وهنا بشارة للجميع

هنا شاب: طلب من أهله أن يزوجوه، واشترط عليهم أن تكون بنت جميلة طويلة بيضاء، ذات شعر طويل وكذا وكذا، فتطلبوا له ما ذكر ولكن لم يرد الله ذلك، وبعد مدة سئم هو من تأخّر زواجه، فأخبروه أن هنا بنت سَمْرا غير جميلة؟

فقال: هاتوها ولو هي سمرا، فلما تزوجها صبغهما الله بالمودة والرحمة، فأُعجب بها وسرته، فاستقر وإياها عند أهله، ويزداد بها سرورًا، ويقول لأهله: يا ويلكم من الله كيف تقولون إنها سمرا غير جميلة! هذه أحسن البنات.

فيقال: ألله أكبر، فهذا شيء مطرد يحصل لسائر الناس، حيث يصبغ بالمودة والرحمة، فاسئل الله من فضله على ما يعلمه من الغيب.

تنبيه وتحذير:

قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات/ ١١]، كان شاب أراد أهله أن يزوجوه، فخطبوا له ابنة عائلة صالحة مستورة الحال، إلاّ أن البنت غير جميلة، فلم يرغبها هو، وَأَلَحَّ

عليه أهله بها فأبى، وسئلوه كيف لا؟ فقال: أخشى أن يَأْتِيَ أولادها كذا وكذا: يعني أوصافًا مكروهة.

فعدل أهله عنها وزوجوه غيرها، فلم ينتج له أولاد إلاَّ إبن معتوه ليس له إلاَّ نصف عقل، وذلك والله أعلم: أنها عقوبة له على ازدرائه هذه المسلمة الغافلة، فلو أنه حين عافها أعرض عنها ولم يذكرها بسوء، لما عوقب بذلك. (انتهى).

* * *

طقت الستاد بألف

قيل: وقف مركب في البحر، لخراب حدث فيه، فأحضروا له المهندسين؟ فلم يعرفوا خرابه، فأتاهم رجل ادعى أنه مهندس، وقال: إذا أنا صلحته لكم، كم تعطونني؟ فقالوا: نعطيك ألف، قال: نعم، فقام يدور في المركب وينظر فيه فلم يعرف له علة، إلاَّ أنه وجد رأس عمود قد خرج: فاستغرب خروجه، فأخذ (مطرقة كبيرة) فرفعها وضرب العمود ضربة قوية ــ فدخل العمود مكانه، فقال للسائق شغل؟ فاشتغل وصلح، فقال: أعطوني ألفَ؟ فقالوا: كيف تستحق ألف وأنت إنما ضربت طقة واحدة، فقال الرجل: (طقت الستاد بألف)، ويضرب به المثل (طقت الستاد بألف) للعمل القليل المفيد. (انتهى).

* * *

البعوضة والنخلة

وقعت بعوضة فوق نخلة، فلما أرادت أن تطير، قالت: تَجَوَّدِي يا نخلة تراني أبغي أطير؟ فقالت النخلة: ما دريت أنك واقعة حتى أدري أنكِ تطيرين، ويضرب بها المثل (قالت البعوضة) للأمر المستهزل. (انتهى).

* * *

كلمات حكمة

قيل: إذا صار ما عندك رأي فخذ من رأي الرجال دليل. قيل: اسأل مجرب ولا تسئل طبيب، وقيل: شاور أكبر منك ولو بليلة.

وقال الوالد رحمه الله (اليأس به معونة)، وهذا له معنى جيد، وهو: عام في كل شيء، فإن النفس تواقة فإذا شاوفت أي (تطلعت)، لشيء انهلعت وضعفت وإذا أييست قويت وصبرت وعزمت، وهذا يعرفه كل ذي بصيرة.

وقال أيضًا لأولاده: وكان لهم صديق (زميل حسن الأخلاق طيب السريرة، إلاَّ أنه كسلان عن العمل، كثير النوم والراحة)، قال لهم أبوهم: لا ترافقوا فلانًا ولا تمشوا معه، هو (مأمون السريرة) ولكنه كسلان، والكسل ليس به خير، والقرين لازم يكتسب أخلاقًا من قرينه، فأنا أحب لكم النشاط واكتساب المال والاستغناء به عن الناس.

وكان يقول: (من عصى والده إحذر تُقاربه) يعني: ربما عوجل بالعقوبة وأنت معه، لكن ابتعد عنه. ولفظ الوالد هنا: يشمل الأب والأم.

وكان يقول: (اللَّهمَّ أطعمنا مما دنا أجله لو من حلالنا)، يعني إن

قدر الله أنه يموت بعير أو بقرة أو شاة: نطلب من الله أن يُقْدِرْنا على تذكيتها لِنَأْكُلْها ولا تَحْرَجْ فَنُحْرَمْها، حيث كانوا في وقت حاجة وفقر.

وهنا رجل اتخذ له طريقًا إلى المسجد، في أرض جار له ميت، بقصد أنه عارية مؤقتة، فأتى إليه صاحبها الميت في المنام وقال: سد هذا الطريق ومشى مع الشارع، ترى من اعتاد شيئًا هان عليه.

يعني: ربما طَمِعَتْ نفسك بإثباته في ملك الغير، حيث قد إعتدته. (انتهى).

* * *

بوادر رجولة الأولاد

قيل:

إذا تم الولد عشرين عام وصارما ينطح لك الموجبات
لا ترجيه إن قيل حي ولا تبكيه إن قيل مات

والموجبات هي: التصرف في أمور الحال، والصعوبات وأهمها لقاء الحرب، كما قيل أيضًا:

إذا تم الولد عشرين وطلع له شارب أسودا
وصارت الخيل ما تجفل من حسه ترى كل عام يزيده ردا

يعني أنها تظهر بوادر رجولة الأولاد من حين سن التمييز، وتتزايد حتى يبلغ العشرين سنة من عمره، فيلتحق بالرجال إن كان به رجولة، فإن بلغ العشرين ولم يظهر له رجولة فسوف ينقص، وكل عام يزيده ردا.

والخيل قد اعتادت ركوب الرجال الشجعان عليها، في الحرب والضرب والفر والكر، ومن عادة الشجاع حالة الطراد، يزعق بصوت عالٍ، إذا اشتد الأمر، ليثير عزم الفرس فيزيد جريها، ويخيف خصمه فتنهار أعصابه فيعلوه ويقتله، فهذه من أحوال الرجال في الحرب،

فالخيل قد اعتادت ذلك، فتعرف صوت الشجاع من الرجال، فإذا سمعت صوته حتى وهي في ربطها، اهتزت وانتصبت وتشوفت للطراد، وهذا هو قولهم (تجفل الخيل من حسه) أي صوته، وهذا في أوقات الطراد والحرب على الخيل، أما في هذه الأوقات فتعرف رجولة الولد في سائر أعماله وتصرفاته الطيبة أو الرديئة. (انتهى).

قيل: (العافية تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلاَّ المرضى)، والعافية ليست صحة الجسم فحسب، بل العافية عامة من كل البلاوي والمشاكل. وقيل فيمن يريد يتولى أمرًا ضخمًا وهو حقير:

قـد هَـزِلَـتْ وبـدت مـن هِـزَالهـا ... كِلاَها وحتى اسْتَامَها كُلُّ مفلس

(انتهى).

* * *

براعة الاستهلال

هي كلمة الخطيب: الأولى أو الثانية تقريبًا، وهي كلمة عميقة في أصل الموضوع، تُشْعِر بالمقصود، يُفَرِّع عليها كلامه في الخطبة أو المحاضرة، يَقْرُبُ إليك فهم الموضوع من حين تسمع الكلمة، إذا كان القائل بليغ، لهذا يسمونها (براعة الاستهلال).

* * *

السَّـليـقَـةُ

أما السليقة: فهي النطق بالكلام نطقًا صحيحًا موافقًا اللغة العربية بدون تكلّف، قال شاعر:

ومـا أنـا نَحْـوِيٌّ يَلُـوكُ لسـانـه ... ولكـن سَلُـوقِيًّـا أقـول فـأعـرب

متن الأَجَرُّومِيَّة:

كان أهل العلم يقولون: إن النحو دار لها باب وللباب مفتاح.

(فَمَتْن الأَجَرُّومِيَّةِ مفتاح النحو، وملحة الإعراب بابه، وألفية ابن مالك هي الدار، ومعلوم أن النحو إذا انفتح بابه سهل ما بعده، فمتن الأجرومية أحسن ما يبتدىء به المبتدىء لمعرفة مبادىء النحو ولمعرفة المعاني معرفة أصيلة، لا سيما إذا راجع شروحه (الكفراوي والعشماوي ونحوه).

ومن عجيب ما ذكروا لهذا المتن: أن ابن الأجرومي لما كتب هذا المتن، ألقاه في البحر وقال: اللَّهمَّ إن كان هذا حقًا فأظهره وإن كان باطلاً فأتلفه! فأظهره الله ونفع به، كما هو معلوم.

وكلمة: (تُرْجَمان) بضم أوله وفتح ثالثه، تُرْجَمان، أو بفتح أوله وضم ثالثه: تَرْجُمان. قاله شيخنا رحمه الله.

أمّا فَنُّ الكتابة في القديم:

كان المعلم يركّز على تعليم التلميذ سرعة الكتابة وجودة الخط، فيجلس التلميذ أمامه، ويأمره بكتابة ما يلقى عليه: فيلقي عليه الإملاء، (يلقي عليه، ويلقي عليه)، ثم يأخذ كتابته ينظر ضبط الحروف وجودة الخط، يناقشه فيها، ثم المرة الثانية يلقي عليه أسرع، والثالثة أسرع، وهكذا حتى يعتاد السرعة وجودة الخط، ويضربون العاطل على ذلك، كما يقولون: (ما يتعلم إلاَّ راغب أو راهب).

وأما قراءة القرآن: فيعلمونهم سرد القراءة بدون ترجيع، (وحالة التنفس على نهاية الجملة)، ويبدأ منها ولا يرجع لأول الآية، لأن الترجيع هذا المحدث، يطيل القراءة ويخل في نظام القرآن، فإذا سمعه الجاهل ظن هذا التكرار من أصل القرآن، إذ ليس كل الناس يعرف نظم القرآن، بل هم يعدون الترجيع من الْعِيّ وقِلّة البراعة في القراءة. ومما يساعد على خفة القراءة وعدم الترجيع: أن تقدم بصرك على الحروف قبل أن تصلها بالنطق.

وقال شيخ الإسلام: (إذا اشتغل بالإعراب ذهب الخشوع).

تنبيه: لا يجتمع التنوين والإضافة، ولهذا قال:

كأني تنوينٌ وأنت إضافةٌ   فأين تراني فلا تحل مَكانِيَ

فهذا التنوين: يلحق آخر الاسم لفظًا ويفارقه خطًا، وهو لا يجتمع مع الإضافة أبدًا: فإذا نُوِّنَ الاسم فلا يضاف وهي نون لفظية لا خطية، وإذا أضيف فلا يُنَوَّن، فهذا: قوله: (فأين تراني فلا تحل مكانِيَ). (انتهى).

* * *

كيف ابقيرتكم؟

هذا مثل قديم: وذلك أنها مرضت بقرتهم وقارب أن تموت، فعلم بذلك أحد الجيران، فأخذ سكينًا أخفاها معه، وذهب إليهم يسألهم عنها (كيف ابقيرتكم؟) فظاهره الترحّم والتوجّع لهم: لعل بقرتكم طيبة؟ وباطنه لعلهم يأمرونه بذبحها، لأجل يحصل له سهم منها، فإنه إذا لم يحضرها فذبحها غيره فربما أخفوها عنه، لكنه حين علم حالها سارع يذهب إليهم مستعدًا بسكينه لذبحها إن سنحت له الفرصة، يسألهم كيف بقيرتكم؟ فقالوا له تعال تعال اذبحها قبل أن تَخْرُج فقفز مسرعًا إليها يخرج سكينه يذبحها، ليطمئن على سهم منها. فصار هذا مثلاً لمن يسعى للحصول على طمع بخفية: ظاهرة يخالف باطنه (كيف بقيرتكم؟). (انتهى).

* * *

فصل:
واجب المسلم

ينبغي للمسلم أن يكون مِثالاً في الأخلاق الفاضلة، كما قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» الحديث رواه أحمد والبزار وغيرهما، ولكن الشيطان عدو الإنسان، لما رأى تمسك المسلمين بعقيدة التوحيد، جاءهم من باب آخر وهو: تشويه سمعة أهل الدين عند الآخرين، بما يلقيه بينهم من الخصال المذمومة، التي نهى عنها الإسلام وحاربها، مثل الكذب والغش والحسد والخيانة والحرص على الدنيا والتحيّل لتحصيلها وإنكار بعض الحقوق وشهادة الزور وقطيعة الأرحام والظلم والعدوان وغير ذلك، مما يفرح به المنافقون وأعداء العقيدة ويعيبونهم به، وهو كذلك عيب، ولكن الإسلام والإيمان بالله وتوحيده، فهذه رتبة عالية لا يهدمها إلاَّ الشرك، وإن كان المسلم يعذب على ذنوبه لكن مصيره إلى الجنة، فالمسلم المتصف بهذه المخالفات المنفرة عن الإسلام، عليه وزره، ومثل أوزار من ضل بسببه، والمسلم المتصف بالأخلاق الفاضلة المرغبة في الإسلام، له أجره ومثل أجور من اهتدى بسببه، وقد قيل: «الدين المعاملة». (انتهى).

* * *

التمر باسفوان حلاوة

ومن أحوال الناس أوقات المساغب والحروب، تفرّق بعض أهل نجد في سائر الأمصار، مثل الكويت ومصر والشام والعراق وغيرها، فمن الذين صاروا في الكويت، كان رجل منهم لما شبع فسق وصار لا يشكر النعمة ولا يقيدها، وكان له صاحب ليس مثله، فلا يعجبه البذخ ولا ينسى ما جرى عليه من الشدة، ولا يأمن أن يبتلى بمثلها أو أشد، وأراد أن ينكل صاحبه ويذكره الحالة الماضية، فقال له: نريد نكشت وإياك بالبر يا فلان؟ قال رفيقه نعم، ثم قال: إننا قدمنا فلانًا أمامنا يذبح الذبيحة ويطبخ الغدا، وأنا وإياك نلحقه وقت الضحى على البغل؟ قال صاحبه: نعم لا بأس، فلما صار الضحى ركبا البغل وأخذ من علف البغل (التمر) وجعله في الخرج على جنبـي البغل بدعوى أنه علوق للبغل (أي طعام له)، ثم خرجا، وكان هو لم يقدم أحدًا ولكن له قصد التربية والتنكيل، فلما وصلا الموضع الذي هو ذكر لم يجدا فيه أحدًا، قال: لعله أمامنا ثم لم يجدا أحدًا، فقال: لعله كذا، لعله كذا، حتى وصلا إلى إسفوان، فقال صاحبه الفسقان: إحنا هلكنا جوعًا، شف لنا شيئًا نأكله، فقال: ما معنا إلاّ تمر من علف البغل؟ مخلوط مع الشعير، فقال: أعطنا ولو منه؟ فجعل يدخل يده في خرج البغل،

ويخرج من التمر وينفخ عنه غبار الشعير ويأكلانه، فقال الصاحب الفاسق: (أثر التمر باسفوان حلاوة) فقال صاحبه: ذق الجوع يا قليل الشكر أنت ما تشكر النعمة ولا تخاف من النقمة، وأنا قصدي أربيك، ويضرب به المثل (التمر باسفوان حلاوة).

قضيـة أخـرى:

ومثل ذلك رجل تحول من نجد إلى الكويت، في أوقات الجوع ومعه زوجته، وكان الكويت لم يصبه الجوع إذ ذاك، فلما شبعوا هناك، صارت المرأة لا تشكر النعمة، ولكن الرجل فكر في عواقب أمره، وقال: إذا كانت هذه حالها اليوم وتستمر على قلَّة الشكر، ويكبر الأولاد ويكتسبون أخلاقًا من أمهم فتفسد الحال، فاختار إخراجهم إلى نجد رجاء صلاح العاقبة للأولاد، فقال لها نريد: (نعزب بالبر بالربيع)، ثم حمل جميع ما يريد حمله على الإبل وخرج، فلما استمر سيره في الطريق، عرفت أنه يريد نجد وهي لا تريد، ولكن هيهات لها الرجوع ثم نفد بعض الزهاب ونفد السكر، فجعلت تتوجد، تقول:

الغـوري يبكـي علـى الشـاهـي والبـــر مـــا فيـــه دلالـــه
لَـــواعَـــلا جـــونيـــة الشكـــر علـــى البعـــاريـــن نشتـــالـــه

وقولها: (جونية الشكر) تعني كيس السكر، وقد جاء في الحديث القدسي: يقول الله تعالى: ﴿**إن من عبادي من لا يصلحه إلاَّ الفقر فلو أغنيته لأفسده ذلك**﴾، رواه الطبراني وغيره عن أنس مرفوعًا.

قيل: كان رجل في أسفل بئر يعمل، يحفر فيها ويغني يقول:

ياهل الهوى جرح الهوى ويش يبريه . . . .

وإذا رجل آخر شمري يطل عليه من فوق: قال:

. . . .   صَيِّـفْ بـالغـدا شْـوَيٍّ ويبـرى

يعني أخِّرْ الغدا حتى تجوع ويذهب الفسق عنك.

وجاء في الحديث: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها لِدِين المرىء من حب المال والشرف». أخرجه الترمذي وغيره، فالمال فتنة، والرآسة فتنة، والجاه فتنة، والموفق من عصمه الله وأعانه على هواه. (انتهى).

* * *

الصدق أنجَمْ

كان الناس في القديم كثير فيهم وجود الخدم العبيد المماليك، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف/ ٣٢]، وأكثرهم يكون له زوجة مثله، فيكون مثل صاحب المحل في الأهلية، فهو أسلم ضررًا منه وحده، والعبيد كغيرهم من الأحرار، فيهم عاقل وجاهل وشجاع وجبان، وأمين وخائن، وصدوق وكذاب، وحافظ لأمر سيده وماله ومهمل، وغير ذلك من الأحوال المتباينة في البادية والحاضرة.

كان رجل في البادية، له عبد طيب مشهور بالصدق لم يعرف عنه كذبة، وكان يسرح بإبل سيده، فتذاكره الجماعة في مجلسهم، فاعتز الرجل بصدق عبده، فقال أحد الجماعة أنا أجعله يكذب، فقال سيده إنه لا يكذب مهما عملت من الاحتيال، فجرى الرهان بين الرجلين: من فرس هذا: إلى فرس هذا؟ فقام الرجل ذاك إلى ابنته، وكانت هي تسرح بإبل أبيها كذلك، فأخبرها بما جرى من الرهان، وأمرها أن تحتال على العبد ليكذب، وتحفظ نفسها عنه، فذهبت تسرح بإبلها في البر حول العبد، وأتت إليه، وجعلت تمزح معه وتضحك له وتدنو منه حتى أغرته بنفسها، فَغُلِبَ على عقله، فطلب منها ما تمنيه به؟ فقالت لا بأس ولكن

على شرط أن تذبح أولاً ناقة من إبلك وتعطيني كَبِدَها؟ فقال إذًا يذبحني عمي؟ فقالت: إعتذر منه بأنها ضربتها الغُدَّة (وهي مرض معروف في الإبل شبه الطاعون). فعزم العبد على ذبح الناقة، وأن يكذب لسيده بأنها طعنتها الغدة، فأتى بالناقة وذبحها، وفي اللحظة قالت البنت أنا سوف أروح أرد طرف الإبل حتى لا تذهب، وأنت تسلخ جلدها وتخرج الكبد ما دامى أجى، فذهبت تركض وركبت جملاً وهربت عنه إلى أهلها، فلقيها أبوها بشرى بشرى؟ فقالت أبشر قد ذبح الناقة فلانة وحين اشتغل بها هربت عنه، وسوف يقول لعمه إنها طعنتها الغدة، فقال: بنتي أنت! ثم ذهب أبوها إلى سيد العبد وقال: تفداك ناقتك فلانة ونتبعها الفرس: فقال الرجل الْحَق ما منه مَجْزَع.

أما العبد فإنه لما رأى البنت هربت عنه وأبدلت عن اتفاقها معه، سُقِطَ في يده وحضره عقله، وخاف من سيده، فجعل يراجع نفسه هل يكذب لسيده على أن الناقة طعنها مرض لأجل ينجو من غضبه؟ أو يَصْدقه رجاء أن يكون الصدق أنجم، (يعني أنجح وأسلم)، فجعل يهذو بما في هاجسه فيقول:

إكْذِبْ تَنْجِمْ ـ لا الصدق أنجم وأنجم ـ إكذب تنجم ـ إكذب تنجم ـ لا الصدق أنجم وأنجم، يردد هذا الكلام طول نهاره، فلما صار المغرب وقت هُضُول السراريح، اجتمع أبو البنت وسيد العبد وبعض الجماعة وذهبوا يلتقون العبد جميعًا حتى لا يمكن السيد يخلو بعبده يلقنه الأمر: فلما جاء العبد بإبله في الظلام إذا هم يسمعونه يقول لنفسه: إكذب تنجم ـ لا الصدق أنجم وأنجم، فسلموا عليه ومشوا

معه، ثم سئله عن الناقة أين هي؟ فبكى وبدره الصدق وانزاح عنه الكذب فقال: والله يا عم: اليوم سرحت معي فلانة بنت فلان وخدعتني بنفسها وطلبت عليّ كبد الناقة فلانة، فذبحتها لأعطيها كبدها: فحين ذبحت الناقة ركبت جملاً وهربت، فقال عمه سلمت وأنا عمك، والآن إذهب مع أبيها يعطيك فرسه فاركبها وائتنا بها. فذهب العبد مع أبيها فسلمه الفرس وأتى بها. (انتهى).

* * *

العشـق.. وفوائـده

العشق في العرب من أقوى العوامل في تغذية الأخلاق الراقية في نفوس الناشئين، (وليس المراد بالعشق هنا هو الفسوق، والتغزل بما لا يجوز وإنما المراد محبة الرجال النساء، والنساء الرجال في الأمر المشروع، على عفاف وحشمة)، وقد كان يوجد كثيرًا في الأزمنة الماضية، أما في هذه الأزمنة فقد انقطع أو كاد، لانشغال النفوس عنه بانفتاح الدنيا وشواغلها وكثرة وسائل اللإلهاء، وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابيه (الجواب الكافي)، و (روضة المحبين)، أن للعشـق فـوائـد، منهـا: تهـذيـب النفـس، وخفـة الطبـع، والشجـاعـة، والسخاء وغير ذلك، فهو أكثر ما يحدو على معالي الأمور.

قال الشاعر النبطي:

هَيْـــه يـــا بـــو جَـــدِيلـــه فـــوق متنـــه تثنـــى
الـــــردى لا تبينـــه ذاك مـــا هـــوب منـــا

وقالت فتاة الوشم الروقية:

يا بنت شومي عن اللي يمشط اشعوره ويْمَيِّلْ بالكعب ووروكه يِهِزَّابْها

ومـن نتـائـج العشـق، التجمّـل والنظـافـة، كمـا قـال ابـن عبـاس رضي الله عنهما: «إني لأتجمل لامرأتي كما تتجمّل المرأة لزوجها»

رواه ابن جرير وغيره، ولهذا لا تكاد تجد إنسانًا خاليًا من دواعي العشق، إلاَّ وَتَجِدْ قليلاً فيه وجودُ هذه الصفات الراقية، وقد تجد فيه ضـدهـا، تجـده إمـا ثقيـل النفـس، أو شـرس الأخـلاق، أو شحيـح، أو كسلان، إلى غير ذلك، وليستْ البنت تعشق الرجل لجماله مع فقد الصفات الراقية، وإنما كانت البنات أكثر ما تعشق على: الشجاعة، والرجولة، والسخاء، وحسن الخلق، والنشاط، فيحرص الرجل على ما يدعوها إلى عشقه من المعالي والمكارم، قال المتنبـي:

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لـم يكـن فـي فعلـه والخـلائـق

وقال الأمير غزالان:

أضرب بحد السيف وارخى العنان لِيَمـا العـذارا يـا سعـد لِـيْ يَعَشْقِـنْ

(وقصة العنقري تعطينا مثالاً لذلك):

كان العنقري شاب حضري صاحب فلاحة (مزرعة)، وكان له أصـدقـاء مـن البـاديـة يقطنـون بجـواره وقـت الصيـف، فيـرحـب بهـم ويكرمهم، وكانت للأعراب أخت جميلة، فخطبها منهم، فرغبوا في تزويجه، فاستأذنوها في ذلك، فلم ترغب هي، واعتذرت بأنها لا ترغب إلاَّ رجل الشجاعة، وهو ليس مظنة الشجاعة لأنه حضري، والحضري عند الأعراب، أنه خواف لم يعتد الشجاعة، لهذا السبب هي لم ترغب؛ وإخوانها حرصوا على ترغيبها فيه، وأخبروه بعذرها، وقالوا نريد نركب الخيل وإيّاك ونعرض ونلعب لعلها إذا رأت تصيفحك على الخيل تعشقك وترغبك، فركبوا الخيل وإياه، وجعلت تنظر إليهم والنساء ترغبها فيه وتقول النساء: انظري كيف جودة لحاقه الخيل!

ولكن هي لم تعشق هيكله، وإنما تريد فعلاً صحيحًا وقت الحرب والضرب، فقالت: لا يغركم هيكله هذا خيَّال القرى (بتصغير حرف القاف على لغة العوام) زين تصفيح، وأما إذا جاء اللزوم ما لِقَيْت رجل، ثم أخبروه بقولها، فاغتاظ وتوقدت الحماسة في نفسه، فلما جاء البراد ورحل الأعراب من المياه إلى المندى، ركب فرسه ومشى معهم، وبقي معهم حتى جاءهم اليوم الأقْشَرْ، جاءهم قوم ونهبوا الإبل، فصاح بهم الصائح للفزع، فركبوا الخيل، وقالوا له اركب معنا فلم يركب، ففرحت هي حيث صدق ظنها فيه وأنه حضري ليس من أهل الشجاعة الذين يفزعون ويحمون الزعيمة، ولكن رجالهم فزعوا وخابوا ورجعوا وعجزوا عن رد الإبل، وصار القوم أقوى منهم، فأفزعوا بقية الرجال، واركبوا البنات الْعُطَف معهم على الإبل (عادة العرب ذاك الوقت إذا اشْتَد الأمر) لأجل تتوقد فيهم الحماسة ويقوى عزمهم، وكانت البنت فيهن فوق جمل، ثم كروا على القوم، فلم ينجحوا، حتى العطف أخذها القوم في المرة الثانية، فرجعوا خائبين. وهذا هو الذي يريده العنقري بحضوره معهم هذه المدة، وتأخره عنهم حالة الفزع، لأنه لو كان معهم لم يظهر له فعل بينهم.

وحين اعترفوا بعجزهم، ركب فرسه ودكّها في إثْرِ القوم، فلما وصلهم قال: جَنْبُوا عن البل فضحكوا منه، فصرمها عليهم وقتل منهم ما كان في وجهه وخرج قِبَلاً، ثم كر عليهم وقتل مثل ذلك فما زال فيهم حتى هربوا وتركوا الحلال (وهي الإبل وما يتبعها من الخيل والعطف) فرده على أهلها، والبنت تنظر فعله، فلما جاء لقيه أهلها يشجعونه

ويهنئونه بالنجاح، عادتهم للشجعان، فجلس، فلما استراح أخذ آلة الغنى وهي الربابة وجعل يتمثل، فقال:

أللّـــه أحــد يــا مــا غـــزينــا وجينــا

ويــامــا تَعَطَّفْنــا عصيــر مــراويــح

ويــامــا تقــاسمنــا الخــوا[1] فــي يــدينــا

ويــامــا تقــاسمنــا ذويــد المصــاليــح[2]

وراك تــزهــد يــا ريــش العيــن فينــا

وتقــول خيــال القــرى[3] زيــن تصفيــح

الطيــب مــا هــو بــس للظــاعنينــا

قســم وهــو بيــن الأوجيــه المفــاليــح

البــدو واللــي بــالقــرى[4] نــازليــن

كــل عطــاه الله مــن هَبِّــةَ الــريــح

والصــدق عنــدكِ كــان مــا تجحــدينــا

تعنّــزي بــالصــدق يــا زينــة الــريــح

هيــا عطينــا الصــدق هيــا عطينــا

وإن مــا عطيتينيــه والله لصيــح

---

(١) الخوا هنا: هو الطعام يقتسمونه بأيديهم من قلته، وتارة يقتسمون اذواد الإبل.

(٢) ذويد: تصغير ذود، وهي رعية الإبل، والمصاليح جمع مصلاح وهم الذين يحسنون رعي الإبل والغنم وإصلاحها وحفظها: ولكن لشجاعتنا تغلبنا عليهم وأخذناها وتقاسمناها، وذلك لأنهم زمن فوضى ناهب ومنهوب.

(٣) بتصغير حرف القاف على لغة العامة.

(٤) نفس المصدر السابق.

أصيـــح صيحـــة مـــن غـــدا لـــه جنينـــا
والا خلـــوج عقـــولهـــا الســـراريـــح
يـــوم الفضـــول بِحِلِّتِـــكِ شـــارعينـــا[1]
والخيـل بـاخـوانـكِ اسـواة الـزنـانيـح
يـــوم انكســـر رمحـــي أخـــذت السنينـــا
وادْعَيْــت عنــكِ الخيــل صُــمٌّ مــدابيــح
يـــابـــو نهـــود كنهـــا طلـــع تينـــا
لا مشمـــش البصـــرة ولا هـــن تفـــافيـــح
صخـــف بلطـــف بـــانخضـــاع بلينـــا
صـــارن لقلـــب المـــولـــع ذوابيـــح
يـــا عـــود مـــوز نـــاعـــم وســـط غِينـــا[2]
يـــا عـــود مـــوز ميلـــه نـــاســـم الـــريـــح

فقالت البنت: أنا الآن اريده، فقال: لكن أنا لا أريدها، فركب فرسه ورجع لأهله، فطاحت البنت مريضة عليه، (قيل إنهم طلبوا منه أن يتزوجها لئلا تهلك في أثره)، لأن العشق يقتل فيما سبق إذا لم يحصل العاشق على معشوقه، ولم نسمع أن أحدًا مات في هذه الأزمان بسبب العشق إلاَّ بنتًا هنا قد ماتت حين لم يحصل لها معشوقها. (انتهى).

* * *

(١) الفضول: قبيلة من العرب في نجد ذات كيان ولكن بقاياهم تحضروا في هذه الأزمان.

(٢) ألغِين هنا: هي النخل الطيب الناعم، وعود الموز هو شجرة الموز، حيث كانت أحسن الشجر وأقربها شبهًا بها.

ومن نتائج العشق: بواعث الشجاعة

فمن ذلك شجاعة عنترة وفروسيته، حيث عشق (عبلة ابنة عمه) ونافسه عليها ابن عمها الثاني، كما قال عنترة في ذلك أشعارًا كثيرة منها قوله:

سَلِي يا بنت الأعمام عني وقد أتت ... قبائل كَلْبٍ مع غُنَيٍّ وعامر
تموج كموج البحر تحت غمامة ... قد انتسجت من وقع ضرب الحوافر
فولوا سراعًا والقنا في ظهورهم ... تشك الكلى بين الحشا والخواصر

وقال أيضًا:

سلي يا عَبْلُ قومك عن فعالي ... ومن حضر الوقيعة والطرادا
وَرَدْتُ والأبطال حولي ... تهز أكفُّها السمرَ الصعادا
وخضت بمهجتي بحر المنايا ... ونار الحرب تتقد اتقادا

وعبل هي: عبلة. وقال أيضًا:

وقالت عُبَيْلة لما رأتني ... ومفرق لمتي مثل الشعاع
ألا لله درك من شجاع ... تذل لهوله أسد البقاع
فقلت لها سلي الأبطال عني ... إذا ما فر مرتاع القراع

إلى آخر قصائده وأفعاله من أجل حبها. (انتهى).

* * *

الله كريم ما وَمَرْ بالتّهالِيك

قيل: هناك شاب عشق بنتًا من جماعته، فخطبوها له فطلب أهلها ناقة صداقًا لها، وفي ذاك الوقت كان الزواج سهل والصداق سهل لا يبلغ قيمة الناقة، وأبوه شَحَّ بالناقة، والابن صار عشقه غرام، وأراد أبوه صرفه عنها، وعمل حيلة لذلك فأركبه معه على الناقة وتجشم البر المسمى (الصمان) ليس فيه ماء، وكان وقت حر، فجعل الأب يتوهج ويتخوف من الظمأ والهلاك، إلاَّ أنه يرجو أنَّ الناقة سوف تنقذهم وتوصلهم الماء ليعرف الابن قدرها وفضلها، فيشح بها ويترك البنت المعشوقة، فقال الأب:

إيلا صِرْت بالصمان والقيض حاديك حبـة حسيـن الـدل والا المطيـه؟

المطية: هي الناقة (الذلول)، فقال الابن:

الله كـريـم مـا وَمَـرْ بـالتهـاليـك ولا وَمَـرْ بِفْـرَاقِ صـاف الثنيـه
إيلا صرت بايام الرخا عند اهاليك حبـة حسيـن الـدل تسـوى المطيـه

فعرف أبوه أنه في غرام، فرجع به، فلما وصل أهله قال لابنه خذ الناقة المطية واذهب بها إلى أهل البنت سلمهم إياها، فزوجوه. (انتهى).

* * *

وصية امرأة ابنتها في الشجاعة
ويراد بـه الجميع

يا بنت لا تأخذين عَودٍ كِذْ إنحنى   يمـوت وعيـا لـه عَلَيْـكِ صغـار
ويا بنت لا تأخذين سحّاب رِدْنه[1]   يـزيـدكِ عنـد القـاعـدات حقـار
يا بنت لا تأخذين إلا غلام مجرب   إسـلاحـه نهـار الكـاينـات كسـار

تعني أنه مجرب بالشجاعة والرجولة، وقد ينكسر سلاحه من شدة الحرب والضرب، ومثل هذا الكلام من النساء هو أكثر ما يهيج الرجال على الشجاعة والإقدام. (انتهى).

* * *

(١) هو الشاب المائع.

ذكاء ابن سينا في الطب

كان ابن سينا من علماء الكلام المذموم[1]، ولكنه كان طبيبًا حاذقًا، أتاه رجل بابنه الشاب المريض، فقام في تشخيص مرضه، فلم يعرفه ثم قال: لا يمكن أن لا أعرف مرضه، وجعل الطبيب يفكر ويبحث، ثم ظن العشق فيه، فوضع الطبيب أصبعه على النبض وجعل يسأله عن قبيلته هل يعرف أفخاذها، وقال: عدهم لي، فجعل الشاب يعد، فلما أتى على ذِكْرِ أحَدِ أفخاذها زاد النبض، فقال الطبيب: هل تعرف عوائل هذا الفخذ؟ قال: نعم، فقال: عدها لي، فجعل يعدها، فلما أتى على أحد العوائل زاد النبض، فقال: هل تعرف بيوت هذه العائلة؟ قال: نعم، قال: عدهم لي، فلما أتى على ذكر أحد البيوت زاد النبض، فقال: هل تعرف أهل هذا البيت؟ قال: نعم، قال عدهم لي، فجعل يعدهم فلان وفلان وفلانة وفلانة، فلما أتى ذكر اسم فلانة البنت ضرب النبض ضربًا شديدًا، فقال الطبيب: قف فقد عرفنا مرضك، رغم جحودك، فلما جاء أبوه أخبره، وقال: إذا ما تزوجوه البنت فسوف يهلك، فقال أبوه: أنت أيها الطبيب ساعدنا على أهلها لعلهم يقدرون مقامك ويجيبون، فتوسط الطبيب بينهم فزوجوه فبرىء. «كتاب الأذكياء». (انتهى).

---

(١) وهم الفلاسفة المشائيين.

جيدين لمطوعكم بالغواني

كان الناس وقت الحروب إذا خافوا، أو أرادوا اجتماع الجماعة ضربوا بالطبل، يريدون يخيفون العيون من العدو. وهنا أهل قرية، قالوا للمطوع نريد نضرب بالدمام، وكان هو شاعرهم، فقال: اذهبوا سخنوا الطيران وأنا أصلي بالجماعة وألحقكم، وسبق أنهم قد ذبحوا تيس وأكلوه قبل هذا بيومين، ولم يطعموا المطوع، وظنوا أنه لم يعلم به، ولكنه قد علم به، فلما صلّى بالجماعة وجاءهم، قال: شيلوا، شيلوا، ثم قال:

جيـديـن لمطـوعكـم بـالغـوانـي   والا من قرض العظيم ما تطعمونه
ما قلتوا قِنْزَة من صرصور الاذان   تنفع المطوع ولا تضر اللي يأكلونه

فقالوا: العفو يا المطوع والله ما درينا إنك داري، ولكن أبشر بالعوض نخلفها عليك. لأنهم خافوا من لسانه أن يهجوهم. (انتهى).

* * *

قسمة حكيم عليم

كان علماء الجنس: يفضلون المرأة أن يكون أول نسلها بنت، وكانوا يفضلون أن يتزوج الرجل من غير أبناء عمه: ليتألف تكوين الولد من مائين مختلفي النسب: فقد يكون أقوى لِبُنْيَتِ جسمه وأذكى لعقله: وهذا معروف مشاهد على الأغلبية.

وهنا رجل كبر سنّه وقلت صحته وكان عند أحد أولاده، وقد سبق أن ماتت زوجته رحمها الله، وحيث كان ابنه مشغولاً بأعماله ولم يعتن بأبيه، فأصبح الشايب في حالة سيئة، وحين زارته ابنته سائتها حاله فبكت عنده حتى نزف دمعها، فلما رجعت لزوجها بكت عنده وأخبرته بحال أبيها وقالت: إني أرجو منك أن ترق لحالي وتساعدني فيها فإني لا يهنئني العيش ولا يسهج النوم عيني حتى أخدم أبـي أنا بنفسي، فإما أن آتي به عندي، أو تسمح لي أجلس عنده، أو تطلقني وأسامحك في جميع حقوقي، حتى أولادي لا أريدهم وأبوي هذه حاله، فقال زوجها اختاري أيَّ حالة تريدين إلاَّ الطلاق فلا أريده.

فذهبت وجلست عند أبيها في بيت أخيها تخدمه ليلاً ونهارًا حتى توفاه الله سبحانه، فقضت وطرها في بره، أكثر الله من أمثالها، ثم رجعت لزوجها وأولادها، والحمد لله رب العالمين.

وهنا رجل فقير مات وعليه دين، نحو عشرة آلاف ريال، فأتى صاحب الدين إلى ابنه فلم يجد عنده قضاء، فقيل له: لو ذهبت لبنت الميت لعلك تجد عندها جدوى، فذهب إليها بعد العصر، ودق عليها الباب، وأخبرها أنه يطلب أباها دينًا: عشرة آلاف ريال؟ فقالت: انتظر من فضلك قليلاً، وبعد قليل أتت وناولته علبة كبيرة فيها صوغها ذهبًا، وقالت هاك هذا الذهب بعه واستوفي حقك، وإذا ما كفى أخبرني، جزاك الله خيرًا، فأخذه وباعه على الصواغ، فلما وضعه الصائغ بالميزان قال: هذا به عجين يحتاج تنظيف، فقال الرجل خلاص ارجعه في علبته، فذهب به للشيخ صالح الخريصي فأخبره بالحال وأراه العجين: بأنها خلعته من يديها وهي تعمل العشاء، فقال الشيخ أرجعه عليها وارجع إلينا نعطيك حقك عنها، غفر الله لهم أجمعين.

قيل: كان أمير يقال له أبو ريمه، وكانت له زوجة، فولدت له بنتًا أو بنتين وكان هو قد أشفق أن تلد له ابنًا، ولما لم تلد ابنًا زهد فيها، فتزوج زوجة غيرها وأسكنها في بيت إلى جنب بيتها يأوي إليها وترك الأولى لا يقسم لها بنفسه، وذات يوم جاء إليها فقالت:

مـــا لأبـــي ريمـــة لا يـــأتينـــا ... ويلـــج البيـــت الـــذي يلينـــا
غضـــب أن لا نلـــد البنينـــا ... تـــالله مـــا هـــذا فـــي أيـــدينـــا
وإنمـــا نـــأخـــذ مـــا أعطينـــا ... ونطلـــب مـــن الله البنينـــا

فرضي عنها وصار يقسم لها. (انتهى).

* * *

صقر.. وبقر

كان رجلان أخوان في إحدى بلدان نجد، وكانا شراكة في المال والحال، وفي بيت واحد، وكان أحدهما يسافر مع رجال عُقيل للغربية لاكتساب المال، والآخر مقيم في البلد يزاول أعمال التجارة، وقد أولع في إصلاح مزرعة في محلة تسمى (بقر) وينفق عليها مبالغ من المال، وأخوه العقيلي لا يرغب إنفاق المال في هذه المزرعة، فيتأسف عليه فيقول: (نجيبه من صقر وتأكله بقر) يعني نأتي بالمال من صقر، (وصقر من أقصى بلدان الغربية).

وكان عاقلاً كريمًا، إذا أتى السوق يشتري شيئًا من الخضار أو اللحم فلا يلتفت للجادعة، إنما يقول: أعطنا هذا أَخِّرْ لنا كذا، ينتقى الطيب، ثم يذهب لدكانه، ويرسل أولاده إذا أتوا من المدرسة ضُحًا يحملون ما اشتراه، ثم يأتيه صاحب البضاعة حيث كانت البلد متقاربة، فيقول له كم تبغي منا؟ فيقول كذا وكذا، فيعطيه بدون توقف ولا مجادعة.

ذهب أولاده مرة إلى أحد القصابين (بائع اللحم) فاشتروا منه لحمًا يسمونه (إيدام) ثم أتى صاحبه إليه في دكانه وقال: إن اعيالكم قد أخذوا منا إيدام بسبعة ريالات يا عم، فقال نعم: تفضل هذه سبعة

ريالات، فلما كان بعد أسبوع أتى هذا القصاب إليه وقال: يا عم إن أولادكم قد أخذوا منا إيدامًا ذيك الأيام بسبعة ريالات! فقال الرجل: إني قد أعطيتك ذاك اليوم، فقال ذاك: لا يا عم ما أتيتك ولا أعطيتني شيئًا، فقال خذ هذه سبعة ريالات، فلما كان بعد أسبوع أيضًا: أتى إليه وقال: يا عم إن أولادكم قد أخذوا منا لحمًا ذيك الأيام بسبعة ريالات، فقال المعزب: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، إني قد أعطيتك مرتين، فهل أخذوا منك غير ذيك المرة؟ فقال لا ولكني لم أخذ منك شيئًا أبدًا، فقال: اجلس فاستدعا الرجل جيرانه بالدكان فأعطاه سبعة ريالات بحضرتهم وقال اكتبوا عليه سند شرعي أني سددته حقه فلا يطلبني شيئًا. (انتهى).

* * *

المربعانية

كان الناس يبنون حسابهم على أنَّ مربعانية الشتاء تدخل يوم تاسع من نوء (الزبانا)، فينتهي نصفها الأول بانتهاء (برج القوس)، الذي هو نهاية طول الليل وقصر النهار، ثم يبدأ نصفها الثاني بدخول (برج الجدي): بداية الإنصراف الشمسي: بداية أخذ النهار من الليل، فهذا هو المعروف المتداول عند الفلاحين وغيرهم.

* * *

النجوم: الأنواء.. والجدي.. والجهات

لسنا نريد إثبات تقويم وإنما تعريف نجوم الأنواء للعامة، بوضع رسمها هنا، ونظامها حسب تقويم أم القرى. حيث تُرك الآن معرفتها والعمل بها فخفيت الجادة، إذ يتعلق بمعرفتها بعض الأحوال.

فهي من جملة نجوم السماء التي قال عنها قتادة رحمه الله فيما رواه البخاري عنه قال: (خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يهتدي بها) الحديث.

فالله سبحانه خلق الأوقات، وجعل لكل وقت حالة تخصه، ثم صار طلوع هذا النجم في هذا الوقت دليلاً على حضور هذه الحالة في هذا الوقت، وسموا هذا النجم باسم يعرف به، وجعلوها ثمانية وعشرين نجمًا، وكل نجم يطلع زمن حالة مخصوصة من السنَّة، وجعلوا منها أربعة عشر نجمًا شاميةً، وهي التي مطلعها يميل إلى وسط السماء الشمال، هي نجوم القيظ.

وأربعة عشر نجمًا منها يمانيةً، وهي التي مطلعها يميل إلى الجنوب اليمن، فهي نجوم الشتاء، بالنسبة لجزيرة العرب، وكل نجم شامي يقابله نجم يماني هو رقيبة، فإذا طلع الشامي غاب اليماني، وإذا طلع اليماني غاب الشامي وهكذا، وقد نظمها بعضهم فقال:

كم أقالوا من ناطح باغتفار وأحالوا على البطين الزبانا
والثريا قد تكللت فارتنا كوكب القلب يرقب الدبرانا
هقعوا شولة هنعوا أنعاما كما ذرعوا البلاد زمانا
ذبحوا نثرهم بلعوا طرفهم وكم قد جبهوا سعدانا

. . إلى آخرها.

والنجوم الأنواء أَهِلَّةٍ، فإذا طلع النجم قبل طلوع الشمس فقد دخل وقته ولو كان لا يرى إلاَّ بعد ذلك بأيام، فالنجوم الشامية أولها النطح: هي هكذا:

١ ـ **[نوء النطح]:** * * * ويقال الشرطان: هما نجمان واضحان:

وقته بعد الربيع قبل القيظ، ويسمى توبيع الصيف: يقول فيه الخلاوي راشد:

التوبيع بَرّاق وراعي مخايل أولا ذكر بالتوبيع وادٍ سال

في ١٣ مايو الشهر الخامس الميلادي ٢٢ برج الثور: ظل الزوال قدم، وطلوع الشرطان خفقة الثريا: أي غيوبها المغرب هو الخفقة، ويقال: الْكَنَّهْ: ويقال: الخثرة: فكأنه خثر الهوى: أي ثقل، وفيه تستنكر الأبدان وعكة الحر بعد البراد، ويظهر البعوض ونحوه، ولا يصلح في الكنّه رمي شيء من البذور أو الشجر والنخل، ولكن طلوع الثريا صالح للبذور والنخل.

٢ ـ **[نوء البطين]:** * * * صغير مثلث خلف النطح تابع

الكنه، يطلع في ٢٦ مايو الشهر الخامس الميلادي ٤ برج الجوزاء، ظل الزوال أقل من قدم، يبدأ تركيب النخل.

٣ ـ **[نوء الثريا]:**  شبه خف، أو عنقود خلف البطين، وتسمى النجم الكبير: فإذا طلعت الثريا لطف الهوى، وتحركت الريح، وارتفعت عاهات المزروعات بإذن الله تعالى، وفيه تركيب ثمر النخل، ويحسن في هذا الوقت زراعة القرع الدُّبَّا والعسلي لأجل يكون نضاجه قبالة البراد والشتاء حتى لا يفسد محصولَه الحر، يطلع ٧ يونيو الشهر السادس الميلادي ١٧ برج الجوزاء تترك الحوار وتستعمل المبردات من أكل ولباس، ينعدم ظل الزوال، صالح للبذور.

٤ ـ **[نوء الدَّبَران]:**  توبيع الثريا نير أحمر: في ثالث يوم منه تنصرف الشمس من الشمال للجنوب، فيبدأ الليل يطول والنهار يقصر، يطلع في ٢١ يونيو الشهر السادس الميلادي ٣٠ برج الجوزاء، يشرب الماء البارد على الريق، ظل الزوال منعدم.

٥ ـ **[نوء الهقعة]:**  (الجوزاء الأولى): ثلاثة أنجم أحمر شبه أثافي، والأثافي هي حجارة واحدتها أكبر من اليدين إذا جمعتها، تنصب مثلثة يوضع فوقها القدر للطبخ في البر، يُدْخَل الحطب بين الأثافي، وتسميها العامة: (المناصب) وهي تسمية صحيحة، ثم تضرم النار بالحطب تحت القدر، تطلع في ٤ يوليو الشهر السابع الميلادي ١١ برج السرطان، وفي هذا الوقت تطلق فحول الغنم عليها لإلقاحهافي هذا الو قت لأجل تلد في أول الشتاء أوائل الربيع، وقد كانوا يصرون الفحل قبل هذا الوقت ويشمِّلونه عن الضراب والإقراع:

حتى لا تلد في وقت غير مناسب، لأن مدة حمل الغنم خمسة شهور، وفي هذا الحين يقطع ورق الإرطا (العبل) للدباغ به وصبغ ثياب النساء، حيث يشتد ويَحْمَرّ، أما قبل هذا الوقت فإنه غض غير صالح للدبغ.

٦ ـ **[نوء الهنعة]:** (الجوزاء الثانية)، النضيم: مضيء واضح، وحوله نجوم تسمى زبائن الجوزاء، الأمامي منها نَيِّر وهّاج، يبدأ اللون في النخل، كما في المثل (إذا طلعت الجوزاء فاملىء الحوزا) والحوزا هي المخبات، يملئها من البسر (اللون) تطلع في ١٧ يوليه الشهر السابع الميلادي ٢٤ برج السرطان، ظل الزوال نصف قدم.

٧ ـ **[نوء الذراع (المرزم)]:** مضيء وهّاج جدًا يكثر اللون بالنخل، كما في المثل: (وإذا طلع المرزم فاملىء المحزم)، (كانوا إذا أراد أحدهم أن يأخذ من بسر النخلة، احتزم على ثوبه وأرخى ما تحت الجيب وهو المِخْثَل: فجعل يجني من البسر ويدخله في محثله فوق المحزم)، يطلع في ٢٩ يوليه الشهر السابع الميلادي ٦ برج الأسد ظل الزوال قدم.

٨ ـ **[نوء النثرة: (الكلبيين)]:** خلف المرزم، هو لطخة بيضاء فيها نجوم صغار مزدوجة مثل الحشو المقرنة: والحشو هي أولاد الإبل في ١٢ اغسطس الشهر الثامن الميلادي ١٩ برج الأسد، فيه ينشف الماء في الآبار، يقول راجز العرب:

مـــا بيـــن سهيـــل والمـــرزم نجـــم يـــرشـــف غـــزيـــر الجـــم

والجم والجميم: هو تواجد الماء في قاعة البئر: تبدء عينت

الرطب في النخل، ظل الزوال قدم ونصف، فطلوع النثرة، غيوب النسرين بعد الفجر، كما يقول راجزهم:

إذا غابن النسرين بالفجر علقوا مطاحينهم من فوق عوج الرطايب

٩ ــ [نوء الطرفه]: * * على أثر النثرة: ويعرف عند العامة بسهيل: وسهيل اليماني مضيء جدًا هكذا *، وليس هو من المنازل ولكنه يطلع بطلوع الطرف ويعرف به، وعليه الحساب عند عامة الفلاحين وغيرهم، وهو عندهم سُتُوت: يعني أنه يطلع يوم سات (سادس) من الشهر الهلالي، ثم في ستة عشر في العام الثاني، ثم في ستة وعشرين في العام الذي بعده، وهكذا: يطلع في ٢٥ اغسطس الشهر الثامن الميلادي ٢ برج السنبلة ظل الزوال قدمان، وفيه يفيخ الحر ويبرد الليل، يكثر الرطب في النخل، والطيور البرية، وفي المثل: «إذا طلع سهيل لا تأمن السيل ــ إذا طلع سهيل برد الليل».

١٠ ــ [نوء الجبهة]: * * * خلف الطرف، أربعة نجوم معترضة معوجة متوسطة الوضوح: ٨ سبتمبر الشهر التاسع الميلادي ١٤ برج السنبلة، ينهى فيها عن النوم تحت أديم السماء إلاَّ بلحاف أو تحت مظلَّة، ظل الزوال ثلاثة أقدام.

١١ ــ [نوء الزبرة]: * * نجمان على أثر الجبهة، تطلع في ٢٠ سبتمبر الشهر التاسع الميلادي ٢٧ برج السنبلة، يبرد الليل مع سموم بالنهار، ظل الزوال أربعة أقدام، وفي هذا الحين يستعد النخل بالثمر للسنة المقبلة، ولهذا ينتهي عمل الفلاح الأول ويبتدىء عمل

الفلاح الثاني بسقي النخل، لتستمر جهود الجمارة بحمل الثمر الموجود والاعتداد للمقبل، وهذا شيء معروف عند الفلاحين.

١٢ ـ **[نوء الصرفة]:** * نجم واضح على أثر الزبرة، تطلع في ٤ أكتوبر الشهر العاشر الميلادي ٩ برج الميزان، يكثر صرام النخل، ظل الزوال خمسة أقدام.

١٣ ـ **[نوء العوى]:** ⁎⁎⁎⁎⁎ خمسة كواكب غير نيرة، خلف الصرفة، في ١٧ اكتوبر الميلادي ٢٢ الميزان، دخول الوسم، ابتداء نشيء المزن من المغرب.

١٤ ـ **[نوء السماك]:** * هو السماك الأعزل، نجم واضح، ويطلع بحذائه من الشمال نجم أحمر يقال له السماك الرامح، هكذا ⁑ ويقال له الرقيب، لأنه يغيب والثريا تطلع في ٣٠ اكتوبر الشهر العاشر الميلادي ٥ برج العقرب، ظل الزوال ستة أقدام، وهو آخر النجوم الشامية. ثم تبتدىء النجوم اليمانية: أولها الغِفر هكذا:

١ ـ **[نوء الغِفِر]:** * * * خلف السماك، ثلاثة أنجم خفية، أوائل البرد، يستحب فيه اتقاء البرد ابتداء حتى يعتاده الجسم ثم لا يبالي فيه، يطلع في ١٢ نوفمبر الشهر الحادي عشر الميلادي ١٨ برج العقرب.

٢ ـ **[نوء الزّبانا]:** * * هما نجمان واضحان خلف الغفر، يطلع في ٢٥ نوفمبر الميلادي ١ برج القوس، (في آخره يطلع النسر الأول (الواقع) هو نجم مضيء نَيِّر وهو ليس من المنازل، يطلع في شمالي الشرق، وشكله هكذا ×*× له جناحان مكتوفان خلفه، وسيره

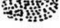
بطيء لأنه يتوسط السماء، فطلوعه دخول المربعانية، ثم طلوع النسر الثاني الذي يطلع بعده بمسافة، ويحاذيه في وسط السماء، ويغاب قبله، لأنه يطلع في جنوبـي الشرق وشكله هكذا × ✱ × نير واضح شبه الطائر، وليس هو من المنازل أيضًا، فطلوع هذا الثاني انتهاء مربعانية الشتاء).

٣ ـ [نوء الاكليل]: ✱ ✱ ✱ هو ثلاثة أنجم متقاربة أمام القلب قريبًا منه، نيرة كأنها رأس عقرب، والقلب وسطها، والشولة ذنبها، فمجموعها شبه عقرب في مرأى العين، أول فصل الشتاء، يطلع في ٨ ديسمبر الشهر الثاني عشر الميلادي ١٤ برج القوس يلبس كل شيء دافيء، ويؤكل كل حار بطبعه، ظل الزوال سبعة أقدام ونصف.

٤ ـ **[نوء القلب]:** × ✱ × كوكب نير أحمر بين كوكبين، خلف الإكليل إلى الجنوب، في ٢١ ديسمبر الشهر الثاني عشر الميلادي ٢٧ برج القوس، غاية طول الليل وقصر النهار، وفي رابع القلب أول برج الجدي تنصرف الشمس من الجنوب للشمال فيبدأ الليل يقصر والنهار يطول، ظل الزوال ثمانية أقدام، غاية لقطع الأثل، حتى لا يفسد خَشَبَه القادح.

٥ ـ **[نوء الشولة]:**  نجوم شبه ذنب عقرب، نيرة خلف القلب إلى الجنوب أيضًا في ٢ يناير الشهر الأول الميلادي ١٢ برج الجدي، ظل الزوال سبعة أقدام ونصف.

٦ ـ **[نوء النعايم]:** × × × ✱ / × ✱ × × ثمانية نجوم في المجرة، على أثر الشولة، في ١٤ يناير الشهر الأول الميلادي ٢٤ برج الجدي، يشتد البرد.

٧ ــ **[نوء البلدة]:**  في المجرة على أثر النعايم، رقعة بيضاء ليس بها نجوم، وفوقها سلسلة نجوم صغار شبه قلادة أو قوس، فثلاثة أيام من آخرها هي أول الست الصالحة للبذور، ظل الزوال ستة أقدام ونصف، وفيها البرد شديد، تطلع في **٢٩** يناير **٨** برج الدلو.

٨ ــ **[نوء سعد الذابح]:** * * نجمان متقاربان خلف البلدة، أوله بقية الست، **١١** فبراير الشهر الثاني الميلادي **٢١** برج الدلو، أوائل الربيع.

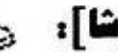
٩ ــ **[نوء سعد بلع]:** × * نجم واضح وآخر صغير، في **٢٤** فبراير الشهر الثاني الميلادي **٤** برج الحوت، تتزاوج الطيور وتفرخ، يفيخ البرد.

١٠ ــ **[نوء سعد السعود]:** * * نجمان واضحان خلف سابقه، يطلع في **٩** مارس الشهر الثالث الميلادي، **١٧** برج الحوت، أول فصل الربيع، يكره فيه القعود بالشمس، ولا يكره مباشرة البرد حيث قد اعتادته الأجسام، ظل الزوال أربعة أقدام ونصف.

١١ ــ **[نوء سعد الإخبية]:** × × × × يشبهونه برجل بطة، (هو الحميم الأول)، يتساوى الليل والنهار، وهو الاعتدال في الحر والبرد، ثم يأخذ النهار في الزيادة، فصل الربيع، تصلح فيه وبعده الحجامة لمن به زيادة دم، وشرب المسهل، صالح لزراعة اللوبيا والباميا والباذنجان وسائر الخضروات، **٢٢** مارس، (برج الحَمَل، ظل الزوال ثلاثة أقدام ونصف، يؤكل فيه كل شيء بارد في طبعه.

١٢ ـ **[الحميم الثاني]:** نوء المقدم * * نجمان واضحان خلف سابقه، صالح للبذور والقرع (النجد) (اليقطين) ونوعها ممتدة ولها رقبة غير طويلة تؤكل غضة (طبخا) قبل أن يَصْلُبْ قشرها، يطلع في ٤ إبريل الشهر الرابع الميلادي، ١٤ برج الحمل.

١٣ ـ **[الذّرعان...]:** نوء المؤخر * * (هو الذراع الأول)، نجمان خلف المقدم، وهو الغمر الأول لأنهم يغمرون فيه قصب الشعير، بعد الحصاد، والغمر الثاني: غمر القمح بعد الشعير، فيه تعرض الخيل على الحِصِن، وفطام الطفل المفطم حتى لا ينفجع على الثدي، في ١٧ إبريل، ٢٧ برج الحمل، ظل الزوال قدمان إلاَّ ثلث، صالح للبذور واليقطين (النجد).

١٤ ـ **[نوء الرشا]:** ويقال بطن الحوت، (هو الذراع الثاني) نجم نير خلف المؤخر: وحوله نجوم صغار شبه سمكة، هو آخر النجوم اليمانية، صالح للبذور وغرس النخل إلاَّ البرسيم فإنه لا يصلح بذره قبالة الحر، وتصلح فيه الحجامة والفصد وشرب المسهل، ظل الزوال قدم، يطلع في ٣٠ إبريل الشهر الرابع الميلادي، ٩ برج الثور، (انتهت النجوم الأنواء).

تـنـبـيه:

إنما أثبتنا هنا رسم النجوم (الأنواء) لمعرفتنا إياها في السماء: وكما هي كذلك في تقويم ابن سحمان رحمه الله، رجاء أن تعرفها إذا رأيت رسمها.

عــــلاوة:

الجدي: هو نجم واضح هكذا * في الصوب الشمالي يميل إلى الشرق قليلاً، وهو إلى الأرض أقرب منه إلى وسط السماء بنحو ثلث الأفق، وليس حوله نجوم واضحة، وأقرب ما يليه بنات نعش والحاجزين، وهو ثابت إنما يدور قليلاً حول القطب: والقطب قريب من الجدي يشبه السمكة غير ناصع فلا يرى إلاَّ في الليالي التي ليس فيها قماري، بينهما قدر ذراع أو أقل مما يلي بنات نعش الصغرى، فالقطب يدور في مكانه، والجدي يدور عليه (حوله) فالركبان والمشاة بالطرق البرية في الليل إنما يسيرون على الجدي، يعرفون به جهة قصدهم أين توجهوا، فتارة يجعلونه أمامهم، وتارة خلف ظهورهم، أو خلف المنكب الأيمن، أو المنكب الأيس، أو على حاجب العين الأيمن، أو الأيسر، أو على رأس المنكب، وهكذا، أما غيره من النجوم فيعرفونها كذلك، ويعرفون أسمائها، وجهاتها، فيستدلون بها على معرفة الجهاة والطرق، ويعرفون أنها تطلع من المشرق وتغرب في المغرب، ويقدرون سيرها: فأولاً من جهة المشرق، ثم إلى وسط السماء، ثم إلى المغرب، وكذلك الشمس والقمر، فهذه أعلام الطرق البرية بالليل.

ثم بنات نعش يَدُرْنَ على الجدي والقطب، وهن سبع نجوم نيرة واضحة، منتضمة هكذا × × × × × × × فالأخيرة منها يسمونها العرجا، وبنات نعش قسمان: كبرى، وصغرى: فالكبرى هذه لهن مع الجدي قضية، يقال: إن الجدي قتل أباهن، فحملنه بالنعش على أكتافهن وقمن

يدرن على الجدي يُرِدْنَ الهجوم عليه وقتله يأخذن الثأر بأبيهن: ولكن قام الفرقدان، الحاجزان وهما نجمان بين الجدي وبنات نعش هكذا * * يدوران معهن حول الجدي يذودانهن عن الجدي، هكذا طول الزمن، كما يقول راجزهم البحري:

(أنا أحمد اللي حَطْ حاجزين بيـــــن النعـــــش واليـــــاه)

والياه عندهم هو الجدي» فصفة بنات نعش، ودورانهن حول الجدي، وقيام الفرقدين هكذا: يشبه قضية، واقعية، فسبحان مكون الكائنات بقدرته وحكمته.

ثم إذا كانت بنات نعش الكبرى بحذاء الجدي غربًا، وبنات نعش الصغرى بحذاء الجدي شرقًا، فالنسر الكبير الأول (الواقع) قد توسط السماء فوق الرأس، والنسر الثاني (الطائر) قد لحقه وحاذاه جهة الجنوب.

تنبيـه ثـالث:

حكم التوقيت: يحكم به حسب مراقبة الشمس حالة الغروب والشروق كل وقت حتى تستقر معلوميته لدى المؤقت، «وكل بلد له رؤيته»، لهذا فإن الشروق في بلدة بريدة يختلف تأخرًا عما أثبت بالتقاويم الحالية: فإذا راقبت الشمس في بريدة يوم الانتهاء الشِّتْوِي الذي هو آخر يوم من برج القوس، وأول يوم من برج الجدي، بالساعة إثنا عشر غروبًا: فإنها سوف لا تشرق إلاَّ الساعة واحدة وستٍ وثلاثين دقيقة، وتشرق يوم الانتهاء الصيفي الذي هو آخر يوم من برج الجوزاء

وأول يوم من برج السرطان، على الساعة عشر وأربع وعشرين دقيقة: فنحن نشاهد الشمس كل سنة على هذا المقدار.

وكل يعرف أن مدة الوقت بين طلوع الصبح وطلوع الشمس: ساعة ونصف فقط. وصفرة المغرب تبع الليل، وصفرة الصبح تبع النهار، كما هو في حكم الصوم.

وكل يومٍ ليلته قبله، إلاَّ الوقوف بعرفة فليلته بعده.

وكانوا يقيسون الظل بأقدامهم في سائر الأوقات، يعرفون به ساعات النهار، ووقت الظهر والعصر.

أما كيفية قياس الظل بالقدم: هو أن يقف الإنسان وجهه إلى الظل ويجعل ظل رأسه الذي هو نهاية ظله: آخرَه على عَلَمٍ: أي علامة على حد الظل، ليقيس إليه، ومبدء الظل من مُقدم قدمه الموقوف عليها، فيرفع قدمه اليمنى ويضعها أمام قدمه اليسرى ملامسًا عقبه الأيمن برأس إبهام أصابع قدمه اليسرى: فهذه القدم الأخيرة هي القدم الأولى للقياس، ثم يرفع القدم اليسرى ويضعها أمام اليمنى، ملامسًا عقبها برأس إبهام اليمنى، فهذه هي القدم الثانية للقياس، وهكذا: يرفع هذه ويضعها أمام الأخرى حتى يصل الْعَلَمَ المشخَّص لرأس الظل حالة البدء، فهذه صفة قياس الظل بالقدم: حيث أنها لم تظهر صناعة الساعات الزمنية إذاك.

والظل قبل الزوال ينقص، فيقرب إلى الشاخص، وحالة الزوال يقف نقصه، فإذا مال إلى الشرق أخذ يطول فهو الزوال.

ثم قياس الظل لكون ظل الشيء مثله أو مثليه، يُبْدَء بقياسه من موضع رأس الظل حالة الزوال لا مِنْ الشاخص المقاس ظِلُّه.

تنبيه رابع:

اختلاف الساعة الزمنية المؤقتة على الغروب: إنما هو بسبب اختلاف النهار طولاً وقِصَرًا، فإذا أخذ النهار يطول فالساعة تقدم، لأن الشمس تأخر غروبها اليوم عن وقت غروبها أمس بنحو دقيقة أو أكثر أو أقل، وهكذا كل يوم، وإذا أخذ النهار يقصر فالساعة تؤخر، لأن الشمس تقدم غروبها اليوم عن غروبها أمس، وكلما قربت الشمس من نقطة الانتهاء، قَلَّ اختلاف الساعة، كما تجد ذلك في أرقام التقويم الحالي.

تنبيه خامس:

قد كان جو السماء صافيًا في الأزمان الماضية حتى عند الشروق والغروب، فتُرى النجوم وهلال القمر غالبًا بدون تكلّف، وبعضهم يرى الهلال وبعض النجوم وسط النهار حول الشمس: قد تواتر ذلك عنهم، أما هذه الأوقات فقد ظهر القتر والإحمرار على الجو والآفاق غالبًا، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيد الناس). فإذا أردت الآن أن تبصر النجوم لتعرفها، والفجر متى؟ فاذهب للبر بعيدًا عن الأنوار، في ليلة ظلمًا ليست مقمرة.

تنبيه سادس:

قد يخفى على بعض الناس أن الجهات الأفقية ثمان: أربع رئيسية، وأربع مزدوجة.

أما الرئيسية: فهي الشرق والغرب والشمال والجنوب.

فالشرق: هي الجهة التي تشرق منها الشمس والقمر والنجوم، والغرب: هي الجهة التي تغرب فيهاهذه الطوالع، والشمال: هي جهة الشام بالنسبة لنجد، ويقابلها الجنوب، وهو الجهة التي تجاه شرقي اليمن بالنسبة لنجد، فهذه الجهات الأربع الرئيسية.

أما الجهات المزدوجة: فهي ما بين الشرق والشمال: ويقال لها مطلع النسر، أو مهب النسر، والغربي: هي ما بين الشمال والغرب، والهيف: هو ما بين الغرب والجنوب، ومطلع الشمس: هو ما بين الجنوب والشرق، وكل جهة لها حالة في هبوب الريح بقدرة الله.

فالجنوب والشرق والنسر: إذا هبت الريح منها فقد ينشىء السحاب بإذن الله ويسقيه ويلقحه للمطر، والريح الشرقية هي الصبا، أما الريح الشمال فهي تمزق السحاب وتزيله كما يسمونها (الممحضة)، أما الغربي فهي مع السحاب خطيرة من البَرَد والعواصف، لأنها الدبور، أما الغرب فهي صالحة مع السحاب، وأما الهيف فهي ناشفة، وتنشف العشب والزرع، وتُهَيِّف: أي تضمر ثمرة الزرع القمح عند نضوجه، إذا لم يتوفر له الماء (السقي) حتى جسم الإنسان يحتاج يشرب الماء إذا كانت الريح هيفًا، أما الريح من جهة مطلع الشمس: فهي لا ضرر ولا نفع، لكن هذه الأحوال على الأغلبية والله على كل شيء قدير، وهو المبدىء المعيد.

وفي اليوم الحادي والعشرين من برج الجدي: يدخل نوء الشبط، فتظهر علامته غالبًا، بإذن الله: بأن تهب ريح تعصف، وقد تدور في

الأفق بأن تهب من جهة الهيف أو الشمال مثلاً: ثم المغرب، ثم الشمال، ثم الشرق، وقد تكون باردة ويظهر قتر وحمرة في الجو كما قال الشاعر:

إيْـلاَ هَـبْ اشْبَـاط وحْمَـرَّ السمـاء   عنـد اهلنـا كننـا بـايّـام الحميـم

وذلك أنهم كانوا يتغربون ويزاولون الأعمال: فيعانون شدة من البرد، فإذا كانوا عند أهلهم فرحوا حيث يمكنهم يتقونه، وفي المثل: (اشبـاط مقَـرْقِـع البيبـان). وذات ليلـة واشبـاط يعصـف (تفـرق بصفـة جماعة: يريد يحوس الناس بالبرد وقلة الحطب ويطفىء نارهم): ثم اجتمع يتحدث بأفعاله: (ماذا فعلتم الليلة؟) قال أحدهم: أنا وجدت ناسًا وَقُودُهم لِيْف، وعشاهم دِوِيف، فما زلت أحوسهم حتى أطفئت نارهم، (والدويف: هوالعصيد طعام الفقراء حيث يعوزهم الحطب، وقد لا يكون لهم بيت كافٍ يُكِنُّهم عن الهوى والبرد.

وقال الآخر: أما أنا: فقد وجدت ناسًا، عشاهم تمر، ووقودهم سمر، فلم يكن لي عليهم أمر، إلاّ أنّي أَطَرْتُ عليهم الجمر. (انتهى).

* * *

عناية حجيلان برعينه

لما تأمر حْجِيلان بن حمد في بريدة، صار به عناية جيدة لأهل بلده، لهذا أحبه أهل القصيم وساعدوه وحموه من أضداده، فطالت مدة إمارته فيهم، قيل نحو خمس وأربعين سنة، فكان يجلس معهم يتفقد أحوالهم ويرعى مصالحهم، فبسبب ذلك تقدمت البلد بالعمران وكثرت الحركة والمصالح، وصار الناس الآخرون يأتون إليها لذلك، لكن: حجيلان صار يراعي مصالح البلد، كما يُعرف بذلك (أهل المُوْصِل في تعصبهم بمصالحهم لبعضهم)، فلا يتسنى للغريب أن يعيش معهم. (قيل جاء رجل من أهل بغداد سقّاءً، إلى الموصل فاشترى له حمارًا وقربة، فذهب في اليوم الأول وحمل ماءً من النهر وجعل يدور في البلد ليبيعه فلم يتعامل معه أحد منهم لعلمهم أنه ليس من أهل بلدهم، ثم حمل ماءً في اليوم الثاني فلم يتعامل معه أحد، فجاع هو وجاع الحمار، وفي اليوم الثالث ذهب بالحمار إلى السوق وقال: يا أهل الموصل: معروف أن عدم تعاملكم معي لأني لست موصلي ولكن الحمار موصلي وإذا لم ترحموني فارحموا الحمار. (ذكره في المستطرف).

فهكذا حجيلان لمصالح بلده، (فإذا رأى الرجل أكثر من مرة وهو ليس من أهل البلد ناداه وسلم عليه وسئله ما عمله هنا؟ فإن قال: إني قد

استوطنت هنا بأهلي، قال له: الله يحييك ونحن مستعدون إذا بدا لك لازم.

أما إذا قال الرجل: إني قد أتيت هنا أشتغل (أعمل) في طلب المصالح، قال له: (والله يا أخي: مصالحنا ما تكفي أهل بلدنا، ولكن أنت تطلب المصالح في غير هذا البلد وسوف يرزقك الله سبحانه).

وكان إذا علم أن أحدًا توقفت عنه أسباب المعيشة: استدعاه وسأله عن أحواله وأشار عليه ببعض الأعمال، وساعده بما يناسب حاله بجاهه أو نحوه، إلى غير ذلك من عناياته فرحمه الله وغفر له.

وكانت إمارته تحت ولاية آل سعود، وكان عَيْبَة نصح لهم وموضع ثقتهم، لهذا كانوا يسمونه (حجيلا صبي التوحيد) والصبي هنا هو الشاب القوي الشجيع، رحمهم الله أجمعين.

وكانت لحجيلان قصة قبل إمارته، حيث كان هو من أسرة آل أبو عليان، هم أمراء بريدة ذاك الوقت، فانقسموا أسرتان: (هم آل حسن، وآل دريبي) وحصل بينهم تنافس على الإمارة وتقاطع حتى صار بعضهم يقتل بعضًا لذلك. وحجيلان من أسرة آل حسن، وحين مات أبوه أو قتل وهو جذعًا، ذهب إلى أخواله الوائل في بلدة الطرفيه شرقي بريدة، يعمل بالمزرعة ليعيش عندهم كالعادة حتى يكبر.

وذات يوم يعمل هو ورجل يقال له السواجي، خلف النساء التي يحصدن الزرع (القمح)، يجمعون الحصيد ويكدسونه، ومن العادة أن الإنسان يأخذ سُنْبُلَة من الزرع ويفركها بين كفيه وينفخ قشورها ثم يلهم الحب ويقظمه يأكله، ومن عادة أهل الأعمال المزح مع بعضهم.

وكانت للوايل (أخواله) بنت جميلة، اسمها (موضى) وكل أحد من الرجال يتمنى ويزعم لنفسه أن سوف يدركها، بأن يروق لها هيكله فتقبل التزوج به (عادة أهل القرى والبادية) فاحجيلان في هذه اللحظة فرك سنبلة بكفيه ونفخ قشورها وقبل أن يلتهم الحب قال: (أنا سوف أتأمر في بريدة وأتزوج موضى الوايل) ثم التهم الحب، وإذا صاحبه السواجي خلفه أخذ كسرة من التراب اليابس وضربه بها من بين كتفيه وهو غافل، فارتج جسمه وانتثر الحب من فمه، وقال له السواجي: إخسىء يا للي كذا وكذا (يشتمه) أنت تأخذ موضى الوايل؟ احتقارًا له، فنظر إليه حجيلان وأسَرّها في نفسه وسكت.

وفي هذا الحين قد استولى الدريبي على الإمارة في بريدة، وقام بإخراج اضداده: آل حسن من البلد (بريدة) ليأمن شرهم، وتوعدهم بالقتل إن أصبحوا فيها. . .

فاجتمع آل حسن نحو خمس وستون رجلاً، وتشاوروا (هل تريدون نَصْطِي أو نَعْزِقْ؟) معناه: هل تريدوننا نهجم على الدريبي ضدنا نقتله حيث أجلانا، أو نترك المهاجمات وننصرف لطلب المعيشة فنعمل مع الفلاحين نعزق (نحرث) الأرض بالمساحي بالأجرة؟ فلم يتفقوا على أحد الأمرين، لكن قالوا: نذهب لصديقنا القصيِّر أمير الشقة: نستشيره، فذهبوا إليه وضافوا عنده، فرحب بهم وأكرمهم، وسئلهم ما شأنكم يا آل أبو عليان؟ فقالوا أجلانا الدريبي وجئنا نستشيرك؟ فقال: انظروا ابنكم حجيلان بن حمد عند أخواله بالطرفية، إذهبوا إليه وأخبروه بأمركم، يمكن يكون عنده لكم رأي صالح حيث

كان من مارِثَة الإمارة، وأثر الإمارة فيها بركة. فساروا من عنده (الشقة) إلى الطرفيه يمشون على أرجلهم، فقدموا على حجيلان، فقام أخواله بضيافتهم وأكرامهم، ثم أخبروه بأمرهم وطلبوه رأيه؟ فقال حجيلان: (إن كان أنا أميركم صرّفتكم وإن كان أميركم غيري فهو يصرفكم؟ فقالوا: (من أخذ أُمّنا فهو عمنا) أنت أميرنا، وعسى الله يجعل فيك بركة، فقال: بايعوني، فبايعوه على السمع والطاعة. فسار بهم إلى بريدة أول الليل على طريق الوسيع، ثم أوقفهم وقال: يا جماعة تعلمون أن أمامنا خطر الموت، فالذي ما هو متواطىء على الموت لا يتبعنا تراه مسموح؟ فانعزل جزء منهم وناموا، فسار بالجماعة، ثم أوقفهم وقال لهم مثل ما سبق، فتأخر منهم جزء وناموا، ثم سار بالجماعة، ثم أوقفهم مثل ما سبق فانعزل بعض منهم، ثم سار بالبقية حتى وصلوا العكَيْرِشَة حارة فلاحين قرب بريدة، وكان لهم صديق فيها يقال له (الكراع) فقصدوه وهتشوا عليه، بعد نصف الليل، فقام وأوقد النار وعمل لهم قهوة وعشاء، وقال: وش عندكم يا آل حسن بهذا الليل؟ فأخبروه بأمرهم وقالوا: جئنا نستشيرك هل نصطي أو نعزق؟ فقال: إذا تقهوينا سهل الله الأمر، هنا كِسرَةُ نَبْع (يعني جذع نخلة يابس) قال: نكفنه ونضعه على النعش ونغطيه، ونحمله للبلد، فإذا أَذَّنَ الفجر طرقنا باب العَقْدة (السور) فإنهم سوف يفتحون لنا إذا رأوا الجنازة على أكتافنا، فندخل ونصادف الدريبـي يخرج يصلّي فنقضي عليه.

فحملوا الجنازة المفتعلة، فلما أذن الفجر وإذا هم يطرقون باب البلد وعنده حارس، فقال: مَنْ الطارق؟ فقالوا: نريد نصلّي على هذه

الجنازة في الجماعة، فنظر من شقوق الباب وإذا الجنازة على أكتافهم، وهم يستغفرون ويسبحون ويهللون ويُحَوْقِلون، ففتح لهم فدخلوا وقصدوا المسجد على طريق الدريبي وإذا هو يخرج من بيت الإمارة للصلاة في المسجد، وإذا الجنازة أمامه، فركض يمسك رجل النعش ويضعها على متنه، وإذا حجيلان مما يليه فقضى عليه فسقط ميتًا فألقوا جنازتهم فوقه ورجعوا يدخلون من الباب الذي خرج منه، ثم خرجوا ينادون في شوارع البلد بإمارة حجيلان بن حمد، فقال أهل البلد:

(هٰذَوْلا آل أبو عليان يتقاتلون فيما بينهم ما لنا فيهم تدخّل)، فاستقر حجيلان أميرًا في البلد، وجاء عامتهم يبايعونه، ثم أرسل لأخواله الوايل يخطب بنتهم موضى؟ فقالوا: نعم الساعة المباركة، فحملوها وزفوها عليه.

ثم استدعا أهل القرى يبايعونه، فقدم أهل الطرفيه يسلمون عليه يهنئونه ويبايعونه، ومن جملتهم السواجي صاحبه بالمزرعة، وبعد الانتهاء قال للسواجي: أنت نسيت ضربتك إياي يوم حصاد الزرع؟ فقال: لا ما نسيت ولكني لم أعلم الغيب أنك تكون هكذا، فاستدعا: حجيلان بثوب وشماغ فأعطاه إياها وقال هذه إكرامية لك، ولكن تغيب عن وجهي، فإني إن رأيتك قتلتك، فخرج السواجي عنه وذهب.

وقد ذكر الأستاذ العبود في: أسرة آل أبو عليان، وقتل حجيلان، الدريبي وتأريخ مبدأ الحوادث بينهم: في كتابه (معجم بلاد القصيم) حرف ب (بريدة) مع حوادث وأحوال كثيرة قديمة غير ما ذكرنا. (انتهى).

جاء رجلان من البغات الحرامية ودخلا حائط نخل، فرأتهما المرأة، وكانت من نسل آل أبو عليان، فانتخت وأخذت عمودًا خشبةً من عدة السواني ولقيتهما وهي تقول:

حنـا ضَنـا لَيْلـى وتِـرْثَـتْ عليـان　　　وعدونا من حنظل الشرى نسقيه

فشجت رأس الأول بالخشبة ثم الثاني فهربا ودمهما يَثْلَعْ، فلما علم أمير البغات بفعلها قال: كتبوا لها أُضْحية في مالي: يهزبهم بها. (انتهى).

* * *

قـواعـد كتابيـة

قـيـل:

بُشَيْـرُ بـن اليسـار مـع ابـن كعـب   بـالضـم والبـاقـون بـانفتـاح

سعيد بن المسيِّب. بكسر الياء والتشديد ولا يجوز النصب، لأنه قال: (سيَّبَ اللَّـهُ من سيّبني).

ابن ماجه، بالهاء: (من الوجاهة)، ولا يجوز يُقرأ بالتاء. وكلمة الوَلاية، والوِلاية: بفتح الواو، وَلاية الله، أي اصطفاء الله عبده وتقريبه إليه بطاعته، وبكسر الواو: هي أمر السلطان والحكم على الناس. وكلمة الأَمارة، والإِمارة، بفتح الهمزة هي العلامة، وبكسر الهمزة: هي أمر الحكم والسلطان، وقد تحذلق كثير من أهل العصر، فصار ينطقها بالفتح فيقول: رفعت المعاملة للأَمارة مثلاً، فهذا يدل على جهل هذا القائل باللغة العربية، إلاَّ أن يتهم بقصد غض جانب الإِمارة والحط من قدرها فيكون مستهترًا بها وباللغة. وإذا صليت على النَّبـيِّ، فلا تقل: صلَّى الله عليه وآله وسلم، فتخص الآل دون الصحب فإن هذا من انتحال الشيعة، فالحق أن تذكرهم جميعًا أو تتركهم جميعًا، فتقول صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم قاله شيخنا، وقاله ابن قاسم: في حاشيته على الروض.

وهنا مسائل يحسن إلفات نظر من يعني بالأمر إليها :

أولاً: حيث أصبح الناس كلهم أهل قلم وكتابة، ولكن قليل مَن يهتم بجودة الخط، بل غالبهم ربما يهزأ بحسن الكتابة ويتبجح بغرابة كتابته: (فجَوْدَةُ الخط وسرعة الكتابة فَنٌّ جيد مقصود في الزمان السابق) فأصبح مهملاً في هذا الزمان، (يعرف ذلك بعض الإدارات والقضاة بما يعانونه من رداءة بعض الكتابات). فينبغي التحذير والتعميم عن إهمال ذلك والملاحظة عليه، لأن مثل هذا اعتداء على قواعد الكتابة العربية، ولو علم كل كاتب: أن النظام يقضي على كل كاتب يظهر له كتابة بخط غير جيد بأن تخفض مرتبته ونحو ذلك، لتسابقوا لتحسين الكتابة وجودة الخط.

ثانيًا: قد حدث تغيّر في بعض قواعد الكتابة من بعض الطبّاع.

اسم الجلالة، الله، المعروف المتداول أن النصبة فوق الشدة ممدودة إلى فوق، لأجل مد لفظ الجلالة (الله) لأن مد اللفظ يدل على تفخيم المعنى، وقد كان النّبـي ﷺ في قراءته يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم[1] ولفظ الجلالة (الله) أولى بالمد لأنه أصل أسماء الله الحسنى، أما طبعة بعض المصاحف الأخيرة فالفتحة فوق الشدة غير ممدودة بل هي بالعرض، وعلى هذه الكتابة فلا يمد لفظ اسم الجلالة لأنه لا يمكن مد اللفظ وكتابته هكذا (اللَّه)، وإذا لم يُمَدُّ اللفظ فهو نقص في المعنى فيكون نوع من الإلحاد، فلا يبعدُ أن يكون من إدخال

(١) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

بعض الملحدين، فينبغي تدارك طباعة المصاحف وتصحيح هذا الخطأ المطبعي، فلو يكتب هكذا (الله).

ثالثًا: القاعدة المستقرة، المتداولة من قديم الزمان، تصريف اللفظ بالحركات، لا بزيادة حروف، فالحركات هي: الفتحة والكسرة والضمة والسكون، وفتحتان وكسرتان وضمتان، وفتحة وكسرة وضمة مع الشدة، وفتحتان وكسرتان وضمتان مع الشدة، فإذا احتاج اللفظ مَدًّا مع أحد هذه الحركات، وضع خط أفقي بالعرض أكبر من الفتحة فوق الممدود، يدل على المد، سواء كان المد للفتح أو للكسر أو للضم، ويكون هذا الخط الأفقي تارة كبيرًا وتارة صغيرًا وتارة متوسط حسب تطلب المد، أو تمد الفتحة إلي فوق أو إلى تحت، كما هو معروف، فهذا معروف لدى الجميع، مصطلح عليه منذ زمن، ثابت ليس فيه نقص ولا لَبْسٌ، ولكن بعض الطباع أو النساخ يريد يظهر له عمل بمخالفة من قبله ولو بخطأ، فاستبدل الاصطلاح بهذه الحركات: حروفًا، فوضع مع الضمة واوًا حرفية صغيرة بدل الإشباع بالحركة في بعض المواضع، (والضمة أخت الواو تنوب عنها بالرَّفع) ووضع نونًا حرفية صغيرة بدل التنوين بالحركات في بعض المواضع، وكرسي ياءٍ مع الكسرة في بعض المواضع، فوجود زيادة حرف مع الحركة يحتاج إيجاد زيادة تولد لفظ لهذا الحرف، بخلاف وجود زيادة الحركة، فإنما هو إشباع للفظ فقط، (وما حدث من التغيّر في اللغة العربية أو الكتابة العربية، فإنما يعني تغيّرًا في القرآن)، فلا يجوز أن يترك كُلُّ أحدٍ يحدث ما شاء في نظام رب العالمين، قال

تعـالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩]، والذكر هو القـرآن. وقـد قالـوا فـي تعريـف الاسـم، وتمييـزه عـن قَسِيْمَيْـه، (الفعل، والحرف) قالوا: ومن علامات الاسم (التنوينُ): وهي نون تلحق آخر الاسم لَفْظًا وتفارقه خطًا، أي تنوينٌ لفظيٌّ لا خَطِّيٌّ، فهذا قولهم، كما في شروح (الأجرومية) كالكفراوي والعشماوي وشرح متن القطـر وغيـر ذلـك، فهـذا يـدل علـى الاكتفـاء بالحركات، عن زيادة الحروف.

ومن ذلك تغييرهم قاعدةً معروفةً ثابتةً متفق عليها عند عموم الخلق من قديم الزمان لا يطمع أحد أن يغيّرها إلاَّ في هذا الزمان، وهي: المعروف أن كتابة اسم (داود) بواو واحدة وينطق بو اوين: كما يكتبون عمرو بواو وينطقون بدونها: هذا ما لا خلاف فيه ولا يجهله أحد، كما تجد ذلك في الكتابات في أنحاء العالم، أما كتابة المصاحف الأخيرة فإنهم زادوا واوًا في كتابة (داود) هكذا (داوود) ابتكارًا، وكون هذا الحرف المزاد صغيرًا في مبدئه هو يكبر فيما بعد، كما قد وجد ذلك الآن، وقد مضت قرون متطاولة على هذه القواعد المعروفة: فليسعنا ما وسعهم.

وهنا قصة ذكرها صاحب النظرات ــ قال:

كـان أحد وزراء الدولة اسمه (داود) فاستدعى أحد علمائهم حيث كان العلماء والقرّاء يلقون أمثلة على الطلاب، في قواعد اللغة العربية، منها قولهم (ضرب زيدٌ عمروًا): فالوزير سأله: لماذا زيد

ضرب عمروًا؟ فأجابه: إنما هو مثال لتعريف وتصريف اللغة، ولكن الوزير لم يقنعه هذا الجواب فسجنه: ثم جعل يستدعي العلماء والقرّاء ويلقي عليهم هذا السؤال فيجيبونه بهذا الجواب فيسجنهم حتى امتلأت السجون، حتى سأل واحدًا فأجابه بقوله: (لأن عمروًا سرق واو داود) فقال الوزير: صدقت فأطلقهم. (انتهى).

* * *

الفقير وجاره الفلاح

يقال: إذا أغناك الله، فارحم الفقير والمسكين واليتيم والغريب والجاهل، وتساعد معهم، وساوهم بشيء من مالك ونفسك، وأحمد الله أن فضلك على هذا بغير حيلك ولا قوتك، ولو شاء ربك لجعلك مثله وجعله بمنزلتك، ولكن (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً).

وحدثني رجل ثقة يقول: حدثتني عمتي زوجة الرجل الفقير، وكان عاملاً يعمل عندالناس بالأجرة، وكانت له عائلة، وباتت عائلته تلك الليلة طاوية ليس لهم عشاء، فلما أصبح ذهب يعمل عند جاره الفلاح في المزرعة، فعمل حتى صلاة المغرب، فلما صلّى الرجل مَرَّ على عائلته لينظر؟ وإذا هم بحالهم لم يأتهم طعام من أمس، فرجع إلى معزبه للعشاء، وتبعه ابنه الصبـي الجائع، فلما دخل على المعزب وإذا معه ابنه، فغضب المعزب وقال: الله لا يعَقْلَك، وَرَاكَ تَجِيبُهُ إرْجِعْ به، إذا طرأت على الواحد راح وجاب ولده، ارْجِعْ به، فرجع الرجل مكسور الخاطر هو وابنه، وترك العشا وهو تعبان يعمل فيه من قبل طلوع الشمس، فأوصل ابنه أهله وجلس عندهم ولم يرجع للمعزب للعشا، وغمرته الحسرة والكآبة، وقبس ناره في عريش النخل (الحضار) وجلس مندهشًا، لا يدري ماذا يصنع بعائلته الجائعة،

وسريعًا جاء طائر كبير يقال لها النعجة أو البطة، جاءت على ضوء النار بالليل ودخلت عليه العريش ووقعت عند النار، وحين رآها مَدَّ يَدَهُ ومسكها، وذبحها وحمد الله على رزقه العاجل، ثم قامت زوجته وطبختها، فأكلوا كلهم وشبعوا وبقي منها لحم إلى الصباح، وهذا غير غريب ويجري لبعض الناس كثيرًا، (ولكن العجيب أن الرجل الفقير وأولاده أغناهم الله، وجارهم الفلاح الذي رَجَّعَ أبيهم بولده افتقر وباع ملكه فاشتراه أولاد الفقير وسكنوا فيه، وهو انتقل وسكن في البلد، وكف بصره، ثم بعد ذلك يتطلب من يمسك يده ويخرج إليهم على رجليه فيكرمونه ويعطونه صدقةً لله ويركبونه على الحمار إلى بيته، فسبحان مَنْ كل يوم هو في شأن ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦]. وفي الحديث «لا تشمت بأخيك فيعافيه الله ويبتليك». وقال الشريف:

لا تحسب إن الله بخيل بخليك ... ولا تفرح إن الله على الخلق بداك

ولكن إذا رأيت حصول الممالك ووقوع المهالك، فقل (ذلك تقدير العزيز العليم)، وقديمًا قيل:

أمور تضحك الجهّال منها ... وتبكي من عواقبها الرجال

(انتهى).

* * *

أمثــال

يقال: (الخيل خِشْرٌ إذا قَلَّ النَّصِي) والنَّصِيُّ: هو العلف، خشر: أي شراكة، يعني أن الناس يتساعدون وقت الحاجة، ويتساوون وقت القلّة.

ويقال: (إذا أسأت فلا تنتسب)، معناه أنك إذا عملت عملاً لا تحمد عليه فاحرص أن لا تعرف به، جاء رجل وسأل إنسانًا مساعدة، وحيث كان السؤال غير محمود صاحبه، وسأله من أنت؟ فقال: إذا أسأت فلا تنتسب، فأنا لا أحب أن أعرف بهذا.

قيل:

شيخ كبير له ذنوب ... تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالي ... وسودت قلبه الخطايا

يقال: (ماتت الحمارة وانقطعت الزيارة)، لأنه كان يركبها للزيارة، ويضرب به المثل في ترك العادة المحمودة.

ويقال: (يموت الحمار ولا يموت ضُراطُهُ)، يضرب مثلاً لمن يكرر كلامًا مكروهًا قد انتهى وقته. (انتهى).

* * *

القــراد

الْقِرَادُ هو حشرة الإبل تَمُصُّ دَمَها: (وجمعها قِرْدان)، يقال: (فلان قراد مَحَلْ)، والمحل هو الجدب وقلّة المطر، ويكون القردان فيه أكثر وأحرص على إمساك جلود الإبل وعَضِّها، وربما أحدث القِرْدَان جربًا في الإبل أوقات الدهر، وهو الجدب. يوصف بها الانسان الأشهب النفس فقير القلب الذي لا يقنعه قليل ولا يشبعه كثير، ولا تبتل كَبِدُهُ بنعمة، فهذا مثل قراد المحل، وإذا كان كذلك وفيه شكاسة أو نجاسة نفسية، يقال قراد جرب لأنه ينقل مرض الجرب من بعير إلى بعير آخر، لأن الجرب سريع العدوى، كما يقال: (أعدى من الجرب) وإذا نقله القراد صار أسرع، وفي المثل: (يا الله سنة ذُباب ولا سنة قراد)، لأن الذباب يكثر وقت الربيع والخصب والنعم، والقراد يكثر وقت الدهر والجدب وشهبة الأرض. (انتهى).

❊ ❊ ❊

فصــل

قد تقرر أن يد الإنسان قيمتها نصف دية الإنسان، فإذا جُنِيَ عليها فقيمتها خمسمائة دينار من الذهب، لكن إذا سَرَقَتْ أربعة دراهم حل قطعها، نكالاً على المخالفة وليستقر الأمن، فأشكل هذا الحكم على بعض الناس، وقال:

يـدٌ بخمـس مِئِيْـنَ عَسْجَـدٍ وُدْيَـتْ   مـا بـالهـا قطعـت بـربـع دينـار

فأجابه المُحِقْ:

عـز الأمـانـة أغـلاهـا وأرخصهـا   ذل الخيـانـة فـافهـم حكمـة البـاري

(انتهى).

* * *

يقــال..

يقال: (أهل مكة أدرى باشعابها)، يُضرب مثلاً أن كل أحد أعرف بمحله وبلده.

ويقال: (عسى عيش وعدوته الرحا)، يعني ولو تعبوا في طحنه.

الثعلب يأكل من ثمر العنب، جاء يريد يأكل منها وإذا هي مرفوعة فوق العريش، فلم يستطع أن ينالها، فَتَفَلَ من فمه عليها وقال: تُفْ عليكِ حامضة، يضرب به المثل في الشيء الصعب الحصول عليه مع تمنِّي حصوله. ويقال:

يــا حــافــر البئــر لا تُقْعِــرُه ... كــم حــافــر طــاح بمــا حفــر

وهذا لأن صاحب الشر والكيد قد يرجع عليه كيده وشره. (انتهى).

* * *

تظهر منها يا الحريص بلاش

يعني أن الحريص على الدنيا وهو الشحيح: قد يموت ولم ينتفع من دنياه بشيء، لا تَمَتَّعَ منها بطيب، ولم يقدم منها لآخرته، فصار نصيبه منها العناء وحلاوتها لغيره.

حدثني رجل ثقة من أهل البادية، قال: كان رجل له إبل، وكان حريصًا عليها جدًا حرصًا أكثر من اللازم، فيتعب نفسه في إصلاحها، وكان قليل الانتفاع منها، فمرض ذات يوم واشتد مرضه وأصبح به نزع الموت، والإبل معقولة أمام البيت ليس لديه من يسرح بها، كما في المثل: لا يُخْدَم بخيل، فإذا أفاق بعض الإفاقات من نزع الموت فتح عينيه ونظر الإبل الطيبة الغالية عليه، وقد عرف أنه فارقها وأنه مرتحل عنها، فقال: (إيْه تظهر منها يا الحريص إبلاش)، فأفاق من سكرة الغرور حين صار في عسكر الموت، وهكذا كل أحد يرغب في الدنيا ويغفل عن الآخرة فعند الموت يجتمع عليه ألم الموت، وحسرة الفوت.

كذلك: كان رجل تاجر ولكن شحيح وحريص على المال حرص أكثر من اللازم، وليس له أهل سوى جارية مملوكة له، فمرض ذات يوم فجمع مفاتيح الخزنة وأعطاها الجارية وقال: احتفظي بها، ثم زاد

مرضه فضاق صدر الجارية واشتغل خاطرها بالمفاتيح، فتأتي إليه وتقول: يا سيّد ماذا أعمل بالمفاتيح؟ فيقول: احفظيها، ثم إذا ضاق صدرها جاءت إليه ونظرت في وجهه وقالت: يا سيد ماذا أصنع بالمفاتيح؟ فيقول: احفظيها، فلما بدأ به النزع الموت، وقالت: ماذا أصنع بالمفاتيح؟ قال: في السمادة، في السمادة. (انتهى).

* * *

عرسة تُفَوِّت عرسات

أوصت أعرابية ابنتها، حين سَرَّحتها بالغنم في البر، فقالت: (يا ابنتي احذري عرسة تقطعك من عرسات) تعني أن البنت إذا لم تصون نفسها فهذا من أكبر عيوبها، ويظهر لها سمعة مكروهة عند الناس، وإذا تزوجها الرجل فوجدها غير حصينة فإنه يعافها ويهرب عنها، فقد يتركها الرجال فلا يرغبونها، وهذا هو البوار، فيقال: بارت فلانة بنت فلان، وفي المثل: (دَفُّنا هالمنخسف من فوق بنتنا ها البايرة)، فالدف المنخسف ليس له صوت يعجب، والبنت البايرة (الساقطة) لا تستحق المغالاة بإكرامها ليلة زفافها، فيكفي الضرب لها ولو بدف منخسف، (من فوقها): أي هو أرفع من قدرها، ولو هو منخسف لأنها بايرة. (انتهى).

* * *

كَرَمُ الأصل.. أو لُؤْمُهُ

المراد بالأصل هنا: العِنْصِر والغريزة المودعة في الإنسان، وفي المثل: «كُلٌّ يَنْكِسْ لأصلِه»، أي عند اللازم تظهر غريزة البِنْك (العِنْصِر) في الطيب ــ أو الردى، وحتى الحيوان ترجع لبنكها (الأصل) عند الإلجاء، كما في المثل: (عَوْبا وعند الطراد تعتدل) يعني الفرس الجواد.

ذهب رجل للبر يتطلب ناقة له ضائعة أو نحوها، فلما كان آخر النهار حرص يتطلع لعله يجد عربًا يضيفهم يبيت عندهم؟ فوجد الطواريق، وهي أثر الغنم أو الإبل إذا أتت من البر (الفلاة) للمنازل، أو الماء (المارد)، تجمعت وصار بعضها يتلو بعضًا، فيصير أثرها جَوادًّا، تسمى طواريق، واحدها (طاروق)، فمشى الرجل معها حتى طلع على بيت عرب، فقصده يريد الضيافة عندهم، وإذا المرأة في البيت والرجل غير موجود، فلما رأت الضيف قامت وأبرزت الدلال والحطب والماء، وقالت إقلط يا رجل إخدم نفسك، راعي البيت قريب هالحين يجي إن شاء الله ولكن إخدم نفسك تقهو . . .

(فهذه عادة أهل البادية والقرى، لا بد أن تكون المرأة بَرْزَةً،

تكلم بعض الأضياف عند الحاجة، مع الحشمة والتستّر، كما كلمت أم معبد: النّبـي ﷺ حين ضافوها، وهي لا تعرفهم.

الحاصل: أن الضيف تقدم وعمل له قهوة وتقهوى، وإذا قد أتى الليل، وهضل الرجل صاحب البيت بالغنم، فقال: وش هالضيف؟ وراكم تُلَفُّونَه؟ فقالت المرأة: هذا طرقي تعبان وضيافته لازمة، فتغير مزاجه وقال: وش جابه يمنا خلوه يروح للعرب غيرنا، فجعلت المرأة تستهديه للضيف، ثم توبخه وتذكره العار بطرد الضيوف؟ فلم ينجع به، فقام الضيف وذهب وبات ليله خلاوي، ونهاره كذلك حتى صار آخر النهار، وإذا هو يأتي علي راعي غنم، فاستقبله يهلى به ويرحب، وقال له تقدم شف البيت على يمينك، استرح فيه واعمل لك قهوة تقهو وأنا أتى على أثرك إن شاء الله، فأنت الليلة عندنا نتونّس وإياك، فتقدم الضيف يم البيت، فلما قاربه تنحنح وتكلم (يا ولَد)، فظهرت المرأة وقالت: أيْن يا ولد؟ قال أنا ضيف، قالت ما هنا رجل، فقال: إن الرجل هو الذي أرسلني إليكم يقول رح للبيت استرح وتقهو وأنا على أثرك؟ فقالت: ألَلّـه لا يَعَقْلك أنت وإياه، رح عنا شف العرب قدامك، فرجع الضيف يريد يتطلب غيرهم يضيفهم، فعارضه الرجل صاحبه راعي البيت وناداه: (وراك رحت يا رجل؟) فقال ألَلّـه يخلف عليك أنا تقهويت وخلصت وأريد اذهب لذولاك العرب، فقال والله ما تروح عنا الليلة، حنا نحمد الله اللي جابك يمنا، فرجع معه، فلما رأته المرأة معه تغيّر مزاجها، وجعلت تلغى عليه: ليش تجيبه خلّه يروح لغيرنا، فقال الرجل للضيف: لا تشكل عليك هذا طبعها دائمًا تلغى، فضحك

الضيف، فقال المعزب: علامك ضحكت يا ضيفنا؟ فقال: تعجبت من حكمة الله في خلقه، (فأنا أمس أتيت أهل بيت هناك ضفتهم، فاستقبلتني المرأة بالإكرام، وأبرزت لي الدلال أتقهوى، فلما جاء الرجل هاضلاً بالغنم ورآني تغير مزاجه وجعل يلغي علي يقول وراك تجي يمنا رح للعرب غيرنا، فجعلت المرأة تلومه وتذكره العار في طرد الضيف، فلم ينجع به وعزم علي أن أذهب عنهم، فقمت وسرت وبتت وحدي خلاوي.

فضحك الرجل المعزب وقال: (هذه المرأة هي أخت ذاك الرجل من أمه وأبيه، وذيك المرأة هي أختي من أمي وأبـي)، فقال الضيف: ليست هذه المرأة كفيء لك، ولا يكن أخوها خالٌ لأولادك، ولكن طلقها ومشى معي هالحين أزوجك أختي تكرمك وتكرم أهلك وعانيك، وتجدها جنة الدنيا.

وأخبرني رجل ثقة، يقول: اشتريت بقراتٍ مُتَناسِلاتٍ من بعضهن، فوجدت طباعهن نَزْرَة ــ صَلْفَةً، وكانت منهن واحدة حسنة الهيكل ــ والضرع، فطمعت في عسفها وتعليمها رجاء أن تهدأ وتصلح، فحضرتها عند الولادة، فأخذت ولدها حين ظهر منها وأبعدته عنها، حتى لا تراه لأجل تهدأ. وبعد قليل قام الفصيل وجعل يترعرع ويمشي، فخشيت أن يظهر على أمه فتعرفه فتفسد، فأخذت حبلاً ــ خيطًا وجعلت أربطه به، (فرفسني برجله)، على طبيعة أمه بالشر، وهو وليد لم يَرَ أمه ولم يرضع منها حتى الآن، ولكن هذا بِنْكُهُ لأمه. (انتهى).

* * *

فصــل

كــان أحــد العلمــاء الصــالحيــن إذا ركــب السيــارة يكثــر مــن الاستغفــار، فقيل لـه في ذلـك؟ فقـال: إن حـوادث السيـارات عذاب، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال/ ٣٣]، فنحن نتقي الحوادث بالاستغفار.

جاء في الحديث «من كان آخر كلامه لا إلـه إلاَّ الله دخل الجنة» نسأل الله حسن الخاتمة بمنّه وكرمه آمين، والحديث رواه الإمام أحمد وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

جاء في الحديث «عفوا عن نساء الناس يعفوا عن نسائكم، وبروا آبائكم تبركم أبنائكم» رواه الحاكم وغيره عن أبـي هريرة رضي الله عنه. (انتهى).

* * *

مـن النـوادر

توفي أخونا الصائغ رحمه الله، فرآه أخونا أبو هلال في المنام بعد موته، قال: فقلت له كيف حالك يا إبراهيم؟ فقال: والله إننا بخير والحمد لله، ولكن جاءنا عبد الله اليعيش وارتفع علينا، وكان عبد الله اليعيش قد توفي بعده. وأخونا عبد الله اليعيش رجل صالح كاف عن فضولات الدنيا، كاف عن أعراض الناس لا يتكلم فيهم إلاَّ بخير، رحمه الله.

ومرض أخونا العبد الصالح العالم العابد الورع، فأتيته أعوده، وإذا فيه النزع، وقد اشتد نفسه، فقرأت عليه سورة (يس) فخفف عليه النزع وقال: (اطْرِدِ الشيطان ــ اطْرُدِ الشيطان)، فهذا يدل على أن الشيطان يضايق الإنسان عند الموت، مع أنه رجل صالح ورع، فكيف حالنا؟ نسأل الله أن يلطف بنا.

وحدثني من أثق به، قال: أحضر رجل في أحد المستشفيات، حصل عليه حادث وقد حضره الموت وجعل يهذي بكلام يقول: أنا يهودي أنا نصراني، ومات على ذلك الكلام، ويقول بعض من حضره: إنه تشم منه رائحة السَّكَر، نسأل الله العافية لنا وإخواننا المسلمين.

رؤيا محزنة[1]:

قيل: كان إنسان صالح رأى رؤيا محزنة قبيل وقتنا، يقول: نزل ملكان من السماء فقال أحدهما: (تاب تاب... فقال الآخر: نزعت البركة من التراب).

قال: (تاب تاب... قال الآخر: نزعت الرحمة من الأقراب).

قال: (تاب تاب... قال الآخر: نزع الحياء من الشباب).

قال: (تاب تاب... قال الآخر: هجر الكتاب).

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، فقد وقع هذا عيانا، نعوذ بالله من جهد البلاء.

من لطف الله بالطفل:

قيل: ضاعت امرأة في البر ومعها ابنها صبي يرضع، فماتت هي، والصبي حي لم يمت، وبقي ثديها حي فيه حليب، وصار الصبي يرضع منه، فوجدوها بعد مدة سنة، والصبي يلعب ويرجع يرضع، وجسمها يابس على طبيعته إلاّ من جهة الأرض فيه خراب قليل، فسبحان القادر على كل شيء. (انتهى).

* * *

---

(١) ذكرها ابن عبيد في تاريخه.

تابع: لا تأخذ الدنيا اخراص وهقوات..
(يَجِى إقْوَيلات)

إقويلات: جمع تصغير قائله، قام أحد الزراع بعمل الزرع الشتوي القمح، وقت حرث الزرع أول الشتاء، واستأجر رجالاً يحرثونه بالمساحي كالعادة، فأتي عليهم يوم مَطِير وهم يعملون بالمزرعة، فإذا زاد عليهم المطر ركضوا يتذرون تحت جدار البيت أو نحوه، فإذا خف المطر ركضوا يعملون وهكذا، فقال أحدهم للمعزب: هذه السنة سنة خير وربيع وأمطار، ولكن أكثر الزرع، فقال أحد الحاضرين: هو رجل شايب قد عرف الأمور وجرب (إيْه لكن يجى اقويلات)، يعني فيعطش الزرع الزائد عن القدرة، وقت الحر والسخاني (القائلة)، وفعلاً: قد ماتت أطراف زرعه عطشًا أوقات الدفيء والحر. وقس على ذلك سائر الأحوال والأمور (يجى اقويلات). (انتهى).

* * *

حـزم.. وعـزم

أما حزم الصياد: فإنه من حين يطلق الرمية على الصيدة وتسقط، ينطلق هو يتبعها يركض ليدرك الضريبة (الصيدة) في غشوتها قبل أن تصحو فتذهب، فقد تكون سَقْطَتُها روعة لا إصابة سهم.

وأما حزم المحارب وعزمه: فإنه إذا رمى عدوه بالبندقية في ظلام الليل، حيث يظهر من فم البندقية لهب نار يراها المحارب، فربما أطلق سهمه أو أَحَدُ رِفاقه على موضع الرمية، ولكن الرامي الحازم من حين يطلق رميته: يحيد عن موضعها يمنة أو يسرة أو يضرب على الأرض لعله يخطئه سهم ذاك الرامي إن رمى. (انتهى).

* * *

قيــل:

لا تطلــب حــاجــة مــن لئيــم　　لو هي بكفه حال دونه جبل قاف

وقيـل:

نهـارك يـا مغـرور سهـو وغفلـة　　وليلــك نــوم والــردى لــك لازم
وسعيـك فيمـا سـوف تكـره غبـه　　كـذاك بـالـدنيـا تعيـش البهـائـم

(انتهى).

* * *

عليك السلام يا جبريل

قيل: هناك امرأة صالحة، وعندها صبـي يتيم، وعندها له مال ذهب ودراهم في قبضتها، وعلم به سروق (حرامي) وأراد أن يأخذه بالتي هي أحسن، فدبر له رأيًا، فأتى البيت ليلاً، وبقي فوق السطح، فلما قامت المرأة أواخر الليل تصلّي على عادتها وقت السحر صارت تصلّي بالحوش خارج الغرف، فجعل الرجل يذكر الله جهرًا، ويسبّح ويهلل وهو في السطح، ويقرب إلى الدرجة شيئًا فشيئًا، ونزل مع الدرج ويقف في كل زلفة، ويذكر الله ويسبّح ويهلل ويقدّس الله جهرًا في كل زلفة، حتى وصل أسفل الدرجة، فأنهت المرأة صلاتها وقالت: بسم الله وش أنت؟ قال: أنا جبريل أرسلني الله، يقول: (رح جب مال هذا اليتيم نحفظه له عن الضياع والسرق حتى يرشد ويعقل ثم نعطيه إياه)، فصارت المرأة شجيعة قوية القلب ثابتة الجأش، قالت: (عليك السلام يا جبريل، عليك السلام يا جبريل)، تعال دوك المال في هذه الغرفة خذه، ثم قامت وفتحت الغرفة، جاء الرجل يمشي بهوادة، ويذكر الله جهرًا ويسبح ويهلل ويكبّر حتى دخل الغرفة، فأغلقت المرأة عليه الغرفة، فقال: افتحي، افتحي؟ فقالت: أما أنت جبريل؟ اخرج من حيث شئت فإن جبريل روح لا يرده شيء، ثم نادت الجيران، فذهبوا واستدعوا رجال الأمن فقبضوا عليه. (انتهى).

بلادة مؤرخ

قيل: كان ملك في الزمان الأول، استدعى مؤرخًا، وقال له: أريدك تكتب لي تأريخ البشر فقال المؤرخ: نعم، فذهب وغاب عشرين سنة، ثم أتى بعشرين جملاً محملة كتبًا في التأريخ، فقال الملك: ويلك ومن يستطيع يحيط بهذا كله؟ اذهب فاختصره لي؟ فذهب وغاب عشرين سنة، ثم أتى بجمل واحد محمل كتبًا، فقال الملك: ويلك ومن يحيط بهذا كله؟ اذهب فاختصره لي؟ فذهب وغاب عشرين سنة، ثم أتى بكتاب واحد، وإذا الملك قد خرف وهرم. (انتهى).

* * *

قاعدة في الإمامة في الصلاة

فالإمام عند الصلاة عليه أن يلاحظ خمسة أمور قبل الدخول في الصلاة: الأول: (تعديل الصف)، الثاني: (تراص المأمومين) الثالث: (تكميل الصف الأول فالأول)، الرابع: (التقارب)، وهو قرب الإمام من السترة، وقرب الصف من الإمام، وقرب الصفوف إلى بعضها، الخامس: (توسيط الإمام)، وعلى المأمومين أن يطيعوه إذا أشار لهم بذلك، قرره شيخنا رحمه الله.

ومن جزاء الحسنة عمل الحسنة بعدها:

فأول من يأتي إلى المسجد هو آخر من يخرج من المسجد غالبًا، لجودة تأثير الطاعة في قلبه، وآخر من يأتي إلى الصلاة هو أول من يخرج من المسجد غالبًا، لضعف تأثير الطاعة في قلبه.

ومن جزاء السيئة عمل السيئة بعدها، كما أنه إذا فاتتك صلاة مع الجماعة أو بعضها فالغالب أنه يفوتك الوقت الثاني.

فـائـدة ــ قالها ابن القيم في الفوائد:

كل إنسان قد وُكِّل به (ملك)، وسلّط عليه (شيطان)، دائمًا متكانفيه داخل ثيابه لا يفارقانه ليلاً ونهارًا نائمًا ومستيقظًا ولهما اتصال

بقلبه، فالملك: يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعده بالخير ويوسع صدره ويذكره وينشطه على الخير، فهو صديقه الصادق.

أما الشيطان فهو بضد ذلك: فهو عدوه اللدود الذي يريد إهلاكه الهلاك الحقيقي، وهو تفويته الخير وتوريطه بالشر، فتفويته الخير يمنعه من دخول الجنة، وتوريطه بالشر يدخله في النار، فهذا هو العدو اللدود للإنسان. (انتهى).

* * *

خاتمة

انتهى المجلد الرابع، ويليه إن شاء الله،

المجلد الخامس، وأوله: تعبئة التمر في القديم

فهرست المجلد الرابع

● ● ●